على درب الحقيقة

دليل (أريج) للصحافة الاستقصائية العربية

الطبعة الثانية

شبكة إعلاميون
من أجل صحافة استقصائية عربية (أريج)

أول دليل إرشادي/ تفاعلي
للصحافي المتقصي
في العالم العربي

بإشراف د. مارك هنتر، شارك في الإعداد الزملاء يسري فوده، بيا ثوردسن، رنا الصباغ، نيلز هانسون، لوك سنغرز، فلمنغ سفيث، يحيى شقير، محمد قطيشات، سعد حتر

تحرير الطبعة العربية
محمود الزواوي ورنا الصباغ | تنقيح: سعد حتر
الترجمة إلى العربية: غازي مسعود

تحرير الطبعة العربية الثانية
نبيل غيشان وهشام عبدالله | تنقيح: سعد حتر وعماد الرواشده
مراجعة: رنا الصباغ

بدعم من منظمة يونسكو – باريس

UNESCO

إن مؤلفي هذا الكتاب مسؤولون عن اختيار وعرض الحقائق المتضمنة فيه وعن الآراء المعبر عنها فيه، والتي لا تعبر بالضرورة عن آراء اليونيسكو ولا تلزم هذه المنظمة بها. والدلالات والمعاني المستخدمة وعرض المادة في كل جزء من أجزاء هذا الكتاب لا تشير ضمنا إلى التعبير عن أي رأي مهما كان لليونسكو فيما يتعلق بالوضع القانوني لأي دولة أو إقليم أو مدينة أو منطقة، أو لسلطاتها، أو فيما يتعلق بمنطقة حدودها.

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/٨/٣٤٠٠)
الطبعة الثانية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه
ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الفهرس

تقديم: يسري فودة، عضو مجلس إدارة شبكة أريج	7
مقدمة: دليل أريج التدريبي: أسرة أريج	11
الفصل الأول: ما هي الصحافة الاستقصائية	15
الفصل الثاني: استخدام الفرضيات: جوهر الأسلوب الاستقصائي	29
الفصل الثالث: عُبور الأبواب المفتوحة: خلفيات واستنتاجات	51
الفصل الرابع: استخدام المصادر البشرية	69
الفصل الخامس: كيف تنظم نفسك لتنجح في استقصائك	93
الفصل السادس: كتابة الاستقصاءات: نماذج عالمية وعربية مختلفة	107
الفصل السابع: السرد البصري التلفزيوني ، بناء التقرير المتلفز	133
الفصل الثامن: تقنيات مراقبة الجودة قبل النشر	145
الفصل التاسع: النشر	161
الفصل العاشر: مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين؟	171
الفصل الحادي عشر: أخلاقيات المهنة	183
الفصل الثاني عشر: من أين تأتي بالأفكار؟	191
الفصل الثالث عشر: نماذج عمل	201

تقديم

رؤيتنا: ترسيخ مبدأ المراقبة والمساءلة
مهمتنا: بناء قدرات الإعلاميين وصولا إلى صحافة استقصائية عربية نابعة من المهنية والإبداع

يسري فوده

عضو مجلس إدارة شبكة أريج سابقاً

بعد انطلاقة قناة الجزيرة بأشهر قليلة عام 1996، حزمت أمري وقررت أن أطرح على إدارتها فكرة بدت للبعض "مجنونة": أن يسمحوا لي بالاختفاء شهرين كي أعود إليهم بتحقيق تليفزيوني مدته 45 دقيقة. ولأن القاعدة في العمل التليفزيوني العربي حتى ذلك الوقت على الأقل كانت العكس تقريباً ، وهي أن تختفي لمدة 45 دقيقة كي تعود بما يوازي شهرين من المواد المصورة، فقد أشاحت الإدارة عني مستهزئة و كدت أدخل في دورة اكتئاب مهني.

بعدها بأشهر قليلة، لسبب ما، قرر رئيس مجلس الإدارة، الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني، منحي فرصة إعداد حلقة تجريبية يتم تصويرها في حدود محل إقامتي، لندن، بميزانية تكاد تكون صفراً. اخترت أن أبحث في موضوع الجمرة الخبيثة الذي كان محل اهتمام دولي آنذاك بعد تسريب معلومات عن تورط الحكومة البريطانية السابقة في حينه في تسهيل تصدير مواد مزدوجة الغرض إلى العراق. وقتها كان محظوراً تصدير تلك المواد المدنية التي يمكن تطويعها لإغراض عسكرية.

بمعايير الأمس كان ذلك التحقيق في رأي من شاهدوه «فتحاً» على طريق مفهوم عربي جديد للصحافة الاستقصائية، تحديدا التلفزيونية. ذلك إلى حد أن إدارة القناة قررت إذاعته أكثر من مرة، وهو ما لم يكن من المخطط له، كما عاد على القناة - المنبوذة من الحكومات العربية وقتها بشكل خاص - بجائزة التحقيقات في المرة الأولى والأخيرة التي شاركت

فيها بمسابقات مهرجان القاهرة للإنتاج الإذاعي والتليفزيوني عام 1998.

ورغم أن تاريخ الصحافة العربية المكتوبة يحتفظ ببعض المحاولات الخجولة في هذا المجال، فقد وضعت القناة الوليدة يدها على منطقة جديدة أمام أعين المشاهدين العرب وهذا ما نحاول أن نفعله في شبكة إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية اريج في العالم العربي. كنت أدرك أن هذه المنطقة الجديدة مليئة بالأشواك، وأن هذه الأشواك تمتد في بلادنا كي تشمل النواحي المهنية والأمنية والقانونية والسياسية والثقافية، وحتى الذهنية والنفسية والاجتماعية.

فأولاً، من الناحية المهنية، لم تنتشر بعد في مؤسساتنا الصحفية ثقافة الجودة التي تتطلب إدارةً متفهمة وتدريباً متواصلاً وفريقاً متكاملاً وميزانية واقعية ووقتاً كافياً لعملية الإنتاج. ورغم أن من النادر أن تجد مديراً أو رئيساً للتحرير لا يتغزل في مزايا التحقيقات الصحفية المتعمقة فإن من النادر أيضاً أن تجده متحمساً لـ - وقادراً على - ترجمة ما يقول إلى واقع، لأسباب تتعلق به هو نفسه أحياناً وتتعلق أحياناً أخرى بما يعتقد أنه أكبر منه. وإذا لم نستطع التغلب على هذا النوع من المشاكل المرتبطة بمطبخنا نحن الصحفيين فلن نستحق ببساطة شرف البدء في مواجهة النوعيات الأخرى من المشاكل.

ثانياً، من ناحية الأمن الشخصي، إن خير دليل على مقولة أن الصحافة «مهنة البحث عن المتاعب» هي هذا اللون من الصحافة. وهو ما يضع مفهوم «حساب المخاطرة» في قلب العمل الاستقصائي انطلاقاً من مبدأ أنه لا يوجد خبر يستحق أن يموت الصحفي من أجله. ورغم بداهة هذا المبدأ فثمة أسباب كثيرة تدعونا إلى القلق، خاصةً في منطقة من العالم حديثة العهد بهذا اللون الصحفي المتطلب، مليئة بصغار الصحفيين الذين يتلهفون على إثبات ذواتهم في ظل غياب أبسط درجات الاحتياط. إنها توليفة مبشرة لكنها يمكن أن تتحول بسهولة إلى توليفة مدمرة. يقع جانب من المسؤولية لتفادي ذلك على أقسام الإعلام في الجامعات وعلى المؤسسات الصحفية من خلال ما يمكن أن توفره من إعداد علمي و معنوي ومادي متوافق مع بيئة التحقيق. لكنّ الجانب الأكبر من المسؤولية يقع على عاتق الصحفي نفسه؛ فهو الذي سيموت إذا كان لابد أن يموت أحد وهو الذي يمكن أن «يقرر» أن يعيش كي يتمكن من كشف ملابسات موضوع آخر.

ثالثاً، من الناحية القانونية، لا يخلو أي تحقيق صحفي جاد من زاوية قانونية؛ فالصحافة الاستقصائية تركز بوجه خاص على أمور غامضة معقدة لها عادةً علاقة بالفساد والإهمال، وتسعى في معظم الأحيان إلى الإجابة عن أسئلة تبدأ بـ «كيف؟» و «لماذا؟»، و تطبق في سبيل الحصول على ذلك أحياناً أدوات وأساليب ربما لا تتمتع بالمستوى المثالي من الشفافية والقانونية. ولا شك هنا في أن التحدي الأكبر يكمن في أن تحصل على سبق صحفي دون أن تضطر إلى كسر القانون أو إلى التخلي عن الأخلاق. يتطلب ذلك

بطبيعة الحال ثقافة قانونية حادة وقراءةً متأنية لمعطيات التحقيق وتوثيقاً لا لبس فيه للمعلومة وصياغة دقيقة للكلمة.

رابعاً، من الناحية السياسية، لا تزال غالبية الحكومات العربية ترى في تمكين المواطن من المعلومة خطراً على استقرارها، وهي حقيقة لا بد للصحفي الاستقصائي أن يفهمها وأن يضعها بذكاء في إطار الواقع دون أن يتخلى عن هدفه الذي خُلق من أجله: الوصول إلى الحقيقة وإيصالها إلى المواطن، حاكماً كان أو محكوماً. وبالنظر إلى واقع العالم العربي فإن ذلك يعني في معظم الأحيان تقلص مساحة احتمال الخطأ أمام الصحفي وهو ما يمثل تحدياً مشوقاً يضاف إلى التحديات الأخرى. لا تختلف كثيراً الآليات التي تحكم علاقة الصحفي بالسياسي عن تلك التي تحكم علاقته بأي مصدر آخر مهما ضعفت سلطته؛ فكلاهما يريد أساساً أن «يستخدم» الصحفي لغرض أو لآخر. لكنّ أمام الصحفي دائماً طريقاً ثالثة إذا استطاع تحديدها استطاع الوصول إلى ما يريد واستطاع أيضاً أن يعيش ليوم آخر.

خامساً، من الناحية الثقافية، من الصعب للصحافة الاستقصائية ان تزدهر في في منطقتنا لأن الثقافة العربية ثقافة شفهية في أساسها ولا تهتم بالارقام والاحصاءات والنسب بقدر ما تفضل الكلمات والايقاع والتركيب. لحسن الحظ فإن هذا لا يقف عائقا امام هذه النوع من الصحافة. فإن تمرس الصحفيين في استخدام ادواتهم المهنية قد يتحول الى امتياز. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في الفهم العام - او ندرته - لدى مجتمعاتنا في فهم مغزى التحقيقات الاستقصائية. ولا يزال يتوجب علينا تثقيف الرأي العام ليكون الى جانبا وإلا تحول الصحافي الاستقصائي الى متهم او جاسوس اذا ما اراد مثلا معرفة عدد الرجال المصريين الذين تزوجوا نساءً يحملن جوازات سفر إسرائيلية.

وأخيرا، أثبتت تجربة شبكة أريج خلال السنوات الثلاث الماضية (كتب هذا النص عام (2009) أنه ليس بالضرورة أن تتطرق مواضيع التحقيقات الاستقصائية إلى قضايا تصنف في خانة القضايا السياسية الحساسة المرتبطة بفساد ما قد يمارسه نافذون في عالم المال والتجارة، أو في دهاليز السياسة كما حال فضيحة «وترغيت» (1972-1974) التي أطاحت الرئيس الأمريكي الجمهوري ريتشارد نيكسون أو بالجريمة المنظمة من الاتجار بالبشر وتهريب المخدرات. ولكن بإمكان الصحفي الاستقصائي العربي معالجة قضايا وظواهر اجتماعية مهمة تبدأ بتلوث البيئة، سلامة مياه الري، صلاحية الحافلات العامة، وسلامة ألعاب الأطفال البلاستيكية، وانتهاء بالأخطاء الطبية المتكررة، ومكاتب خدمات طلابية غير مرخصة تدعي أنها تابعة لجامعة افتراضية في أوروبا أو العالم العربي، ليكتشف المنتسبون إليها لاحقا أنها مطابع لإصدار شهادات مزورة.

مقدمة الطبعة الثانية

دليل أريج التدريبي

هدف صحافة الاستقصاء الإحترافية لا يتعلق بالبحث عن النجومية أو الثأر أو الإبتزاز، وإنما بكشف المستور وتوثيق قضايا المجتمع على أمل لفت انتباه الجهّات المتسببة للتجاوزات (بقصد أو بالإهمال)، وتحقيق أركان السلطة الرابعة: العدالة، الشفافية وترسيخ مبدأ المساءلة.

يضع هذا الدليل بين يديك حزمة نصائح حول أساليب وتقنيات تتعلق بأساسيات صحافة الاستقصاء Investigative Journalism التي لّما تتجذّر بعد وفق منهجية متقدمة في غرف الأخبار العربية - المرئي والمسموع، المقروء والمواقع الإلكترونية الإخبارية.

تأمل أريج أن يغلق هذا الدليل الإرشادي فجوة في أدبيات مهنة المتاعب. فغالبية المراجع التدريبية ذات الصلة بصحافة الاستقصاء تكرّس حيّزاً كبيراً لمسألة البحث عن المعلومات. وتفترض أن الإعلامي سيكون قادراً على كتابة قصة حيويَّة، بمجرد العثور على ضالته من المعلومات.

أما نحن - القائمون على إعداد أول دليل تدريبي في العالم العربي يلخّص منهجية شبكة أريج - فلا نوافق على ذلك الإفتراض. لأننا بصراحة لا نعتقد أن المسألة الأساس مجرد العثور على المعلومات. بل نؤمن بأن المهمة المركزية تكمن في رواية قصة مكتملة الأركان تكشف قضية عامة لها مساس بحياة الناس، وذلك من خلال تطوير فرضية قابلة للنفي أو للتأكيد بعد جمع معلومات تتحول - في المحصلة- إلى حقائق ساطعة لا لبس فيها.

يفضي ذلك إلى الابتكار المنهجي لدليل أريج: استخدام القصّة (القضية مثار التقصي) باعتبارها اسمنتا تلتصق به كل خطوة من خطوات العملية الاستقصائية؛ بدءا بالبحث عن المعلومات مرورا بكتابة النص وانتهاء بمراقبة الجودة وموافقة محام على النسخة النهائية قبل نشرها.

في أريج نسمي هذه التقنية «التحقيق القائم على فرضية» -- Hypothesis

Inquiry-Based. وأي قصة (قضية) تظل في إطار الفرضية إلى أن يتم إثباتها أو دحضها. ومن خلال ذلك يدرك الإعلامي - بسهولة أكبر- المعلومات التي يجب أن يسعى وراءها، وكيف يفسّرها في سياق السرد النهائي.

كما يستطيع أي مُحَرِّر أو ناشر أن يُقيِّم - بيسر- جدوى المشروع الاستقصائي وكلفته من حيث الجهد، المال والوقت، وصولا إلى تنفيذه وفق المخطط المقترح، وأيضا معرفة انعكاسات القصة على المجتمع.

وبينما يتقدم البحث ويتطور، سيساعد أسلوب شبكة أريج الفريق الإعلامي أو الاستقصائي على تنظيم مواده وإعدادها لمرحلة الكتابة، وصوغ أجزاء محدَّدة من القصة النهائية.

كذلك تسهّل هذه التقنية مراقبة الجودة وقياس مدى التزام القصة بالمعايير القانونية والأخلاقية.

وفي المحصلة، تكون النتيجةُ قصةً يمكن اختصارها في بضع جملٍ فعّالةٍ ومؤثرة ونشرها.

نحن في أريج لا نزعم أننا ابتكرنا أسلوب التحقيق القائم على فرضية. إذ استُخدمت سابقاً أساليب مشابهة في مناحي مختلفة؛ منها الاستشارات التجارية، العلوم الاجتماعية والعمل الشرطي. ويقتصر جهدنا على تكييف الآلية وتطبيقها في العمل الصحفي، لتحقيق أهداف الصحافة الاستقصائية القائمة على تسليط الضوء على مشاكل الناس.

دام إعداد هذا الدليل الاول باللغة العربية أزيد من عامين. ثم أضيّفت إليه تقنيات وأمثلة أخرها في هذه النسخة الثانية (نهاية)2014. وتطلّب الأمرتعاون جميع المحررين والمشرفين والصحافيين الذين تدربوا على استخدام أسلوب عمل الشبكة خلال السنوات. الفضل الأكبر يعود للبروفسور مارك هنتر- أستاذ الإعلام والصحافة الاستقصائية في جامعتي باريس2- وانسياد ومؤلف عدة كتب استقصائية؛ منها كتاب عن اليمين السياسي في فرنسا. وساندت جهوده مديرة أريج التنفيذية رنا الصبّاغ والزميلة بيا ثوردسن، عضو مجلس إدارة الشبكة وعضو مجلس إدارة جمعية الصحافيين الاستقصائيين سابقا في الدنمارك؛ إذ وضعتا تصوَّرا لهذا المشروع الرائد.

بالنسبة للدكتور هنتر، جاءت هذه الفكرة في اللحظة المناسبة، سيما وأنها شكَّلت امتدادا لأنشطته السابقة، وبالتحديد أطروحته لدرجة الدكتوراه التي قارنت

بين الأساليب الاستقصائية الفرنسية والأمريكية. ثم تولّى منصبا في معهد الصحافة الفرنسي (Institut Francais de Presse) في جامعة باريس/ بانثيون - أساس (Pantheon-Universite de Paris/ Assas)، حيث استفاد على مدى عشر سنوات من صحبة زملاء ملتزمين، طلبة ماجستير متحمسين قبل أن يباشر العمل كمستشار مع شبكة أريج عام 2006. وساعدت هاتان المجموعتان من الروّاد في الجامعة د. هنتر على خوض اختبار ميداني للعديد من الأساليب التي يتبناها في هذا الدليل.

في 2001، بدأ الدكتور هنتر ما ظنّ أنه سيكون إجازة عمل في إنسياد INSEAD، كلية التجارة الدولية. وتحوّل منصبُ بحثٍ مؤقتٌ إلى موقع أستاذيّة إضافي، والأهم أن ذلك مكّن د. هنتر من الاستفادة من وجهات نظر وخبرات زملاء عديدين مثل إيف دوز Yves Doz، لودو فان دير هايدن Ludo Van der Hayden وكيفن كالسر Kevin Kalser. ذلك أن هؤلاء الباحثين أجبروه على التفكير بشكل أكثر تجريداً في ممارسات وسائل الإعلام، وأيضا الكيفية التي يمكن من خلالها تحسين العملية الاستقصائية في مجالات أوسع، بما فيها الصحافة.

وكسائر الرفاق المشاركين في تأليف هذا الدليل، كان د. هنتر في الوقت ذاته منخرطاً في ممارسة صحافة الاستقصاء. وهو يستذكر تأسيس شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية Global Investigative Journalism Network عام 2001، كمنصة استثنائية لتبادل فضلى التقنيات في عالم الاستقصاء.

وأظهرت التشبيكات الصحافية أن أسلوب التحقيق الاستقصائي القائم على قصة تستند إلى فرضية كانت منهاجا يجرّب بشكل مستقل في عدة بلدان. كان د. هنتر والزميلة ثوردسون من بين الأعضاء المؤسسين لتلك الشبكة، إلى جانب اثنين من القياديين هما نلز ميولفاد Nils Mulvad من المعهد الدنماركي للتغطية الإعلامية بمساعدة تقنيات الكمبيوتر (Computer-Assisted Reporting for Danish Institute) وبرانت هيوستن Brant Houston من منظمة محررون وإعلاميون استقصائيون (Reporters Investigative and Editors).

وبالتالي استفاد دليل أريج مباشرة من خبرة شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية، لأن الأخيرة وفرّت محطة تلاق مع الذين ساهموا معنا في بلورة منهجية الشبكة. ومن المفيد التذكير أن المؤلف المساعد الرئيس لهذا الدليل، السويدي نلز هانسون Nils Hanson، أعطى دورات تدريبية مع الشبكة العالمية منذ تأسيسها. واكتشف الزميل الهولندي لوك سنغرز Luuk Sengers أن بناء الفرضية كأساس للتحقيق الصحافي يمكن أن يُطبّق على إدارة المشروع من ألفه إلى يائه. وطوَّر الدنماركي فلمنغ سفيث Flemming Svith أدوات

كومبيوترية فعّالة وبسيطة لتنظيم الاستقصاءات. ونجح الزميل الأمريكي المقيم في البلقان درو سوليفان Drew Sullivan في تحديد مسارات التقصي فيما يتصل بالجريمة المنظَّمة. ونجحت تقنيته في حالات عديدة أخرى. والأهم من ذلك، أن النُصح والنقد الإيجابي من المشاركين في مؤتمر الشبكة الذي يُعقد كل عامين، يؤكدان الحاجة إلى الإرشادات الموجودة في دليل أريج، المطبوع بدعم سخي من منظمة اليونيسكو (UNESCO).

تعززت عملية التطوير التراكمية بإنشاء مركز لندن للتغطية الاستقصائية London Centre for Investigative Reporting ومدرسته الصيفية Summer School السنوية. إذ ساهم ذلك في استكشاف طرق جديدة لتعليم السرد القصصي بناء على أسلوب الفرضية. وأخيراً، وفّرت عشرات الورش التدريبية برعاية أريج فرصة لاختبار الأفكار الواردة في هذا الدليل أثناء تأليفه، وفي إطار التنوع الثقافي.

وقد قرأ مسودة هذا الدليل وراجعه إعلاميون مخضرمون من العالم العربي، معظمهم انضموا للشبكة كمشرفين. وهم من الأردن: رنا الصباغ، جورج حواتمة، سعد حتر، محمود الزواوي، ومن فلسطين ،هشام عبدالله، ومن سورية: إبراهيم ياخور، الدكتور مروان قبلان، علي حسون وحمود المحمود، ومن لبنان: ندى عبد الصمد، بيسان الشيخ، وحازم الأمين، ومن مصر: يسري فوده، وعمر كحكي.

صحافة الاستقصاء تختصر على أنها مهنة ومهارة. وهي أيضاً عائلة منتشرة حول العالم. د. هنتر والزملاء الأجانب والعرب يبدعون في كنف هذه العائلة، ويتابعون ازدهارها. وهذا الدليل مدخلُكَ إلى العائلة. فنحن في شبكة أريج نرحب بك فردا فاعلا، نتشرّف بك ونحترمك لحرفيّتك وأخلاقك المهنية الرفيعة والتزامك الخلقي تجاه مجتمعك.

أسرة أريج

الفصل الأول:

ما هي صحافة الاستقصاء؟

كيف تعمل، ولماذا يتحتم علينا خوضها؟

ما هي صحافة الاستقصاء؟
كيف تعمل، ولماذا يتحتم علينا خوضها؟

● مارك هنتر و نلز هانسون*
Mark Hunter and Nils Hanson

صحافة الاستقصاء ليست تغطية عادية لخبر ما، بل هي أعمق من ذلك. ولا يزال القرّاء والصحفيون غير متفقين على تحديد هوية صحافة الاستقصاء بعد أكثر من 35 عاما على فضيحة ووترغيت التي أنهت الحياة السياسية للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام 1974. وهذا ما نعتقده نحن مؤلفو هذا الفصل:

من بين مهام صحافة الاستقصاء كشف أمور خفيّة للجمهور - أمور إما أخفاها عمداً مسؤول في السلطة أو اختفت صدفة خلف رُكام من المعلومات. ويتطلب الاستقصاء استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية.

تعتمد التغطية الإخبارية التقليدية بصورة عامة - وأحيانا كليّاً - على مواد ومعلومات يوفّرها آخرون (في الشرطة والحكومات والشركات العامة والخاصة ... إلخ). وتعتمد أيضا على جمع ردود فعل متعددة حيالها. وعلى العكس من ذلك، تعتمد التغطية الاستقصائية على مواد جُمعت أو استُقيت بمبادرة شخصية من الإعلامي. ولهذا فإنها تُسمّى أحياناً «صحافة المشروع الذاتي» (Enterprise Reporting).

تستهدف التغطية الإخبارية التقليدية رسم صورة موضوعية للعالم كما هو. أما التغطية الاستقصائية، فتستخدم - بطريقة موضوعية- مواد ومعلومات تتحول إلى حقائق يوافق أي مراقب عقلاني على أنها حقيقية.

* نلز هانسون: عضو مجلس إدارة شبكة اريج ورئيس تحرير اشهر برنامج استقصائي أسبوعي عبر شاشة التلفزيون السويدي

يحرك الصحافي الاستقصائي هدف ذاتي غير موضوعي يتمثل برغبة في إصلاح العالم. فمن المسؤولية أن نعرف الحقيقة كي نتمكن من تغيير العالم.

خلافاً لما يحب بعض المحترفين قوله، فالصحافة الاستقصائية ليست مجرد صحافة تقليدية جيدة وحسنة التنفيذ. صحيح أن شكلي الصحافة هذين يركزّان على خمسة عناصر هي: من، ماذا، أين ومتى؟ ولكن العنصر الخامس للتغطية التقليدية "لماذا"، يقترن في الاستقصاء ب "كيف"؟ ولا يتم تطوير العناصر الأخرى كميّاً فقط، بل ونوعياً أيضاً.

"من" ليست مجرد اسم ولقب، بل شخصية ضمن شخوص متحركة لها صفة وأسلوب مميزان.

"متى" ليست مجرد حاضر وقوع الأخبار، بل سياقا تاريخيا للسرد.

"ماذا" ليست مجرد حدثٍ، بل ظاهرة لها أسباب ونتائج.

"أين" ليست مجرد عنوان، بل موقعا أو مكانا تصبح فيه إمكانية وقوع أحداث معينةٌ ممكنة أكثر أو أقل.

هذه العناصر والتفاصيل تمنح صحافة الاستقصاء - في أفضل أحوالها - ميزة فنيَّة تُعزز أثرها العاطفي على المتلقي.

باختصار، ورغم أن الإعلاميين قد ينتهجون التغطية اليومية التقليدية والعمل الاستقصائي في مجرى مهنتهم، فإن كلا النوعين يشملان أحياناً مهارات وعادات عمل وعمليات وأهدافا مختلفة جداً، وهي مفصَّلة في الجدول التالي. ولكن يجب على القارئ أن لا يقرأ هذه الاختلافات على أنها تعارضات متناقضة. على العكس من ذلك، حين ينسجم عمل الصحفي بشكل أكبر مع الجانب الأيسر من الجدول، فذلك يعني أنه يقوم بتغطية تقليدية؛ وحين ينتقل عمله إلى يسار الجدول، يبدأ الإعلامي بالتصرف بأسلوب استقصائي.

يتطلب العمل الاستقصائي مجهودا أكبر بكثير من الصحافة العادية. لكنك تستطيع إنجاز كل خطوة من الخطوات العملية بكفاءة ومتعة وستشعر بأن مردود الاستقصاء كبير -- بالنسبة للجمهور، لوسيلتك الإعلامية ولك.

للجمهور: يحب المشاهدون القصص التي تُقدِّم لهم قيماً إضافية - أي معلومات لا يعثرون عليها في أي مكان آخر، ويستطيعون الثقة بها. يمكن للمعلومات أن تكون عن السياسة أو الشؤون المالية أو المنتجات التي يستخدمونها

الصحافة التقليدية ⟵	صحافة الاستقصاء
البحث	
تُجمع المعلومات وتُنشر/ تبث وفق إيقاع ثابت (يومياً، أسبوعياً، شهرياً)	لا يمكن نشر المعلومات إلا إذا تم التأكد من اكتمالها وترابطها.
يكتمل البحث بسرعة. ولا يتم القيام بأي بحث آخر بعد أن تكتمل القصة.	يستمر البحث إلى أن يتم التثبت من القصة، وقد يتواصل بعد نشرها/ بثّها..
تقوم القصة على حد أدنى من المعلومات ويمكن أن تكون قصيرة جداً.	تقوم القصة على الحد الأقصى من المعلومات المُحصَّلة، ويمكن أن تكون طويلة جداً.
يمكن لتصريحات المصادر أن تحلّ محلّ التوثيق	تتطلب بحثا ميدانيا وتوثيقاً لدعم تصريحات المصادر أو نفيها.
العلاقات بالمصدر	
الثقة في المصدر مُفترضة، وفي الأغلب دون التحقق منها	لا يمكن افتراض الثقة بالمصدر؛ فقد يُقدّم المصدر معلومات مزيفة أو مضلّلة؛ ولا تستطيع استخدام أي معلومات دون التحقق منها.
تُقدم المصادر الرسمية المعلومات للإعلامي مجاناً، لتُعزز دورها وتروج لأهدافها.	تُخفي المعلومات الرسمية عن الإعلامي، لأن كشفها قد يعرّض مصالح السلطات أو المؤسسات للخطر.
لا مجال أمام الصحافي إلا قبول الرواية الرسمية للقصة، رغم أنه يمكن أن يعارضها بتعليقات أو بيانات من مصادر أخرى.	يتحدّى الإعلامي بصراحة الرواية الرسمية للقصة أو ينفيها، بناء على معلومات يستقيها من مصادر مستقلة.

يتصرف الإعلامي بمعلومات أقل مما تتصرف بها معظم مصادره أو كلّها	يجمع الإعلامي ويتصرف بمعلومات أكثر مما يتصرف به أي مصدر منفرد من مصادره، وبمعلومات أكثر مما يتصرف بها معظم مصادره أو جميعها
المصادر مُعرّفة غالبا.	أحيانا لا تعرّف المصادر لضمان أمنها.
النتائج	
يُنظر إلى التحقيق الصحافي كانعكاس للعالم الذي يقبله كما هو. ولا يأمل الإعلامي في الوصول إلى نتائج أبعد من مجرد إخبار الجمهور بموضوعه.	يرفض الإعلامي قبول العالم كما هو. فهدف القصة اختراق وضع معين أو تعريته، كي يصلحه، يدينه، أو – في حالات معينة– يعرض مثالا نحو طريق أفضل.
لا يتطلب التحقيق الصحافي انخراطاً وحماسا شخصياً من الإعلامي.	دون انخراط شخصي وحماس من الإعلامي، لن تكتمل القصة أبداً.
يسعى الإعلامي لأن يكون موضوعياً قدر المستطاع دون تحيُّز لأي طرف في القصة أو حكم عليه.	يسعى الإعلامي لأن يكون عادلاً ومدققاً في حقائق القصة، وبناء على ذلك، قد يحدد ضحاياها وأبطالها ومذنبيها. وقد يقدّم الإعلامي أيضاً حكماً على القصة أو يتخذ أو يصدر قراراً بشأنها، بالاستناد إلى مصادره.
البنية الدرامية ليست مهمة جدا في التحقيق الصحافي. وليس للقصة نهاية، لأن الأخبار مستمرة.	بنية القصة الدرامية ضرورية لتأثيرها، وتقود إلى استنتاج يقدِّمه الإعلامي أو مصادره.
قد يرتكب الإعلامي أخطاءً، ولكنها حتمية وعادة ليست مهمة.	تُعرِّض الأخطاءُ الإعلاميَ لجزاءات رسمية أو غير رسمية، يمكن أن تُحطم مصداقيته وتؤثر على سمعة وسيلته الإعلامية.

في منازلهم. وما يهم أن حياتهم يمكن أن تتغير بما يمكننا كشفه في هذه المواضيع. إذاً، لاحظ كيف أن الصحافة الاستقصائية ليست فقط منتجاً إعلاميا، إنها خدمة تجعل حياة الناس أفضل.

لوسيلتك الإعلامية: لا تسمح لأي شخص بأن يقول لك إن الاستقصاء ترف بالنسبة لوسائل الإعلام الإخبارية، لأن وسائل الإعلام التي تنفذ استقصاءات بكفاءة، وتستخدمها لإغناء قيمتها، قد تحقق أرباحا مالية. (ليست الأسبوعية لو كنار إنشين Le Canard Enchainé في فرنسا ومجموعة الإكونومست The Economist Group في المملكة المتحدة إلا مثالين مختلفين، حيث تكتفي الاولى بمردود البيع الاشتراكات، والايكونوكست تعتمد على جزء في الاعلانات). وفي العالم العربي ثمة أمثلة رائدة ترعرت لدى أريج منها برنامج يعتمد منهجية الاستقصاء بإسم «تحت طائلة المسؤولية» في تلفزيون الجديد بلبنان، و «البعد الرابع» في تلفزيون رؤيا الاردني. وأنشأت مؤسسات اعلامية قائمة بدعم فني وتقني من أريج: ردايو البلد وصحيفة الغد في الاردن، إضافة الى صحف المصري اليوم واليوم السابع ووطن وتلفزيون النهار و أون تي في (جميعهم في مصر)

ووكالة انباء تونس أفريقيا الرسمية وصحيفة المغرب (تونس) وتلفزيون وطن في رام الله ووكالة أنباء معا في بيت لحم وصحيفة الحياة اللندنية. هذه المؤسسات انشأت وحدات استقصائية بدعم فني وتقني من شبكة أريج.

لك: في العقود التي أمضيناها في تدريب الصحافيين الاستقصائيين، كثيراً ما سمعناهم يتساءلون: "ألن أخلق لنفسي أعداء"؟ والحقيقة هي أنك إن قمت بعملك على نحو دقيق، ستصنع أصدقاء أكثر مما ستخلق أعداء. كما ستكون معروفاً بشكل أفضل في المهنة وخارجها. وستُقيَّم مهاراتك بشكل أفضل في سوق العمل؛ وسواء بقيت صحفياً أم هجرت هذه المهنة، لن تجد أبداً صعوبة في العثور على عمل آخر. فالصحافيون الذين يفتقرون للمهارات الاستقصائية يمكن استبدالهم بسهولة.

الأهم أنك - كفرد- ستتغير بطرق عديدة مدهشة. ستصبح أقوى، لأنك ستعرف أنك قادر على العثور على الحقيقة بنفسك، بدلاً من انتظار شخص ما ليُقدِّمها لك. وستتعلم كيفية التغلب على مخاوفك وأن تنصت لشكوكك. وستفهم العالم بطريقة جديدة أعمق. باختصار، المردود سيكون كبيرا جداً إلى حدٍّ سيساعدك- إن كنت مهتماً بالصحافة وبمستقبلك- على أن تقَدِّم لنفسك ولمشاهديك ولزملائك القيمة الإضافية التي يخلقها الاستقصاء. وهذا ما حصل مع عديد الصحافيين العرب ممن تدربوا على منهجية أريج وانجزوا اكثر من تحقيق استقصائي بدعم الشبكة ومنهم:

سهير جـــرادات ومصعـــب الشـــوابكة وعمـــاد الرواشـــده ومجدولين علان

وأبراهيم قبيلات وصبا ابو فرحة ومحمد عرسان وحنان خندقجي ومجدولين علان ورائدة حمرا (الأردن) وعطاف الروضان وفي مصر علي زلط وهشام علام ومها بهنساوي ودارين فرغلي ومحمد زيدان وعبدالرحمن شلبي ووائل ممدوح وعبد الوهاب عليوه ومحمد فرغلي ومروى ياسين ومحمد القزاز ومحمد السعيد وصالح رمضان ومحمد عبد العال ونعمان سمير وسعادة عبد القادر ومصطفي المرصفاوي وعلي السطوحي وأحمد سيلمان وفي تونس حنان زبيس والعراقيان عمار الصالح وميادة داوود حالهم حال مؤسسي شبكة الصحافة الاستقصائية في العراق (نيريج) وفي فلسطين محمد عثمان وهدى بارود وحسن دوحان وزهير دولة وفي البحرين هناء بوحجي وفي اليمن غمدان الدقيمي ووديع العبسي وخالد الهروجي وعبدالناصر الهلالي ومحمد الاحمدي وفي لبنان بيسان الشيخ وعمر وهبه وكارول كرباج ورياض القبسيس ورامي الامين وسهيل حاتوم ورونا الحلبي وفي سورية علي حسون وحمود المحمود ومحمد البسيكي

اختيار القصة

طالما يتساءل الإعلاميون المبتدئون: «كيف نختار قصة لنستقصيها"؟ ويجدون،في العادة، صعوبة في العثور على واحدة من تلك القصص. ولكن كما قال لي أحد طلبتي ذات مرة، «المادة موجودة في كل مكان». إذن المشكلة هي في رؤيتها. ولحسن الحظ توجد طرقٌ عديدة لاستشعار قصة تستدعي الاستقصاء.

تتمثل إحدى هذه الطرق في مراقبة وسائل الإعلام. فمن الأفكار الجيدة مراقبة قطاع إعلامي معين، كي تستطيع تحديد أنماطه، فتدرك بذلك، متى يحدث أمرٌ غير عادي. إذا أنهيت قصة وفكَّرت: "لماذا حصل ذلك"؟، فسيكون حظك جيدا في أن تجد المزيد لتستقصيه.

طريقة أخرى تتمثل في انتباهك لما يتغير في بيئتك، وأن لا تعتبر التغير أمراً عاديّاً. بدأ الإعلامي البلجيكي الشهير كريس دو ستوب Chris de Stoop استقصاءً حول الاتِّجار بالنساء بعد أن لاحظ أن بائعات هوى بلجيكيات في حيٍّ عَبَرَهُ - وهو في طريقه إلى عمله- قد أفسحن المجال لبائعات هوى أجنبيات، وتساءل لماذا؟

وتتمثل طريقة ثالثة بالاستماع إلى شكاوى الناس. لماذا يجب أن تكون الأمور على هذه الشاكلة؟ ألا يمكن فعل شيء لتغييرها؟ ففي كل مكان يجتمع الناس

فيه - أسواق، منتديات إنترنت، حفلات عشاء - ستسمع أشياء تبدو غريبة أو صادمة أو مدهشة.

وأخيراً، لا تبحث عن أفعال سيئة فقط. قد تكتب عن قضية تجري بشكل صحيح - ككشف موهبة جديدة، أو مشروع تطوير حقق أهدافه، أو شركة تخلق ثروة ووظائف. وستقدم خدمة قيِّمة لمشاهديك لدى تحديدك عناصر النجاح المتكررة أو "فضلى الممارسات". مثلا، لينا العبد في سورية افترضت بداية في تحقيق أنجزته تحت إشراف أريج أن صيادلة يستغلون ضعف تطبيق قانون ينظّم عملهم لصرف أدوية طبية تحوي مواد مخدرة أو مهدئة تؤدي إلى الإدمان. لكن بعد شهور من التقصي عبر محاولة شراء نوعين من الأدوية تحتاج لوصفة طبية مسبقة، اكتشفت لينا أن غالبية صيدليات دمشق تلتزم بعدم بيع الأدوية التي تحتوي على مواد مخدرة بدون وصفة طبية.

وتذكَّر، خصوصاً حين تبدأ، أنه لا يوجد شيء يُسمّى استقصاءً صغيراً. بناء على خبرتنا نستطيع الجزم أن المهارات الضرورية للقيام بتحقيق في قرية نائية هي ذات المهارات التي تحتاجها في العاصمة. لذا، ابدأ بالعمل على قصص تشعر بها في محيطك الآني لتبدأ بناء مهاراتك. لا تنتظر حتى تنخرط في استقصاء صعب ومتشعب كي تتعلم ما عليك فعله.

أخيراً وأولاً، اتبع مشاعرك. ولهذا المبدأ بُعدان:

الأول: ما ندعوه "عقدة الرجل المكسورة". بمعنى لا يلحظ أحدنا كم من الناس يعرجون إلى أن يتعرض لكسرٍ في ساقه. بشكل عام، نحن لا نلحظ الظواهر إلا إذا كنا حسّاسين تجاهها فعلاً. إذاً اسمح لمشاعرك أن تجعلك حسّاساً لقصص لا يبدو أن أي أحد آخر يأخذها على محمل الجِدّ.

البعد الثاني: إن لم تُدهشك قصة، تُغضبكَ أو تمنحك رغبة عارمة لرؤية شيء يتغير، يجب عليك أن لا تحاول استقصاءها لأنك لن تنجح. اقترح القصة على غيرك ممن قد تعنيه الفكرة أكثر منك. وفي حال كنت محررا مسؤولا عن صحافي يستقصي قضية معينة ولاحظت أن حماسه فتر، استرجع المهمة منه وكلّف بها شخصا آخر.

لماذا؟: يتضمن الاستقصاء عملاً إضافياً. إن لم تهتم بقصة بصورة خاصة، فلن تقوم بذلك العمل. وطبعاً عليك أن تستخدم عقلك النقدي لتنجزها، ويجب أن تحافظ على المهنية والموضوعية في مراحل العمل والظروف كافة. لكن إذا لم تَمَسْ القصة مثار البحث عواطفكَ، ستفشل في استقصائها.

ج. هل تستحق القصة كل هذا العناء؟

أُنجزت استقصاءات عديدة لأسباب خاطئة. فرغم أن العاطفة مهمة، والثأر عاطفة، فإن بعض الإعلاميين والناشرين يستعملون التحقيقات ليحققوا ثأراً شخصياً. في أحيان أخرى أنجزت استقصاءات تطلبت عملا شاقا لأنها كانت أسهل القصص المتوفرة لإعلامي ما. وكثيرا ما ينسى المُستقصون إن كانت القصةُ التي يعملون عليها مهمةً لمشاهديهم، ولماذا؟

إذاً اسأل نفسك الأسئلة التالية حين تكون في مرحلة تقييم أهمية القصةُ:

عدد الناس الذين سيتأثرون؟
ونُسمي ذلك "حجم الوحش" The size of the beast.

ما مدى قوة تأثرهم؟ (وهنا تعد النوعية بذات أهمية الكمية. فإن مات شخص واحد، أو تحطمت حياته أو حياتها، تكون القصة مهمة).

إن تأثروا إيجابياً، هل يمكن تكرار السبب (الفعل) في مكان آخر؟

أو، هل هؤلاء الناس ضحايا؟ هل يمكن تجنُّب معاناتهم؟ هل يمكننا أن نُبيِّنَ كيف؟

هل هناك مذنبون يجب أن يُعاقبوا؟ أو على الأقل، أن يُدانوا؟

هل من المهم في أي حدث قول ما حصل، حتى يتكرر أو لا يتكرر مرة أخرى؟

وإليك كيف ينظر أحدنا إلى الأمر: العالم مليء بالمعاناة، معظمها نتيجة للرذيلة والخطأ. فأي شيء يقلِّل المعاناة والقسوة يستحق الشروع به. ويؤدي الاستقصاء في العادة إلى تقليل المعاناة.

حاول وضع تلك الخدمة نصب عينيك أولاً، قبل أن تستخدمها لتطوير مهنتك. ولا تنسى أن الاستقصاء سلاحٌ، وأنك قد تؤذي آخرين به - عن عمد أو بسبب إهمالك. ففي مجرى مهنتك، قد تصبح أفضل أو أسوأ شيء حصل فيَّ حياة أشخاص آخرين. كن حذراً وأنت تختار الدور الذي ستلعبه، ولمصلحة من تلعبه، ولماذا؟ أنظر بعمق في دوافعك الشخصية قبل أن تستقصي دوافع الآخرين. إن لم تكن القصة أكثر أهمية للآخرين مما هي مهمة لك، فربما يجب أن لا ترويها.

في مجرى حياتنا المهنية، نفذنا مئات الاستقصاءات. وفي كل منها، في لحظة ما، جاء شخص ما إلينا وقال: « لماذا تسأل هذه الأسئلة كلها؟ أو ماذا ستفعل بهذه المعلومات؟ وماذا يعطيك حق التصرف بها»؟ ونحن نقول إن لم يكن لدينا جوابٌ جيدٌ عن ذلك السؤال أكثر من: «للجمهور حقٌ في أن يعرف!» يكون الاستقصاء قد انتهى. فجواب كهذا غير كاف. عادة ما نقول شيئاً يشبه هذا: «ما يحصل هنا مهمٌ، لك ولآخرين. سأروي تلك القصة، وأريد أن تكون حقيقية. وآمل أن تساعدني على كشفها وسردها».

ومهما كان ما تقول في لحظة كهذه، يجب أن تؤمن به. الأهم أن ما تقوله يجب أن يكون معقولاً للشخص الذي تتحدث إليه، أياً كان. فالناس غالبا لا يحبون الصحفيين، وأحد أسباب ذلك أنهم لا يثقون بدوافعنا. ونحن نتوقع منك أن تسهم في تغييِّرَ ذلك الانطباع.

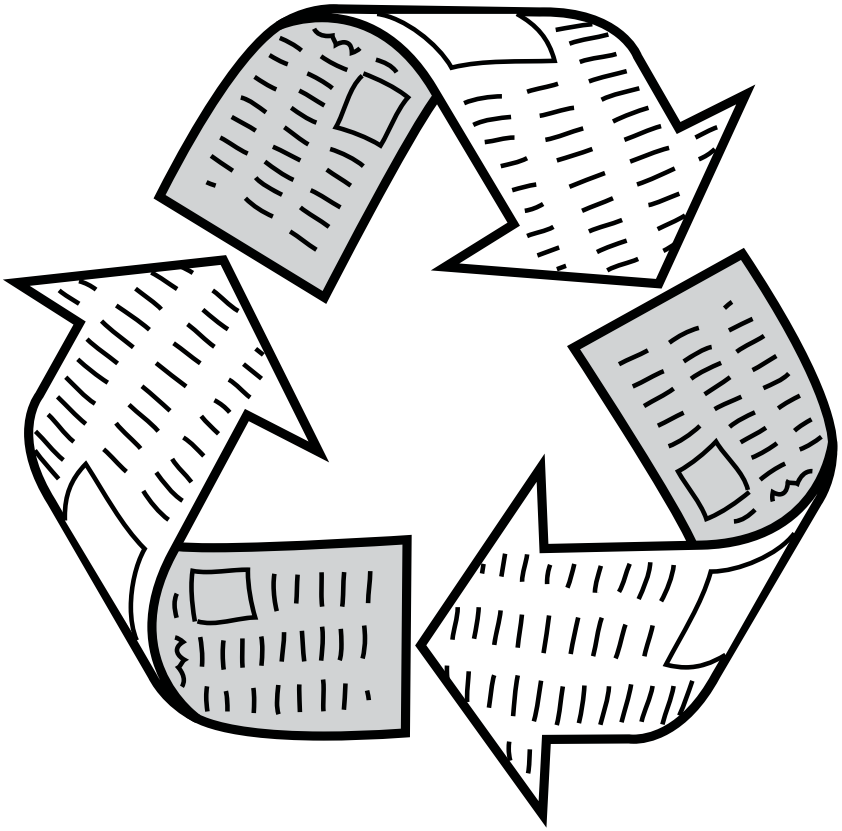

الفصل الثاني:

بلورة الفكرة واستخدام الفرضيات: جوهر الأسلوب الاستقصائي

بلورة الفكرة واستخدام الفرضيات: جوهر الأسلوب الاستقصائي

مارك هنتر، لوك سنغرز*، بيا ثوردسن**
Mark Hunter, Luuk Sengers and Pia Thordsen

العملية إلى الآن:

1. **نكتشف موضوعاً.**
2. **تتبلور فكرة التحقيق.**
3. **نطرح فرضيَّة لنتحقق منها.**

أ. الفرضيةُ هي قصةٌ وأسلوبٌ لاختبارها.

يتذمر الإعلاميون دائماً أن المحررين يرفضون أفكارهم القصصية العظيمة. من المؤكد أن ذلك يحصل. ولكن ما يرفضه المحرر، في الأغلب، ليس قصة على الإطلاق، بل دعوة لمصيبة – تحقيقاً خُطِّط له بشكل سيء وسوف يصرف مالاً ووقتاً لنتيجة مشكوك فيها. وهم محقون في ذلك.

* لوك سنغرز : عضو مجلس إدارة شبكة اريج وصحافي متخصص بالبيئة ، محاضر صحافة وإعلام ومؤلف مشارك في إعداد هذا الدليل.
** بيا ثوردسن : عضو مجلس إدارة شبكة اريج ، ومراسل صحافي في التلفزيون الدنماركي

على سبيل المثال، حين تقول لمحررك المسؤول «أود إجراء استقصاء عن الفساد»، لا تكون قدّمت له اقتراحاً عظيما. لماذا؟ لأن الفسادُ موجودٌ في كل مكان من العالم. وإن صرفت وقتاً كافياً في البحث عنه فستجد بعضاً منه. ولكن الفسادَ بحدِّ ذاته موضوعٌ، وليس قصةً، وما يفعله الصحفيون هو سرد قصص. فإن سعيت إلى موضوع وليس قصةً، قد تصبح خبيراً في الموضوع، ولكنك ستضيع وقتاً ومالاً وطاقة أثنَاء قيامك بذلك. وذلك هو السبب الذي يجعل أي محرر عاقل يقول لك «لا».

لكن إن قُلْتَ، بدلاً من ذلك: «إن الفساد في النظام المدرسي قد حطَّم آمال الأهالي أن يعيش أطفالهم حياة أفضل»، فإنك تروي قصة مُحَدَّدَةً. وهذا الاقتراح بحد ذاته أكثر إثارة لمحررك.

وسواء عرفتَ أم لم تعرف، فإنك تكون قد طرحت فرضيَّة - لأنك لم تثبت بعد أن قصتك هي القصة الصحيحة. إنك تقترح بأن الفساد في المدارس موجودٌ، وأن له آثاراً سلبية على فئتين من الناس في الأقل: الآباء والأطفال. قد يكون ذلك صحيحاً أو لا يكون؛ فلا يزال عليك أن تحصل على الحقائق.

في هذه الأثناء، تطرح فرضيتك أسئلة محددة يجب الإجابة عنها إن كنت تريد أن تعرف إن كانت معقولة أم لا. ويحدث هذا خلال عملية نُقطّع فيها الفرضية إلى أجزاء (أو محاور) لنجيب عن الإدعاءات المحددة المتعلقة بكل محور: تأكيدا أو نفيا. بعد ذلك، نستطيع التثبت من كل واحد من تلك الادعاءات على حدة. أكثر من ذلك، سنرى أيضاً ما نعنيه بالكلمات التي نستخدمها لنروي القصة، لأن علينا أن نكتشف ونُعرِّفَ معانيها لنعرفَ إلى أين نحن ذاهبون.

في ما يلي طريقة واقعية للنظر في هذه العملية:

أولاً، نطرح الفرضيَّة: "الفساد في النظام المدرسي يحطِّم آمال الأهالي أن يعيش أطفالهم حياة أفضل"

الآن نُقطع عناصر الفرضية إلى محاور: الفساد/ في النظام المدرسي/ حطِّم آمال الأهالي/ أن يعيش أطفالهم/ حياة أفضل/ .

بعد ذلك، نُحاول أن نعَرِّفُ كل عنصر عن كثب، ونرى أي أسئلة تُوَلِّدُها:

الفساد	"الفساد": ما الذي نعنيه بالضبط بكلمة "الفساد؟" هل هي الرشاوى، المحسوبية، الإهمال، سوء الإدارة أو المحاباة في التوظيف؟ كيف يتم ذلك في المدارس، في حال كان موجوداً أصلاً؟
في النظام المدرسي	"في النظام المدرسي": أي نوع من المدارس؟ وكم عددها؟ هل يعمل الفساد بالطريقة ذاتها في كل مدرسة؟ ما هي الأحكام التي يُفترض أن يُجرِّم الفساد؟ لماذا تظل تلك الإجراءات غير فاعلة؟ أي نوع من الناس يعملون ضمن هذا النظام، وكيف توزع مراكز القوى والمكافآت بينهم؟
حطِّم آمال الأهالي	"حطِّم آمال الأهالي": أي والِدين شهدوا فساداً؟ ما هي آمالهم؟ كيف كانوا يعتقدون أن التعليم سيساعد على تحقيق أحلامهم؟
أن يعيش أطفالهم	"أن يعيش أطفالهم": هل يعي الأطفال ما يحصل حولهم؟ إن كان الجواب نعم، كيف يؤثر ذلك عليهم؟
حياة أفضل	"حياة أفضل": هل يجعل التعليم الحياة حقاً أفضل للأطفال؟ وكيف؟

يمكنك أن تجيب عن هذه الأسئلة وفق أي ترتيب تشاء. ولكن الترتيب الأسلم هو ً ذلك الذي يمكن اتباعه بسهولة. فأي استقصاء سيصبح صعباً عاجلاً أم آجلاً، لأنه يشمل جمع العديد من الحقائق من عديد مصادر- ما يعني ضرورة تنظيم موادّكَ بشكل أفضل. كما ستواجه مشاعر القلق حول ما إذا كنت قد وصلت إلى القصة الحقيقية قبل أن تخاطر بسمعتك كإعلامي محترف.

في مثالنا الافتراضي، قد تكون البداية الأسهل هي التحدث إلى الأهل والأطفال عن آمالهم وإحباطاتهم.

حال وجدت على الأقل أربعة مصادر تؤكد وجود فساد في المدارس - أقل من أربعةٍ مصادر متطابقة قد تشكل أرضية خطرة جداً لتقف عليها - يمكنك البدء بالنظر في كيفية عمل النظام المدرسي. وستكون بحاجة لدراسة أحكامه وإجراءاته ومثالياته وأهدافه المقررة ومهمته.

حين تعرف كيف يعمل النظام، سترى المناطق الرمادية والسوداء التي يمكن أن يقع الفساد فيها.

وبعدها تستطيع مقارنة واقع ما سمعته واكتشفته مع ما يدعي القائمون على تطبيق النظام أو القانون.

ب . مزايا الاستقصاء القائم على الفرضية

هل يبدو لك أن مثال المدارس يتطلب كثيراً من العمل؟ قد يكون ذلك هو الواقع، لكن فقط إذا قارنته بالطريقة التي تكتب بها معظم القصص الإخبارية، أي بالتحدث إلى مصدر أو مصدرين أو بإعادة كتابة بيان صحفي. فإن قارنت الأسلوب الافتراضي بمعظم طرق الاستقصاء الأخرى، ستكون مزايا توفير الوقت في حالتنا واضحة.

1. يمنحكَ أسلوب الفرضية شيئاً لتتحقق منه، بدلاً من محاولة كشف سرٍ ما.

الناس لا يكشفون أسرارهم بلا سبب وجيه. وهم أكثر استعداداً لتأكيد المعلومات التي بحوزتك لأن الناس يكرهون الكذب. الفرضية تُمكنكَ من أن تسألَ سؤالا محددا لكي تؤكدَ شيئا ما. وهي تضعكَ أيضاً في موقف المُنفتح على اكتشاف أكثر مما هو موجود في القصة، لأنك مستعدٌّ لقبول حقائق أبعد مما ظننت أنها موجودة عندما بدأت العمل الاستقصائي.

2. تزيد الفرضية فُرصك في اكتشاف أسرار.

كثير مما ندعوه «أسراراً» هو، بكل بساطة، حقائق لم يسأل أحدٌ عنها أبداً. للفرضية أثر نفسي يجعلك أكثر حساسيّة واستشعاراً للمادة، بحيث تستطيع أن تسأل تلك الأسئلة بطريقة واضحة. وكما قال الصحافي الاستقصائي الفرنسي إدوي بلينيل Edwy Plenel: "إذا أردت العثور على شيء، عليك البحث عنه".

3. الفرضية تجعل إدارة مشروعك أكثر سهولة.

بعد أن تكون قد عرَّفت وحددت ما تبحث عنه، ومن أين تبدأ البحث عنه، تستطيع تقدير الزمن الذي تتطلبه خطوات الاستقصاء الأوليّة. تلك هي الخطوة الأولى للتعامل مع الاستقصاء كمشروع تستطيع إدارته. وسنعود إلى هذه النقطة في نهاية هذا الفصل.

4. الفرضيَّاتُ أدواتٌ تستطيع استخدامها مراراً وتكراراً.

عندما تعمل بطريقة منهجية، ستشعر قطعا أن مهنتك تتغير. والأهم، ستتغير أنت. فلن تحتاج بعد ذلك شخصاً يقول لك ما عليك فعله. وسترى ما يجب فعله لمواجهة بعض فوضى ومعاناة هذا العالم، وستكون قادراً على تحقيق نتيجة عبر لفت أنظار الرأي العام والمسؤولين. ألم تصبح صحفياً لأجل ذلك في المقام الأول؟

5. عملياً، تضمن الفرضية أنك ستقدم قصة، وليس فقط كمية من المعلومات.

تذكر أن المحرّرين يريدون ضمان الحصول على قصة لينشروها بعد صرف فترة زمنية محددة واستثمار موارد من خلال عملك الاستقصائي. والفرضيّة تزيد فرصة الوصول إلى تلك النتيجة، إذ تُمكِّنُكَ من توقّع حدٍّ أدنى لعملك وحدٍّ أقصى، وبالمثل توقع الأسوأ.

الأسوأ هو أن يُبيِّنُ التحقق الأولي من الفرضية عدم وجود قصة، فيجري إنهاء المشروع دون تضييع موارد مهمة وجهد ومال.

يتمثل الحد الأدنى من النتيجة الإيجابية بأن تكون الفرضيَّة الأوليَّة التي وضعتها صحيحةً، ويمكن إثباتها بسرعة.

وفي الحد الأقصى إذا كانت هذه الفرضيّة صحيحة، فمنطقياً لا بد للفرضيَّات الأخرى أن تتبع المسار ذاته، وسينتج عن ذلك إما سلسلةٌ قصص متشابهة أو قصة واحدة كبيرة.

وهناك مزايا أخرى، ولكن قبل أن نذهب بعيداً، علينا أن نحذرك مما يلي:

ج. يمكن أن تكون الفرضيَّاتٌ خطرةً

الإعلاميّون المبتدئون حذرون ازاء ما قد يحدث لهم حين يحصلون على قصة صحيحة. هل سيثأر أحد منهم؟ هل سترفع شكوى ضدهم؟ أما أصحاب الخبرة فيعرفون أن المشاكل الأسوأ تحدث حين يثبت أن القصة خطأ. طبعاً يمكن أن يُحاكموا، ويمكن أحياناً أن يُلقى بهم في السجن، سواء أكانوا مُحقِّين أو مخطئين.

نرجوك إذاً أن تحتفظْ بهذا الأمر في ذهنك: إن كنت فقط تحاول أن تثبت، وبأي ثمن، أن فرضيَّة ما صحيحة، خلافاً للوقائع، فستلتحق بركب كذَابي العالم المحترفين. نخوض الاستقصاء بحثا عن شيء أكثر من مجرد إثبات أنك محقٌّ بما تفترض. إنّه العثور على الحقيقة. والاستقصاءُ القائم على أسلوب الفرضيَّة أداةٌ للحفر والنبش عميقاً بحثاً عن الحقيقة، ولكنها تستطيع أيضاً حفر قبر عميق للبريء أذا أصرّيت على حذف الحقائق التي تدحض فرضيتك. تذكر أن سوء استخدام الفرضيّة هو إحدى طرق ذهاب الصحفي إلى الجحيم. لذا عليك أن تكون صادقاً وحريصاً وأنت تستخدم الفرضيّات: حاول دحضها كما تحاول إثباتها.

وسنشرح أو نفصّل المزيد عن هذا الموضوع في الفصل السابع تحت بند «مراقبة الجودة».

زميلتنا في العراق ميادة داوود مشت على حبل مشدود حين غامرت في ثلاث تحقيقات: الأول يكشف وسائل القاعدة في تجنيد أطفال لتنفيذ عمليات انتحارية والثاني عن تجنيد النساء في صفوف الحركات التكفيرية وسط إهمال السلطات هناك والثالث عن إمتيازات سنوية بنصف مليار دولار لاعضاء في البرلمان العراقي في اوسع ظاهرة فساد في العالم العربي.

عن هذا المأزق يقول مشرف ميادة الزميل محمد الربيعي: "يواجهنا في الغالب، تحدّي الكتابة عن مواضيع خطيرة، مثل العنف والجماعات المسلحة. فلا يمكن ان تضمن حياتك في حال كتبت عن جهات مثل تنظيم القاعدة او الجماعات المسلحة والميليشيات الأخرى. وفي ظل العنف اليومي الذي يشهده العراق، يمكن ان يخسر الصحفي الاستقصائي حياته. وهذا التهديد أجبرنا على اخفاء الإسم الحقيقي للكاتبة».

ذات التهديدات واجهت عملية بناء تحقيق الانتحار حرقا في كردستان للزميلين سامان نوح وموفق محمد. وايضا قصة ختان الإناث في كردستان لدلوفان بروارى- لأن هذه المواضيع تعد محرمة في بلد محافظ. في تونس حيث حكومة برائاسة حزب النهضة الاسلامي، قامت حنان زبيس بتقصي رياض اطفال تدرس مناهج دينية متشددة وتنتج نخبة وهابية. ورياض القبيسي الذي كشف فساد كشافي الجمرك في مرفأ بيروت باعطائهم رشى تقاسمها عدد من المراقبين بدائرة الجمارك. ومصعب الشوابكة في الاردن االذي تخفى كطالب يخضع لأمتحان الشهادة الثانوية العامة (التوجيهي) مستخدما كاميرا سرية ليكشف أساليب وممارسات على مرأى ومسمع من مراقبي قاعات الامتحان بالرغم من قيام وزارة التربية أنذاك بنفي ان يكون الأمر على مستوى الظاهرة.

كما تلقت الزميلة رائدة حمرا شتائم واهانات من رئيس جامعة البلقاء التطبيقية الاردنية آنذاك، بعد ما كشفت خبايا افتتاح فرع وهمي للجامعة في دولة الامارات العربية. وفي غزة تلقى محمد عثمان تهديدات لثنية عن نشر تحقيقه الذي كشف فيه أن 18 بالمئة من النواب ال 48 يمارسون مهنا أخرى حرة ويتقاضون مداخيل اضافية .في خرق واضح لقانون واجبات وحقوق أعضاء المجلس التشريعي ونظامه الداخلي.

د . كيف تعمل الفرضيّات؟

1. لماذا ليس مهمّاً إن كانت الفرضية الأولى غير صحيحة؟

منهجية الاستقصاء بالاستناد إلى أسلوب الفرضيّة إجراءٌ قديمٌ قدم العلم ذاته. يُستخدم بنجاح في مجالات مختلفة بدءا بعمل الشرطة وانتهاء بتقديم

الاستشارات التجارية. لذا، من غير العادي أن لا يكون قد استُعمل في الصحافة كمنهج واعٍ إلا أخيرا. في الجوهر، يقوم هذا الإجراء على خدعة عقلية. فأنت تبتكر بياناً لما تعتَقد أنه الواقع، بناء على أفضل المعلومات التي بحوزتك، ثمّ تسعى للحصول على معلومات أخرى يمكن أن تُثبت أو تدحض بيانك. وهذه هي عملية التَّحقق. وكما أوضحنا أعلاه، إن لم يكن ممكناً التثبت من الفرضيّة كلها، يمكن، رغم ذلك، التحقق من عناصرها المنفصلة. وإلا، عُد إلى الخطوة الأولى واطرح فرضيَّة جديدة. الفرضية التي لا يمكن إثباتها كليّاً أو جزئياً ليست إلا تخمينا.

إذا تمّ التأكد من البيان ببرهان، فذلك شيء عظيم: وتكون قد حصلت على قصتك. وإذا اتضح أن الصيغة غير صحيحة، فذلك شيء عظيم أيضاً، لأن ذلك يعني احتمال وجود قصة أفضل من القصة التي تصورتها أصلاً . كما حصل مع الزميلة لينا العبد في سورية.

2. بناءُ الفرضيَّةِ

يجب ألا تتعدى الفرضيّة الأوليّة ثلاث جمل. فإن كانت أطول من ذلك، فلن تستطيع شرحها لشخص آخر. والأهم من ذلك أنها إن كانت أطول من ذلك فقد لا تفهمها أنت نفسك.

لذا ابدأ بطرح الفرضيَّة كقصة، لأن ذلك يعني أنك تنتهي حيث بدأت - بقصة. فنحن لا نجمع حقائق فقط، بل نروي قصصاً نأمل أن تساعد على تغيير الواقع. والفرضيَّة ستساعدك على شرح القصة لآخرين، بدءاً بمُحَرِّرِكَ وناشِرِكَ، ثم الجمهور.

في أكثر الصيغ شيوعا، تكون القصةً في إطار إحدى هذه الجمل الثلاث:

- «نواجه وضعاً يُسَبِّبُ معاناة كبيرة، (أو نواجه وضعاً يستحق أن يكون معروفاً بشكل أوسع كمثال جيد)».

- "إليكم كيف وصلنا إلى هذه النقطة".

- "هذا ما سيحصل إن لم يتغير أي شيء ... وإليكم كيف يمكننا تغيير الأشياء إلى الأفضل".

لاحظ شيئاً في هذه الجمل: إنها تتبع ترتيباً قائما على تسلسل زمني

(كرونولوجيًّاً chronological). لكن قد لا يبدو هذا الأمر واضحاً، لأن الترتيب ليس خطاً مستقيماً من الماضي إلى المستقبل، بل يخبرنا عن حاضر وماضٍ ومستقبل:

- أخبارُ المشكلة، أي **الحاضر**.

- سبب المشكلة، أي **الماضي**.

- ما يجب أن يتغيَّر لإنهاء المشكلة، أي **المستقبل**.

ولذا، حين نؤلف فرضيَّة، نكون فعلاً قد بدأنا بتأليف سردٍ - قصة تشمل شخوصا تتحرك في مكان وزمان معينين. أصعب الأشياء يكمن في إبقاء تركيزك على السرد وإلا تدفن تحت الحقائق الكثيرة التي تجمعها. فرضيَّتك تستطيع مساعدتك: وحين تشعر أنك مغمور بالحقائق، توقف عن الحفر وابدأ النظر إلى القصة التي تحاول حقائقك قولها لك. وإذا لم تناسب تلك الحقائق الفرضيَّة الأصليَّة بادر إلى تغييرها. فرغم كل شيء، فهي مجرد فرضية.

بالمناسبة، قد يكون من الصعب أن نُبَيِّنَ كيف يمكن وضع حد لمشكلة معينة. فأحياناً، يكون أفضل ما تستطيع فعله هو أن تُدين ظُلماً. ولكن غالبا ما يكون شخصٌ ارتبط بقصتك قد بحث عن حل قبلك. فلا تتردد في البحث عن ذلك الشخص.

3. المفاتيح الأربعة لتفعيل الفرضيات

استخدام الفرضيَّات ليس خدعة معقدة، ولكنها تتطلب منك عدة محاولات قبل أن يصبح الأسلوب سلسا وطبيعيا بالنسبة لكَ. وثمَة أربع مزايا كي يصبح الأسلوب فاعلاً:

أ . كن خلاّقاً

يستجيب الصحفيون عادة للأوضاع من حولهم. ويغطون ما يرونه أو يسمعونه أو يقرؤُنه، أو يتابعون أخبار أمس. أما الاستقصاءُ فهو محاولة لكشف شيء غير معروف إلى الآن. فالصحفيُّ لا يُغطي الأخبار فحسب، ولكنه يصنعها أيضاً. ولذا، فإنه يقفز بالضرورة إلى مستقبل غامض، ما يتطلب محاولة تخيل القصة، وهذا عمل إبداعي بحد ذاته.

ب . كن مُحَدَّداً جداً

إذا كنت تستعمل كلمة «منزل» في فرضيَّتك، عليك أن تكون دقيقا وواضحا. فهل المنزل فيلا أم شقة فاخرة.. في الطابق العلوي للمبنى أو كوخ؟ جواب ذلك مهم. فكلما كنت أكثر دقة في تحديد حقيقة مفترضة، كلما كان أسهل لك التحقق منها.

ج . استثمر خبرتك

إذا كنت قد رأيت كيف يعمل العالم بطرق معينة، يمكن تطبيق ذلك على القصة التي تحاول إثباتها. فخبرتك يمكن أن تساعدك على الانتهاء من فرضيَّة. تذكر أنه حتى أكثر الناس خبرة يمكن أن يندهشوا لشيء لم يروه من قبل، ويمكن حتى لأكثر الناس ثقة بأنفسهم أن يقللوا من قدر خبرتهم.

مثال: فشلت حملة مقاطعة نفذّها مستهلكو منتجات شركة ألبان في فرنسا، وفق ما أعلنته الشركة التي استهدفتها المقاطعة. قبلت وسائل الإعلام رواية الشركة كتحصيل حاصل. أما د. مارك هنتر فبدأ استقصاء أثبت العكس، حين أدرك أن كل شخص يعرفه قد قاطع الشركة. فسأل نفسه: كيف لا يمكن أن يكون لذلك تأثيرات سلبية على الشركةِ.

.د . كُنْ موضوعياً

ونعني بالموضوعية ثلاثة أشياء:

الأول: علينا أن نقبل واقع الحقائق التي يمكن أن نثبتها، سواء أحببناها أم لا. بكلمات أخرى، نحن موضوعيون تجاه الحقائق. فإذا كانت الحقائق تقول إن الفرضيَّةَ خطأ، نُغيِّر الفرضيَّة. ولا نحاول جعل الحقائق تختفي.

الثاني: يجب القيام بهذا العمل ونحن مستعدون لقبول أننا قد نكون مخطئين. فإن لم نحتفظ بذلك في ذهننا، فلن نحصل على المساعدة التي نحتاجها من آخرين. فهل تريدُ مساعدة شخص يعرف مُسبقاً جميع الأجوبة، ولا يستمع لما ستقوله؟

الثالث: حتى إن بقيتَ موضوعياً تجاه الحقائق - ويجب أن تبقى - توجد أسسٌ لهذا العمل لن تختفي. فمحاولة جعل العالم مكاناً أفضل ليست هدفاً

موضوعياً. فنحن لسنا مجرد مُسجلات صوتية ونحن نستقصي: إنما إصلاحيون نبتغي الإصلاح. نستخدم الحقائق الموضوعية، ونتعامل بموضوعية تجاه الحقائق، لإنجاز ذلك الهدف. ذلك أننا نؤمن بأن أي محاولة لإصلاح العالم ستفشل إن لم تكن قائمة على واقع. بكلمات أخرى، نستخدم ذاتيّتنا غير الموضوعية كدافع للبقاء محايدين تجاه البرهان وأخذ كل برهانٍ بالحسبان.

-4 ماذا تفعل لو جاءت الحقائق مناقضة لفرضيَّتك الرائعة؟

الجواب سهلٌ: إقبل الحقائق، واطرح فرضية جديدة كما حدث للزميلة لينا العبد في سورية والعديد من الصحافيين العرب ممن انجزوا تحقيقات بدعم من أريج.

تكمن الصعوبة هنا في أن لا تتشبّث بقوة بفرضيَّة خطأ، وأن لا تقفز باتجاه جديد لدى مواجهة الحقيقة المعاكسة لفرضيتك من المرة الأولى. تأتي أفضل إشارة على أن شيئاً ما مغلوط حين تجد قدراً جيداً من المعلومات، لكنها لا تبدو لك معقولة. وعندما يحصل ذلك، فإنه يعني إما أنك تنظر إلى المعلومات المغلوطة، أو أنها تصبح معقولة فقط حين غيَّرت فرضيَّتك.

مثال: انطلقت الزميلة عطاف الروضان من فرضية: "سماسرة يستغلون لاجئات سوريات (في الأردن) عبر تزويجهن من أردنيين وعرب". تحولت الفرضية بعد البحث اللاحق إلى "انتشار عقود قران خارجية غير موثّقة وسط تساهل القضاء الشرعي مما يهدر حقوق النساء ويحول دون الحصول على حقوقهم المالية والزوجية".

مثال: فرضية الزميلة سهير جرادات حول دوافع إخضاع العرائس إلى فحص؛ تحولت من الجهل والعادات والتقاليد الاجتماعية، إلى مخالفة الشرائع السماوية التي تحرم إجراءه.

هـ . استخدام الصيغة الرسمية كفرضية

ليس من الضروري دائماً طرح فرضيَّة. إذ يمكن أحياناً التعامل مع بيانٍ رسمي، أو معلومة جاءت من مصدر مجهول، كفرضيَّة مفصَّلة تتطلب تحقُّقاً - وهذا أسلوب بسيط يمكن لنتائجه أن تكون مدهشة.

وتذكَّر مبدأً مهماً: تدور معظم الاستقصاءات حول الفرق بين وَعْدٍ أعلن وبين ما إذا تمّ التمسك به أم لا. لذا، يمكن استخدام الوعد الرسمي كفرضيَّة، وسيُظْهِرُ التحققُ الذي تجريه إذا تمّ التمسك بالوعد أم لا.

مثال: بدأت إحدى أعظم القصص في تاريخ الصحافة الاستقصائية مطلع ثمانينيات القرن الماضي مع كشف "فضيحة الدم الملوَّث" في فرنسا. بهذه الطريقة: اتصلت منظمات غير حكومية في ذلك الوقت بالإعلاميَّة آن-ماري كاستريه Anne-Marie Casteret ، التي دافعت عن حقوق المرضى المعرَّضين للنزف الدموي. وهؤلاء رجال مصابون بخلل جيني يمنع تخثر الدم، إلى درجة أن جرحاً طفيفاً في الجلد قد يؤدي إلى نزفٍ مميت لا يمكن وقفه. وفي بداية انتشار وباء الإيدز، زعموا أن وكالة حكومية فرنسية باعت، عمداً وعن علم، هؤلاء المصابين بالنزف الدموي وعائلاتهم منتجات دم خاصة كانت ملوَّثة بفيروس الإيدز.

ذهبت كاستريه لمقابلة رئيس الوكالة الحكومية، الذي أخبرها: «صحيح أن المصابين بالنزف الدموي قد تلوَّث دمهم بالإيدز الموجود في منتجاتنا، ... .»

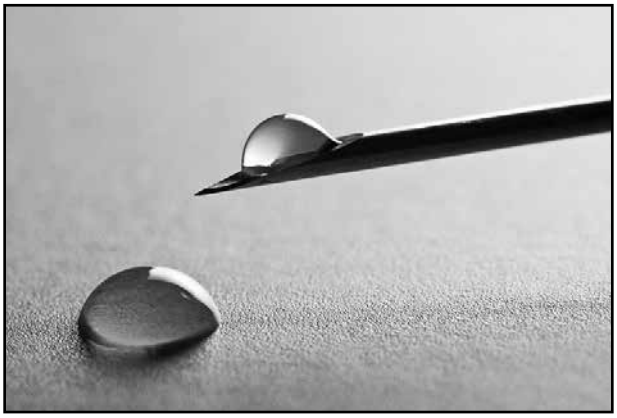

لكن وقتها لم يعلم أحد أن الإيدز كان موجوداً في إمدادات الدم التي اعتدنا أن نصنع المنتجات منها.

- ولم يعرف أحدٌ كيف يمكن إنتاج منتجات أسلم، ولذا لم يتوفر مثل هذه المنتجات في السوق.

- كان أفضل ما يمكن أن نفعله هو التأكد من أننا لم ننشر الفيروس على نطاق أوسع، وذلك من خلال التأكد من أن أي شخص لم يتلوث بعد أن تلقّى منتجات ملوَّثة".

تلك كانت القصة الرسمية، وهي تبدو متماسكة منطقياً. ولكن حين بدأت كاستريه التحقق منها واعتبرتها مجرد فرضية، اكتشفت تدريجياً أنه لا يمكن إثبات أي حقائق تضمنتها. على العكس من ذلك:

- بيّنت الدراسة العلمية أن مشكلة الإيدز في إمدادات الدم كانت معروفة آنذاك. (وفي الحقيقة أنه كان قد تمّ تحذير الوكالة بأن إمداداتها كانت مُلوَّثة).

- كانت هناك شركات أدوية ووكالات حكومية أخرى تعرف كيف تصنع منتجات سليمة، ولكن لم يستمع إليها أحد.

- لم يكن لدى الوكالة التي باعت المنتجات الملوّثة أي فكرة عمّا إذا كان الأشخاص الذين استخدموا المنتجات المصابة أصحاء أم لا، لأنه لم تجر لهم أي اختبارات تتعلق بالإصابة بالأيدز. ومهما كان، فإن تلويث َمرضىً بفيروسات إضافية يشكل بالفعل ممارسة طبية مريعة.

- في النهاية، وبعد أن واجهتها كاستريه ببرهان لا يمكن إنكاره يقضي بأن جميع منتجاتها كانت ملوَّثة بالإيدز، قررت الوكالة الاستمرار في بيعها إلى أن يَنفد المخزون الملوَّث كله.

تطلّب صوغ كل ما سبق في قصة أربعة أعوام من حياة كاستريه. فهل تستحق تلك القصة الجهد المبذول؟ حسناً، وضعت القصة بضعة مجرمين من ذوي الياقات البيضاء خلف القضبان. ومنحت الضحايا شعوراً مريحاً بأنهم لم يكونوا لوحدهم، وقادت إلى هزيمة انتخابية للحكومة التي حاولت التستر على الفضيحة، كما أجبرت المعنيين على إجراء إصلاحات في النظام الصحي بعد أن أصبح ماكينة للقتل. لذا، إذا لم تكن مستعداً لتمضية الوقت اللازم للقيام بعمل كهذا، فيمكنك أن تظل صحفياً تقليديا.

وقد تتساءلُ لماذا لم يقض أحدٌ الوقت اللازم إلا كاستريه. السبب الرئيس - بعيداً عن حقيقة مفادها أن أحد منافسيها، على الأقل، عمل إلى جانب ذات الأشخاص الذين ارتكبوا الجريمة - هو أن أي شخص لا يمكن أن يصدق أن الناس المحترمين يمكنهم فعل شيء كهذا. لذا، نود لفت انتباه الصحفيين أن العديد من التحقيقات الاستقصائية تم نسفها على يد إعلاميين لا يستطيعون قبول الحقيقة التي عثروا عليها، بدلا من أن تنسفها أطراف متسببة تعمل على حماية نفسها.

و . ابدأ بإستراتيجية!

اقض وقتاً كافياً لوضع استراتيجيتك - أي الترتيب والتنظيم الذي ستنفِّذُ على أساسِهِ مهمَّاتٍ محددةً، وكيفية انسجامها مع بعضها البعض. فالتجربة المهنية علمتنا أن مثل هذه طريقة ستوفر عليك في النهاية كثيراً من الوقت.

وهذا التنظيم يتطلّب وضع قائمة أوليّة بالأسئلة التي يجب الحصول على أجوبة عنها. (على سبيل المثال: من يصنع منتجات الدّم؟ كيف يعرفون إن كانت منتجاتهم سليمة أم لا؟)

يفضّل البدء بالأسئلة الأسهل؛ أي تلك التي تستطيع الإجابة عنها بمعلومات متاحة على الانترنت، في الأبحاث، المجلات المتخصصة وبرامج عمل المنظمات والحكومات التي لا تتطلّب التحدث إلى الناس. بصورة عامة، أول ما يفعله إعلامي إخباري هو التقاط الهاتف وطرح أسئلة على المصدر المعني. لا نقول، طبعاً، إنه يجب عليك أن لا تتحدث إلى الناس. بل أنك ستجد مزايا عديدة إن بدأت البحث بطريقة لا تثير ضجة وتلفت النظر. حالما تسير في مشروعك، سيعرف أناس عديدون ما تفعله وقد يحاولون عرقلته.

ذلك يجعلك بحاجة إلى معرفة ما إذا كانت هناك مصادر علنية متاحة تستطيع الوصول إليها أم لا - مثل وثائق حكومية، تقارير إخبارية وغيرها. مصادر كهذه يمكنها أن تخدمك في التحقق من أجزاء واضحة في فرضيّتك. إذا كانت هذه المصادر موجودة، إلجأ إليها أولاً. لكن قبل ذلك، سلّح نفسك بالمعرفة وتحول إلى خبير في الموضوع. فهذا سيمكنك من فهم القصة قبل أن تتحدث إلى الناس، وسوف يقدّرون لك ذلك.

في "مركز النزاهة العام" Public Center for Integrity في الولايات المتحدة، يُطلب من المستقصين المبتدئين تمضية عدة أسابيع في البحث عن موضوع ما قبل أن يُسمح لهم بالاتصال بأي مصادر للمعلومات. قد لا تكون بحاجة إلى ذلك الوقت كله. ولكن عليك التخلص من عادة الاعتماد على آخرين للحصول على معلومات يمكنك العثور عليها بنفسك. في الفصل اللاحق، سننظر بالتفصيل في كيفية العثور على مصادر المعلومات العلنية واستخدامها.

ز . دراسة حالة من حالات التحقيق باستعمال أسلوب الافتراض: مأساة "الطفل الرضيع دو".

طلب مني رئيس التحرير أن أستقصي معلومة وصلت إليه من أحد أصدقائه. قال الصديق: "يقدم أطباء على قتل أطفال (خدج) لإيقافهم عن النمو بإعاقات".

وشدّد رئيسي على أنه في حال لم أحصل على القصة فسأخسر وظيفتي.

1- عزل العناصر والعثور على مصادر علنية

بدأت بسؤال نفسي ما هو الخطأ في هذه القصة؟ كبداية، هل تؤمن حقاً بأن مجموعة من الأطباء المجانين، المُدرَّبين على إنقاذ الحياة، قد تحوَّلوا فجأة إلى قتلةِ أطفال؟ وأين ستجدهم؟ هل شاهدت أبداً طبيباً يضع شارة على صدره تقول، «أنا أقتل الأطفال كخدمة عامة»؟ طبعاً لا.

أين تعتقد أنك ستجدهم، على فرض أنهم موجودون؟ هل ستتصل بمستشفى ما وتسأل «هل يوجد لديكم أطباء قتلة؟» طبعاً لا.

ورغم ذلك، في القصة ما هو صحيح من حيث أنها تتضمن عدة عناصر يُمكننا التحقق منها:

"يقوم أطباءٌ/ بقتل/ أطفال(خدج)/ لإيقافهم عن النمو/ بإعاقات."

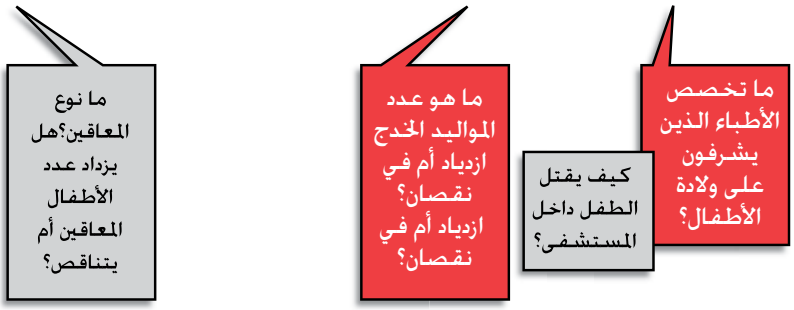

وأصعب ما يُراد التحقق منه اعلاه هو كيف ستقتل طفلا في مهجع ولادة. (كلا، لا تستطيع أن تتصل بمستشفى وتسأل: "هل قتلتم أي أطفالا أخيراً؟ وكيف"؟). لذا وضعنا هذا الأمر جانباً. وبدلاً منه، بحثنا عن الجهات الطبية المتخصصة المرجعية، التي ستمكننا من القراءة المتعمّقة لآخر المعلومات الطبيّة. وسعينا أيضاً للحصول على إحصاءات عن الولادة المبكّرة والإعاقات. كل ذلك كان متاحا في المكتبات المحليّة - المثال النموذجي لمصدر علني نلجأ إليه.

2- التحليل الأول: هل تصمد الفرضية؟

كانت الخطوة الثانية هي ربط المعلومات بعضها البعض، لنرى إن كانت

تدعم فرضيتنا. جمعنا كل الإحصاءات القومية عن أوزان حديثيّ الولادة، والمعيار الأساس للولادة المبكّرة. وبحثنا في الدراسات العلمية التي أوردت معدّلات الإعاقة بين هؤلاء الأطفال، واكتشفنا منحنىً بيانيا بدا كالآتي:

عدد الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات في الولايات المتحدة الأمريكية 1970-1995:

بكلمات أخرى، من سنة 1974 إلى سنة 1984 هبط بحدّة عدد الأطفال المولودين مبكراً بإعاقة. ولأن الولادة المبكرة مرتبطة أيضاً بالإعاقات، هبط أيضاً عدد الأطفال المعاقين. بعدئذ، ومنذ سنة 1984 فصاعداً، ارتفعت الأعداد مرة أخرى.

هل يؤيد هذا فرضيَّتنا أم ينفيها؟ هذه المعلومات لا تقول لنا إن كان هناك قتلة أطفال طلقاء. فلربما كان ارتفاع عدد الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات مرة أخرى بعد سنة 1982 هو الذي دفع بعض المجانين لوقف المَدِّ. ولكننا لا نعرف ذلك إلى الآن. ولا نعرف أيضاً إن كان هؤلاء الأطباء المجانين قد فعلوا فعلتهم بين 1970-1984، ومن ثمّ قرروا التوقف قبل أن يُقبض عليهم. كان كل ما نعرفه هو أن شيئاً ما تغيَّر سنة 1984.

3- تحقق آخر

عدنا إلى المكتبة لجمع مزيد من المقالات العلمية حول الأطفال المولودين مبكرا (الخدج) بإعاقات. أشارت إحدى المقالات إلى شيء يُدعى «الطفل الرضيع دو». اتصلنا بالمؤلفة وسألناها ماذا يعني تعبير «الطفل الرضيع دو».

أجابت: «إنه قانون يتطلّب منا القيام بأي جهد ممكن لإنقاذ حياة الأطفال المولودين مبكرا، بغض النظر عن إعاقاتهم أو رغبات والِديهم».

كان يمكن لهذه الحقيقة وحدها أن تُدَمِّر فرضيتنا - في حال تم تطبيق القانون بطريقة إجباريةً. لذا سألنا إن كان الأطباء يطيعون القانون. قالت لي: "يجب علينا ذلك. ويوجد في كل مستشفى خط ساخن للاتصال بالنائب العام. فإذا اعتقد شخص ما أنك لا تقوم بواجبك كطبيب، يتم اعتقالك". سألناها إن كانت تعرف أمكنة يحصل ذلك فيها. فأجابت، نعم. (بعد ذلك، حصلنا على تقارير تفرض تطبيق القانون بالقوة من وكالة فدرالية).

ثم سألناها عن تاريخ بدء تنفيذ القانون. قالت أصاب تخمينك إذ بدأ التطبيق عام 1984؟

في هذا الوقت، بدت الفرضيَّة الأصليَّة ضعيفة جداً. ولكن فرضيَّة جديدة أخذت بالتشكُّل: «منع قانون أجيز سنة 1984 الأطباء السماح بموت الرضع المولودين مبكراً بإعاقات حادة موتاً طبيعياً عند الولادة. والنتيجة هي ازدياد شريحة السكان من المعاقين وإجهاد موازنة الأهالي".

في الأيام اللاحقة، وثّقنا الزيادة في قطاع السكان المعاقين، لأننا أردنا أن نرى حجم القصة ومدى كبرها. في البدء، حسبنا الأعداد الإضافية من الأطفال المولودين حديثاً الذين لم يموتوا، بفعل ذلك القانون، من سنة 1984-1995 أي الأطفال الذين كان سيُسمح بموتهم سابقاً. كان ذلك الحساب بسيطاً، يتمثل بطرح أرقام الولادات المبكرة في سنة 1983، السنة السابقة لتطبيق القانون، من أرقام السنوات اللاحقة. ثم حسبنا كم عدد الذين سيولدون بإعاقات، بناء على دراسات علمية تربط الولادة المبكرة بالإعاقات.

بعد ذلك، تحققنا من الأمر مع علماء الأوبئة، لأننا لسنا أطباء أو علماء رياضيات، وقد نكون مخطئين. والأهم، أننا لم نستطع تصديق الأعداد التي حسبناها. بدا لنا أنه يوجد على الأقل ربع مليون من الأطفال المصابين بإعاقات حادة جداً - أكفّاء، مشلولون، متخلفون عقلياً بشكل مريع - بسبب ذلك القانون.

قال الخبراء إن أعدادنا تبدو صحيحة. ولكن كان هناك جزء حساس آخر من القصة، تطلَّب طرح فرضيَّة جديدة. الأمر الذي يوصلنا إلى الحديث عن جزء أساس من العملية:

4- إطرح فرضيَّة فرعيَّة جديدة لتأخذ بالحسبان زوايا مختلفة من القصة.

غالبا ما يكشف البحث المعمّق احتمالات لقصص جديدة لم تكن معروفة

حين بدأ الاستقصاء. وكثيراً ما تتطلب هذه الاحتمالاتُ فرضيَّاتٍ جديدةً يُمكن، بدورها، التحقق منها. إذا لم تكن هذه الاحتمالات مرتبطة باستقصائك الأصلي، فقد تختار تجاهلها الآن لكي لا تدخل في مسارات قد تشتت جهدك.

ولكنَّ، قد يكون الاكتشاف الجديد أحياناً أكثر أهمية مما كنت تسعى إليه في المقام الأول. وأحياناً أخرى، ستلقي الفرضيات الجديدة ضوءاً على فرضيَّتك الأوليَّة بطريقة مدهشة. لذا فإنك ستضيع فرصة الحصول على قصة رئيسة إن تجاهلتها.

في القضية التي بين أيدينا، نملك برهاناً إحصائياً قوياً يفيد أن ربع مليون طفل مُعاق تُركوا أحياء بسبب قانون غامض. ولكن ذلك يطرح سؤالاً: ماذا حدث لأولئك الأطفال؟

لاحظنا أن الولايات المتحدة الأمريكية عدّلت لتوِّها قوانين الضمان الاجتماعي لتزيد من صعوبة تمتع الناس بفوائدها. فقطاعات السكان من الفقراء وبعامة غير البيض ممن يتلقون فوائد تعاني أيضاً من الولادة المبكرة وبنسبة أعلى من المجتمع الأوسع. ولذا أصبحت فرضيَّتنا: «إصلاح نظام الرفاه الاجتماعي سيزيد صعوبة الاعتناء بالأطفال المعاقين المولودين مبكراً". وبسرعةٍ كبيرة، حصلنا على تأكيدٍ من مصادرَ علنيةٍ.

كنا ما نزال بحاجة إلى حقائق كثيرة أخرى، ولكن مع ذلك فإن القصة التي أردنا استقصاءها كانت جاهزة. ذهبنا لرؤية مديرنا وقلنا له: يا مديرنا، لا نستطيع إثبات قصَّتَكَ الأصلية ولكن إليك قصة نستطيع إثباتها:

- "منع قانون أُقِرَّ سنة 1984 الأطباء من السماح بموت الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات موتاً طبيعياً أثناء الولادة. كانت النتيجة ربع مليون طفل مقعد. ثم قطع عنهم ضمانهم الاجتماعي. أي أجبر القانون الأطفال المُقعدين على الحياة، وألقى بهم قانون آخر إلى الشارع".

وبعدها سألني مديري: "هل تريد أن تساعد في تغيير تلك القوانين"؟

كانت الفرضيَّة الأصلية التي أسقطناها، فرضيَّة مديري. الصحفيون السَّيئون غالبا ما يحاولون جعل الحقائق تتواءم مع فرضيَّتهم. أما الصحفيون الجيدون فيغيرون الفرضيَّة لتوائم الحقائق، سواء أحبوا الحقائق أم لا.

نشر د. هنتر القصة، وفاز بجائزتين عنها. ولكن القوانين ما زالت موجودة. فهل نأسف على ذلك؟ نعم. ولكننا كنا سنأسف أكثر لو لم نروِ القصة أبداً.

ح . استخدام أسلوب الفرضيَّة أو الفرضيات لإدارة المشروع الاستقصائي.

لا تعني الإدارة شيئاً غير صوغ الأهداف والتأكد من أنها أنجزت، عبر المتابعة المتواصلة. هذا إجراء معياري في كل منظمة حسنة الإدارة في العالم، باستثناء الصحافة.

ونقترح عليك، بعد تحديد فرضيَّتك والوصول إلى برهان أولي على أنها تبدو مناسبة، أن تُحَدِّدَ أبعاد المشروع التالية:

1- موعد تسليم التحقيق: الحد الأدنى لما يمكن أن تلتزم بتسليمه، على شكل قصص مكتملة؟ وما هو الحد الأقصى؟

نقترح أن يكون الحد الأدنى قصّة رئيسية واحدة، قائمة على الفرضيَّة الأوليَّة أو على فرضيَّات مُختلفة اكتُشفت خلال التَّحَقُّق. إذا تمتعت الفرضيَّة بقيمة كافية يمكن أن توسَّع إلى مسلسل. لكن لا تعِدْ بأكثر مما تستطيع تسليمه، وحاول أن لا تقبل أقل مما يستحقه المشروع.

2- محطات زمنية مرتبطة بالعملية: كم تحتاج من الوقت لتستشير أول مصادر علنية؟ متى ستتصل بمصادر بشرية وتجري معها مقابلات؟ متى ستكون مستعداً للبدء بكتابة مسودة القصة أو القصص؟

نقترح أن يجري الإعلامي وزملاؤه في العمل مراجعات أسبوعية لمدى التقدم. وفي هذا المجال، يكون الاهتمام الأساسي هو التحقق من الفرضيّة واكتشاف معلومات جديدة. ولكن من المهم أيضاً التأكد مما إذا كان المشروع يسير في الطريق الصحيحة لجهتي الوقت والتكاليف. ويجب عدم التسامح مع أي تأخير يُهدد مستقبل المشروع. والزملاء الذين لا يُسلّمون موادهم وفق ما التزموا به يجب إخراجهم من فريق العمل.

3- التكلفة والمردود: إلى جانب وقتك الثمين، قد تتوقع تكاليف للسفر والإقامة والاتصالات وتكاليف أخرى. ما هي؟ كن حريصا على تحديد أكبر قدر مستطاع.

إذا كان الإعلامي يعمل مُستقلاً، فيجب أن يأخذ بالاعتبار إن كانت تكاليف المشروع ستبرر؛ من ناحية مدخولا إضافيا أو معرفة جديدة أو مهارة مكتسبة أو من خلال التعرف إلى مصادر جديدة والحصول على امتيازات وفرص أخرى. ويفترض بالمؤسسة التي تعمل لديها أن تقدّر إن كان يمكن تعويض تكاليف المشروع من خلال زيادة المبيعات أو تعزيز التميّز في التغطية الإخبارية المختلفة؛ أي الاستقصاء. وعلى جميع المشاركين في المشروع أن يُقدِّروا إن كان مُبرراً من منظور خدمة الجمهور. فكل هذه الأبعاد توفر شكلا من أشكال القيمة المضافة والتقييم.

4- التأييد والإسناد: من ستهمه هذه القصة؟ كيف يمكن زيادة وعي الجمهور

بالقصة؟ هل سيشمل ذلك تكاليف إضافية (بما فيها تكاليف وقتك ووقت آخرين)؟ ما هي الفوائد التي ستجنيها أنت أو مؤسستك من هذا الاستقصاء؟

ليس معقولاً أبداً الاستثمار في استقصاء لا تؤيده وسيلة الإعلام التي تنشره. فضلاً عن ذلك، يُقلّص التأييد مخاطر الهجوم المضاد شرط أن يكون الاستقصاء دقيقاً، لأنه يجذب انتباه حلفاء مُحتملين. ويمكن جلب الانتباه والحصول على دعم من خلال عنوان بسيط (مانشيت)، أو من خلال خلق اهتمام عبر فتح نقاشات في منتديات الانترنت المتعددة. وسنناقش هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الثامن.

يمكنُ إساءةَ استخدام هذه العمليات. فعلى سبيل المثال، يمكن لرئيس تحرير أن يضع أهدافاً غير واقعية، بهدفٍ غير معلن لإفشال عمل إعلامي. ولكن من المهم جداً استبدال المواعيد النهائية اليومية daily dead-lines ببنية أخرى توضع فيها توقعات يمكن تحقيقها بحسب مواعيد زمنية قابلة للتطبيق.

عندما تجري الأمور كما يجب، ستخدمك الفرضيَّة وتشكل عملية إثباتها مقاييس للتقدّم ومؤشرات لما يجب فعله لاحقاً. ومن الذكاء أيضاً التفكير بما هو أبعد من القصة ذاتها، أي كيف يمكن أن يتقبّلها الجمهور. فرضيتك، التي تُعبِّر عن قصَّتِكَ بجمل قليلة، هي الأداة التي ستُمكِّنك من إثارة اهتمام آخرين.

ط . ابْقَ مُركّزاً على القصة

تذكّر دائماً أن كل فرضية يضعها إعلامي يجب أن تتشكل كقصة يمكن أن تكون صحيحة. إنها تتضمن أخباراً، قضية وحَلاً. وهذا يعني أن إبقاء الفرضيَّة نصب العين، يجعل الصحفي مُركّزاً على القصة، وليس على الحقائق فقط.

قد تكون الحقائق أساس قصتك، ولكن الحقائق لا تخبرك بالقصة. والقصة تقول الحقائق. أي شخص لا يستطيع تذكر ثلاثة سطور من دفتر تسجيل عناوين وأرقام أشخاص يعرفهم، ولكن كل شخص يتذكر قصة ترتبط باسم شخص موجود في هذا الدفتر. من خلال تشكيل استقصائك كقصة (تذكر أنها قد تكون صحيحة أو لا تكون) منذ البداية، فإنك بذلك لا تساعد قُرّاءك أو مشاهديك المتوقعين على تذكرها فحسب، بل أيضاً تساعد نفسك على تذكُّرها. تذكر أن الجزء الأصعب في البحث الاستقصائي هو أن تتذكر القصة بينما تتراكم الحقائق.

خذ وقتك كي تصبح خبيراً في هذا المنهج الاستقصائي القائم على أسلوب استعمال القصة كفرضية. إتبع أصول الممارسة المهنية في كل مرّة تستقصي فيها.

والآن، دعنا نرى أين نستطيع العثور على مصادرنا العلنية - أو كما نحب أن نسميها، «الأبواب المفتوحة».

الفصل الثالث:

عُبور الأبواب المفتوحة:
خلفيات واستنتاجات

عُبور الأبواب المفتوحة:
خلفيات واستنتاجات

مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

1. **نكتشف موضوعاً.**
2. **تتبلور فكرة الاستقصاء.**
3. **نطرحُ فرضيَّةً لنتحقق منها.**
4. **نبحث عن معلومات من مصادر علنيَّة لنتحقق من الفرضية.**

أ. مقدمة: تعامل مع الباب المفتوح

في فيلم "هاربر" Harper، يؤدي الممثل بول نيومان Paul Newman دور حُرٍّ خاص يجد نفسه في مواجهة باب مقفل وصبي يريد أن يثبت كم هو قوي. يتوسله الصبي قائلا: "أرجوك، أرجوك، هل يمكنني عبور الباب"؟ يجيب التحرّي: "بالتأكيد". يلقي الصبي بكل ثقله على الباب حتى يوشك أن يكسر كتفه. يسير هاربر نحو الباب، يُدير المقبض، ويفتحه.

حسب خبرتي في تعليم الاستقصاء وممارسته، أرى عديد ناس يتصرفون مثل ذاك الصبي، محاولين كسر العوائق غير المغلقة حقاً أو تلك التي يستطيعون تجاوزها بسهولة. يعاني هؤلاء الناسُ من "وهم" حين يظنون أن أي شيء ليس سرّاً لا يستحق التعرف عليه. يصرفون جل وقتِهم محاولين دفع الناس ليفشوا

لهم أسراراً. وحتى الصحافيين الاستقصائيين المخضرمين - من أمثال الصحفي الأمريكي سيمور هيرش Seymour Hersh والنيوزيلاندي نِيكي هاغر Nicky Hager - يقرون لزملائهم بأنهم مُجبرون على السير ببطء وحذر في هذا الاتجاه.

لسوء الحظ، يواجه معظمنا عربا وأجانب صعوبة في التمييز بين سرٍّ وكذبةٍ. وفي ذات الوقت، فإنك تضع نفسك في موقف محرج لأنك - كما هي العادة- حين تسأل أشخاصا أن يخبروك بشيء تجعلهم يشعرون أنهم أقوياء جداً ويجعلونك تشعر أنك تستحق الشفقة.

فمثلا، عناصر المخابرات المحترفون يستخدمون أسلوباً مختلفاً يقوم على فرضيَّة مختلفة. برأيهم أن:

> معظم ما نسمّيه "أسراراً" هو، بكل بساطة، حقائق لم ننتبه إليها. ونحو 90 % من المعلومات متوفِّر لنا ويسهل الوصول إليها من خلال مصادر أو مصدر "مفتوح" [علني] -- أي مصدر يُمْكِنُنَا الوصول إليه بحريّة.

كثيراً ما نسمع من زملائنا العرب والغربيين أن المعلوماتِ المتاحة من المصادر العلنية في هذا البلد أو ذاك، محدودة وذات نوعية ضعيفة. قد يكون هذا الأمر صحيحاً بشكل أو بآخر، بخاصة في الدول العربية حيث لا توجد نصوص قانونية - باستثناء الأردن ولاحقا تونس واليمن- تسمح بحق الحصول على المعلومات من مصادر عامة وخاصة. ولكننا لاحظنا أيضاً أنه توجد دائماً مصادرُ معلوماتٍ علنيةٌ أكثر مما يستخدمه الصحفيون. فوضع يدك عليها وكتابة قصص مستقاة منها كثيراً ما تكون مكسباً سهلاً، لأن منافسيك من الإعلاميين لا يقومون بذلك العمل، بل غالبا ما يكونون في مرحلة يرجون شخصاً أو مصدرا ما ليقول لهم سرا.

في الاردن على سبيل المثال، في تجربة وحدة الصحافة الاستقصائية بإذاعة راديو البلد، تقدمت الزميلة مجدولين علان وأخرون بمئة طلب للحصول على معلومات أثناء الاعداد لتحقيق استقصائي حول قانون حق الحصول على المعلومات، بعد خمس سنوات على إقراره.

وبالرغم من التقدم بتظلمات لدى مجلس المعلومات، ورفع دعوى لدى محكمة العدل العليا، رد مجلس المعلومات التظلم، بحجة سرية المعلومات وفق قانون "وثائق وأسرار الدولة الأردنية". أما محكمة العدل، فقد ردت الدعوى أيضا بحجة "عدم وجود مصلحة مشروعة". كذلك، رفض مجلس المعلومات تزويد الصحافة بموازنة حملة الترويج لقانون المعلومات ذاته.

في المقابل، عندما رفضت دائرة حكومية في سوريا طلب الزميل حمود المحمود الحصول على معلومات لصالح استقصاء اجراه عام 2008 حول "محارق النفايات الصحية" تمكن من الحصول على ذات المعلومات من المكتبة العامة.

في مثالٌ آخر: في ثمانينيات القرن العشرين، كُلِّف إعلامي فرنسي شاب اسمه هيرفي ليفران Herve Liffran من الأسبوعية "كنار إنشين" Canard Enchaine بتغطية نشاطات بلدية باريس. ولكنه اكتشف أن المسؤولين كانوا يَخضعون لأمرٍ يقضي بأن لا يتحدثوا إليه. وكان المكتب الوحيد الذي يستطيع دخوله بحرية هو مكتبةُ المدينةِ الإداريةُ، حيث تحفظ نسخ من جميع التقارير والعقود الداخلية. كان السبق الصحفي الأول الذي حصل عليه هو اكتشاف أن المدينة وقَّعت عقوداً بتكاليف مالية فاضحة بالنسبة لدافعي الضرائب مع شركات مياه كبرى. وعندما شعر أشخاص في البلدية أنه لا يمكن إيقاف ليفران عن القيام بواجبه كصحفي، بدأوا بالحديث معه. بعد ذلك، استخدم سجلات تصويت متوفرة مجَّاناً ليُعرّي تزييف انتخابات في مدينة باريس، من خلال التدقيق في القوائم ليرى ما إذا كان الناخبون الذين سجلوا على أنهم يعيشون في عمارات تمتلكها الحكومة يعيشون فيها فعلاً.

القصد من وراء هذه الأمثلة هو التأكيد أن أي حقيقة مُسجَّلة في مكان ما، ومتاحة للجمهور، هي متاحة لك لتأخذها. لا تفترض أن كونها معروضة للجمهور، يعني أن هذه المعلومات قديمة أو لا قيمة لها أو معروفة لغيرك. إذ قد يكون لها، كما هي الحال أحياناً، تَبِعَات خطيرة لم يتوقعها أحد من قبل. لا تنظر فقط إلى قطعٍ محددةٍ من المعلومات؛ فذلك ما يفعله الإعلاميون الهواة. بدلاً من ذلك، **إبحثْ عن أنماط متعددة من المصادر وأساليب مبتكرة للتعامل معها بطريقة متكررة.** وستكون قدرتك على استخدام المواد التي تصل إليها عنصراً مهماً في تعزيز سُمْعَتِك المهنيةَ.

لا تنس أبداً: من الأسهل دائماً العثور على شخص ما يؤكد شيئاً ما تعرفه أو تفهمه من جعله يتطوع بمعلومات لا تمتلكها أنت كإعلامي . وسنعود إلى هذا الأمر لاحقا في هذا الكتيب لدى مناقشة بند "**المصادر العلنية مصدر قوة**".

ب . أنواع المصادر "العلنية"

في العالم المعاصر، المصادرُ العلنيةُ لا نهاية لها. وهي تشمل:

- معلومات نُشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها؛ مثلا في مكتبة عامة أو في أرشيف الوسيلة الإعلامية المعنيَّة؟

- الأخبار (الصحف، المجلات، التلفزيون، الراديو، الإنترنت).

- منشورات متخصصة (تخص الإتحادات، الأحزاب السياسية، النقابات، إلخ).

- دوريات أكاديمية من دراسات وأبحاث.

- وسائل إعلام مشتركة متخصصة (مثل منتديات مستخدمي الإنترنت، خبراء مال وأعمال، نشرات أو مجلات النقابات، مجموعات الاحتجاج، إلخ).

أمثلة:

- إعلانات الوفاة يمكن أن تساعدك في العثور على أعضاء عائلة أشخاص تبحث عنهم أو تكتشف روابط عائلية بين متنفذين، مسؤولين ورجال أعمال.

- قد تكون مجموعات ضغط في المجتمع المدني تتابع قضايا تشريعية أو محاكم لتغيير الواقع.

- قد تُوَفِّر مكاتب الأحزاب السياسية أكثر من مجرد أدبيات الحزب فقط . قد توفر نشرات وكراريس ومنشورات ألفها أعضاء الحزب، إلخ.

- يُمكن لقصاصات الأخبار أن تخدم في ترطيب الأجواء أثناء المقابلات؛ إذ قد يسأل الإعلامي المصدر تأكيد إن كانت المعلومات الموجودة في القِصص دقيقة أم لا، وينطلق من هناك كقاعدة للحوار.

- المكتبات التربوية، بما فيها مكتبات الجامعات الحكومية أو الخاصة وكليات الطب (أو المستشفيات التعليمية)، والمعاهد التجارية، إلخ. فكثيراً ما تمتلك هذه المؤسسات مُعَدَّات أكثر حداثة ومصادر أعمق من المكتبات العامة، بما في ذلك قواعد معلومات الأخبار الأرشيفية الإلترونية مثل فاكتيفا Factiva أو لكسس-نكسس LexisNexis أو قواعد معلومات شركة مثل دن أند برادستريت Bradstreet & Dun. عليك دائما التفكير بكيفية التفاوض للحصول على المعلومات (وليس إذا كان) بإمكانك أن تفاوض أحد المداخل إلى المعلومات.

مثال: اعتمدَ استقصاءٌ حول تأثيرات مقاطعة مستهلكين لشركة ادعّت أن المقاطعة لمنتجاتها فشلت - رغم أنها ألحقت ضرراً كبيراً بسوق الشركة - على تقارير مُحلِّل مالي موجودة في قاعدة معلومات مكتبة كلية التجارة الدولية «INSEAD».

- تقدّم الوكالات الحكومية عموماً معلومات أكثر من أي مصدر آخر. وهذا صحيح حتى في البلدان التي نعتبرها مغلقة أو تفتقر لقوانين تضمن حق الحصول على المعلومات. ويمكنك دائماً، تقريباً، الحصول على معلومات منها أكثر مما تظن.

أمثلة:

- **تقارير الحوادث**: للوكالات قواعد عمل يُفترض أن تُتَّبعَ في حال وقوع حوادث معينة. ولكن الموظفين يقعون في "أخطاء". وعادة توثق هذه الأخطاء أو الحوادث في تقارير تابعة للوكالة المعنية. حاول أن تحصل على هذه التقارير وتحلّلها بعناية.

- **تقارير التفتيش المركزي**: وكالاتٌ عديدةٌ مسؤولة عن تفتيش منشآت من مطاعم إلى جسور معلقة وطرق عامة، تجمع تقارير عمل عن العمليات التي تقوم بها. اعثر على هذه التقارير ومؤلفيها - بخاصة إن وقعت كارثة ما. وإذا لم يتوافر تقرير، فتلك قصة: لماذا لم تراقب الوكالة الأمر؟ وإذا تَوَقَّعَ تقريرٌ كارثةً، فلماذا لم يتم شيء لمنعها؟

- **الشكاوى أو التظلمات**: غالبا ما يقدم الناس شكاوى تكون في أحيان كثيرة مبررة. زر المؤسسات التي تتلقى شكاوى مثل ديوان المظالم في الأردن أو جمعية حماية المستهلك؟ حاول تحديد الجهة التي تتعامل مع الشكاوى، وهل تتخذ إجراءات للمساعدة، وما هي؟ وهل يؤدي ذلك إلى نتيجة؟

- **المكتبات الحكومية**: تمتلك الحكومات، على المستويين القومي والبَلدي، وبالمثل البرلمانات، مكتبات وأرشيفات خاصة. وتفعل وزارات عديدة الأمر ذاته. كما أن السجل البرلماني أو الجريدة الرسمية التي تصدر عن مجلس الوزراء تشكلاّن مرجعية، إذ يتم الاحتفاظ بهما في هذه المكتبات.

أمثلة:

- حصل الزميل حمود المحمود في سورية على تقارير من المكتبة العامة بعد أن رفضت السلطات المعنية توفيرها له.

- بدأ استقصاء حول لوبي الكحول الفرنسي بزيارة تصفح خلالها الصحفي صفحات الجريدة الرسمية، أو ما يعرف عادة ب "سجلّ النشاط الحكومي"، لمراجعة سجلات التصويت. كانت الفرضيَّة أن المسؤولين الذين اقترحوا تعديلات على قوانين حابت أعضاء لوبي الكحول قد تلقّوا تبرعات لحملاتهم الانتخابية من شركات أعضاء في هذا اللوبي.

- **المحاكم**: في الحد الأدنى، تحتفظ المحاكم بسجلات لأحكامها. وفي بعض البلدان، مثل الولايات المتحدة، يوفرون للصحفي وغيره سجلات علنية لكل الأدلّة التي قُدِّمت للمحاكمة. إسْعَ دائماً للحصول على أي وثيقة من وثائق المحكمة أو كلها من المحاكم في البلدان التي تعاملت مع الشخصية التي يستهدفها التحقيق. تذكر أن الشهادة الحية في قاعات المحاكمات محمية من حق المقاضاة القانونية إلا في حالات محددة ينص عليها القانون. فإن كنتَ موجوداً في محكمة أثناء سير عملها، قيّد تفاصيل الشهادة، لا سيَّما إن لم يكن كاتب الاختزال حاضراً في المحكمة لتوثيق الأقوال. وبإمكان محامين متخصصين مساعدة الصحفي في الحصول على قضايا قيد النظر في المحاكم.

- **مكاتب الترويج**: توفر غرفة التجارة المحلية، عادة، كميات كبيرة من المواد المكتوبة والمنشورة عن منطقتها أو بلديتها تقدّم معلومات عن العمالة الموجودة وأنواع الصناعات والأعمال التجارية، إلخ.

> **مثال**: في استقصاء تحرّى وفاة رضيع في مستشفى، وفّرت نشرة تصدر عن الغرفة التجارية اسم مجموعةِ مواطنين رفعوا قضية ضد المستشفى بسبب سياسات مهاجع الأمومة فيها. نتج عن القضية القانونية كتابة تقرير حكومي يتضمن معلومات جوهرية عن المستشفى.

- **مكاتبُ تسجيل ملكية الأراضي**: تجمع هذه المكاتب، ومكاتب أخرى ذات صلة، معلومات عن المِلكيَّة، وكثيراً ما توثق معلومات مهمة عن القروض المتعلقة بالمِلكيَّة. الزميل أبراهيم قبيلات من الاردن استطاع الحصول على كم هائل من المعلومات من خلال دائرة الاراضي والمساحات لأنجاز تحقيق عن التلاعب بتخمين أسعار العقارات.

> **مثال**: في فرنسا، استُخدمت معلومات المِلكيَّة الخاصة بالسياسيين لإظهار أنهم جمعوا ثروة أكثر بكثير مما يمكن أن يوضحه كشف مداخيلهم، الذي تتطلب الحملات الانتخابية إعلانه.

- تقارير شركات القطاع العام وبياناتها الصحفية. فالتقارير السنوية والملفات التنظيمية وما شابهها تتضمن ثروة من المعلومات عن الشركات. وكذلك البيانات الصحفية التي تشمل في العادة مبادئ الشركة التي تنظم أعمالها الإستراتيجية. فإذا كان للمؤسسة عمليات خارجية، قد تحتوي ملفاتها الموجودة في الخارج على معلومات يكون الوصول إليها أسهل من الوصول إلى مثيلاتها المحليَّات.

مثال: مكَّنت التقارير السنوية والملفات التنظيمية التي أودعها مُموِّل فرنسي سري لدى مفوضية تبادل السندات المالية الأمريكية إعادة بناء حقيبة سندات تم الحصول عليها في ظروف نزاع، وتبلغ قيمتها بلايين الدولارات. ووفرت الملفات التنظيمية أسماء شركاء كانوا ممثلين في مجالس إدارة الشركات التي أصدرت السندات.

- **مراقب الشركات:** يوجد في كل بلد مكتب يحتفظ بسجلات للأشخاص الذين يمتلكون شركات، سواء باعوا أم لم يبيعوا صكوكاً مالية. وقد تختلف كمية المعلومات التي يجب على مالكي الشركات التصريح بها، ولكنها عادة أكثر مما يتوقعه إعلاميون لم يستخدموا هذه المصادر. ففي فرنسا، على سبيل المثال، تشملُ المعلوماتُ المُصَرَّحُ بها عدد الموظفين، الإيرادات، الديون، الأرباح والفوائد. وتتضمن أيضا أسماء المدراء. هذه السجلات موجودة ومتاحة في أغلب الدول العربية.

مثال: مُستخدِماً هذه المعلومات، بيَّن أحد الصحفيين أن أحد مواقع الإنترنت الذي تظاهر أنه منظمة دفاع عن المستهلكين كان في الحقيقة لشركة تخصصت في الاستخبارات الاقتصادية على أعمال منافسين وعملت لصالح كبار الشركات.

- **المؤسسات الدولية** التي تُقدِّم مساعدة أو معلومات تتعلق بأوضاع محددة في بلدان معينة (مثل الاتحاد الأوروبي، الأمم المتحدة، البنك الدولي، منظمة الصحة الدولية، منظمة العمل الدولية إلخ...). هذه المعلومات توفر للصحافي مواد قيمة يستعملها للمقارنة بين نسب عالمية ونسب محلية.

مثال: استخدمت صحيفة في ساحل العاج محاسباً من الاتحاد الأوروبي لتُبيِّنَ أن الحكومة القومية أساءت استخدام ملايين الدولارات من المساعدات التي تلقَّتها.

- محركات البحث الدولية وهيئات صحافية متخصصة عابرة للحدود: مثل lexis Nexis ومشروع تغطية الجريمة المنظمة والفساد (في أوروبا) توفر بيانات مهمة تساعد الصحفيين على تعقّب رؤوس الفساد ورأس المال المهرب.

نماذج: الزميلان عبد الرحمن شلبي وطارق عبد العزيز (مصر) تتبعا خطوط إنفاق الرئيس الأسبق حسني مبارك ليوثقّا - استنادا إلى مصادر خارج البلاد- عمليات تبذير ثلاثة مليارات جنيه على الطائرات الرئاسية. بالوسائل ذاتها تتبع شلبي دهاليز تهريب ملايين الدولارات من أموال السيدة الأولى السابقة سوزان مبارك خارج مصر بمساعدة حكومات ما بعد الثورة (يناير 2011).

أما سيد محمد طه، فتوصل – بأدوات مماثلة- أن «ثغرة في قانون الأوراق المالية طيّرت الثروات من القاهرة إلى لندن - تهريب الأموال عبر قناة البورصة قبل استعار الثورة». علي زلط وعبد الرحمن شلبي كشفا شبكة أموال رجل النظام السابق القوي حسين سالم في بقاع عدة من العالم عبر التشبيك مع زملاء في منظمة الفساد والجريمة المنظمة. وكشفت قواعد البيانات عابرة للحدود استثمارات سالم الضخمة المتوارية في سويسرا وجزر الكناري.

نستطيع أن نستمر في هذه القائمة إلى ما لا نهاية. وسيجمع مُحترف جاد قوائمه الخاصة للمصادر العلنية، ويُجدِّدها بانتظام كلَّما تطلب مشروع محدد ذلك. وهذه القوائم مهمة بمدى أهمية مصادرك البشرية.

ج . إستراتيجية المصادر العلنية

ما تعنيه المصادر العلنية لمنهجنا الاستقصائي هو التالي: بدلاً من السعي إلى مصادر تَعِدُنا بمدخل إلى أسرار، فإننا نستخرج من حقائق متاحة ما قد يكون سرا. وتبدو العملية مرة أخرى، كمعادلة مُختصرة:

1- نبدأ ببضعة مؤشرات حقائق.
2- الحقائق التي لا نعرفها تشكّل أساسا للفرضيّات.
3- نسعى إلى تأكيد فرضيّتنا من مصادر علنية.

4- نسأل أشخاصاً يمكنهم إكمال المعلومات التي عثرنا عليها في/ من مصادر علنية.

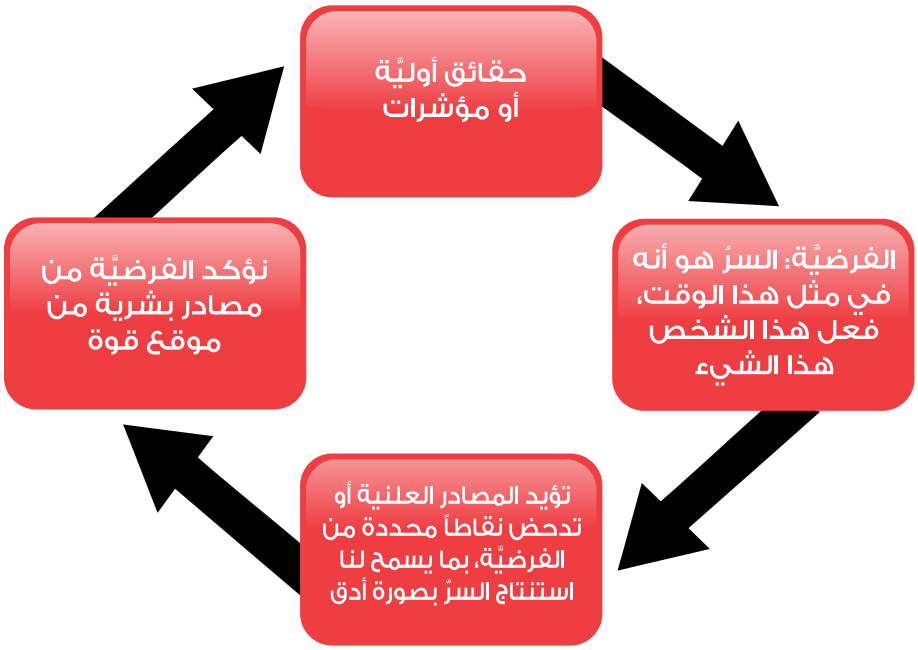

مثال: الجبهة الوطنية الفرنسية، حزبٌ سياسي يميني متطرف، اقترح برنامج «الأفضلية القومية» يُمنح من خلاله المواطنون أحقية التوظيف وإعانات وحقوقاً أخرى حتى قبل المهاجرين الشرعيين. مثل هذه السياسة غير قانونية في ظل القانونين الفرنسي والأوروبي اللذين يساويان بين جميع المواطنين. ورغم ذلك، أخبرنا مسؤول من الجبهة أن استراتيجيي الحركة يؤمنون بأنه يمكن تفعيل البرنامج باستغلال «المناطق الرمادية» في القانون الفرنسي الخاص بمجالس الحكم البلدي. وحين سُئِل عن مجالات محددة، توقف عن الكلام.

الخطوة الأولى: افترضنا أنه في المدن التي يسيطر عليها رؤساء بلديات الجبهة الوطنية، يتم تفعيل برنامج "الأفضلية القومية" غير القانوني، من خلال استغلال الغموض في القوانين ذات الصلة.

الخطوة الثانية: راجعنا برامج الجبهة الوطنية الانتخابية، وهي وثائق حصلنا عليها من مصادر علنية ومن مكتبات بيع الكتب، لنتعرف على مقاييس "الأفضلية القومية" ذات الصلة.

الخطوةُ الثالثة: عدنا إلى مقالات إخبارية، ونشرات بلدية، ومنتديات الإنترنت، ونشرات وتقارير جمعيات المواطنين، لنتحقق أوليّاً من أن هذا البرنامج يُطبَّقُ في المدن التي تسيطر الجبهة الوطنية عليها.

الخطوة الرابعة: واصلنا الخطوة السابقة بإجراء مقابلات مع مصادر بشرية من الجبهة ومن معارضيها. وأيضاً أجرينا مقابلات مع خبراء قانونيّين في كيفية تطبيق مقاييس الجبهة دون خرق القانون.

النتيجة: استطعنا التحقق من الفرضية وتأكيد الممارسات الموجودة عندما سألنا مسؤولي الجبهة أن يؤكدوها فأجابوا بطريقة عفوية عنها، وأكدوا أيضا ممارسات لم نكن نعرف عنها. ولكن لماذا؟ أنظر أدناه.

د. المصادر العلنية مصدر قوة

تضعنا المعلومات المستقاة من المصادر العلنية، مقارنةً بسؤال شخص معين أن يخبرنا بقصة، في موقع قوة نسبي. فالأمر يختلف تماماً حين تطلب من شخص أن يؤكد لك قصة. كالفرق بين أن تقول، "ماذا حصل"؟ وأن تقول، "هذا ما حصل، أليس كذلك"؟

وطبعاً، سيكون من الصعوبة على أحد أن يُضلِّلَ شخصاً (صحافيا) يسأل السؤال الثاني. كما أن انخراطك في محادثة مع مصدر محدد سيكون أكثر إثارة لأنه يستطيع تقدير قيمة المعلومات التي جمعتها ويستجيب لها بعمق أكبر مما يفعله مع شخصٌ لا يملك معرفةً مستقلّة. وذاك ربما كان السبب الذي جعل مسؤولي الجبهة الوطنية الفرنسية يقدّمون لنا أمثلة عن سياسة الأفضلية القومية لم نفكر فيها قبل إجراء المقابلة؛ لقد عرفوا أننا يمكن أن نقدِّر لهم عملهم.

وباستخدام المصادر العلنية، فإنك تُظْهِرُ لمصادرك البشرية:

1- أنك مهتمٌ بالموضوع إلى درجة ألزمت نفسك معها بوقت وطاقة كبيرين لتمكين نفسك.

2- أنك لا تتوقع منهم أن يؤدّوا لك عملا تستطيع أن تقوم به أنت نفسك.
3- أنك لا تعتمد عليهم في الحصول على معلومات.
4- أن لديك معلومات لتشاطرهم إياها.

-5 أنه لا يمكن منعك من تنفيذ القصة لأن شخصاً ما لا يريد أن يتحدث إليك.

تعلَّم عبور الأبواب المفتوحة للوصول إلى المعلومات قبل أن تحملَ هاتفكَ لتتصل بشخص ما. (للتذكير، يمنع مركز النزاهة القومي في أمريكا باحثيه من استخدام الهاتف في الأسابيع الستة الأولى من أي استقصاء. وهذا هو الزمن الذي يكون عليهم فيه أن يسعوا إلى مصادر علنية ليثقفوا أنفسهم حول الموضوع). وهذا الأمر هو جزءٌ مهمٌ كي تُصبحَ شاهداً يستحق التقدير - شخصاً تُريدُ المصادرُ أن تتحدث إليه، لأنه يفهم ما يُقالُ ويُقدِّرُه.

هـ . العثور على مصادر علنية

1. رسم خريطة الموضوع

مُهِمَّتك الأولى هي الحصول على مُلَخَّص عام للقصة محل الاستقصاء؛ أي كمن يريد رسم لوحة لمشروع افتراضي قبل التنفيذ. وتُسمى هذه العملية أيضاً "وضع الخلفيَّة"، الذي يشير أولاً إلى العثور على ما يقع خلف الموضوع وحوله. وتشمل مُهِمَّاتك هنا ما يلي:

حدِّد اللاعبين الأساس أو المفاتيح (أفراداً ومؤسسات).
حدِّد المسائل الأساس التي تهم اللاعبين.
أدرس وافهم تواريخ وأحداث مفصلية في حياتهم - من الماضي إلى الحاضر.

في هذه الحالة توفر الحقائق التي جمعتها نقطة انطلاق بين يديك. فإذا بدأتَ باسم لاعب أو مؤسسة، إبحث عن معلومات ذات صلة باللاعب أو المؤسسة. بعد ذلك، إتبع الإشارات أو الإضاءات الموجودة في تلك المادة التي جمعتها كي تُحدد مكان مواد أخرى.

أمثلة:

وجد شرطيٌّ شاهدةً أساسيةً في قضية قتل من خلال معرفة اسمها الأول، وكانت حاملاً في لحظة معينة؛ ذهب إلى سجلات الولادة في البلدية ليعرف أسماء النسوة اللواتي وضعن حملهن في الوقت المعلوم، وعثر على شاهِدته.

حين تجد الأبواب أمامك مغلقة، إبحث عن معلومات تتعلق بالقضية. حاول مرات عدّة تجنب وضع نفسك في موقف يتطلب منك بشكل مطلق معلومات محددة من مصدر واحد، لكي تتقدم إلى الأمام. خلاصة القول: إذا حشرت نفسك في الزاوية فإنك تضع القوة كلها بين يدي المصدر.

بدلاً من ذلك، إجمع معلومات عن لاعبين أو مؤسسات أو أحداث تكون على بعد خطوة واحدة من الموضوع الآني مثار التحقيق. إذ يمكن لهذه المعلومات أن توفر لك منظوراً جديداً، وتفتح لك ممراً إلى مصادر جديدة. فستجد في الأغلب أنه حين يدرك مصدرُكَ "الوحيد" أن كل شخص منخرط في القصة يتكلم إليك، إلا هو، فسوف يبادر بنفسه إلى التكلم معك.

من الواضح أن هذا العمل يكشف معلومات كثيرة بسرعة. أرجوك أن تقرأ الفصل الخامس، لترى أساليب تنظيم ذلك منذ بداية التحقيق. فأنت بحاجة إليها.

2- إلجأ لمصادرَ عامةً لِتُوَجِّهُكَ للمصادرَ الخبيرةِ بالقضية مثار البحث.

للمصادر العامة أهميتها، ولكنك بحاجة بالمِثْل للحصول على مصادر علنية خبيرة. فعلى سبيل المثال، تعد مادة إخبارية عن اكتشاف علمي مصدراً عاماً. لكن مصدر البحث العلمي الأصلي، الذي قد يكون نُشر في دورية متخصصة، يعد مصدرا خبيرا يتوفر لديه مستوى أغنى من التفاصيل. ففي استقصاء، يمكن أن تكون تلك التفاصيل مهمة للنجاح، ليس فقط لأن الحقائق التي تعثر عليها مثيرة جداً، بل أيضا لأن معرفة هذه التفاصيل تُمكِّنُكَ من إجراء حوار مع مصادر تحتاج إليها بطريقة تعكس قوة وثقة بالنفس. وستشعر أن مصادرك هذه ستعترف بك

على أنك شخص يبذل جهداً خارقا لفهم القصة، وليس مجرد شخص ينسخ عمل شخص آخر.

والطريقة الأفضل لاكتشاف مصادر علنية خبيرة هي سؤال المحترفين في قطاع ما عن المصادر التي يستخدمونها.

يستطيع المسؤولون الحكوميون إخبارك مَنْ يحتفظ بالتقارير المعينة التي تريدها، وبأي شكل وأين.

يستطيع ممثلو الشعب المُنتخَبون أن يخبروك كيف تسير العملية التشريعية، وما هي أنواع الوثائق التي يصدرونها في مراحل مختلفة من دراسة التشريعات.

وكلاء الأملاك العقارية يعرفون أي مكاتب تحتفظ بسجلات تسجيل المِلكيَّة.

يخبرك المستثمرون المحترفون أين تجد معلومات عن شركة ما، وكيف تقرؤها وتحللها.

وهكذا، وحين تتحدث مع تلك المصادر المحترفة، تأكدْ من سؤالهم عن مصدر الحقائق التي تجدها مثيرة. وينطبق هذا الأمر أيضاً على المحادثة مع مُستقصين آخرين، بمن فيهم الصحفيون أو الشرطة أو مدققو الحسابات. لا تجمع حقائق فقط: اجمع الطرق والتقنيات التي على أساسها يتم العثور على الحقائق.

مثال: طلب من مُستقصٍ خاص أن يكتشف العلاقة القائمة بين مؤسستين في بلد أجنبي. راجع المستقصّي قاعدة معلومات «دن آند برادستريت»، وهي مصدر أساس للمعلومات التجارية. وبتكلفة 70 دولاراً أمريكيا لتفعيل الخدمة المتوفرة، حصل على المعلومات المطلوبة خلال نصف ساعة.

احتفظ بمعلومات في قائمتك عن هذه المصادر ومُنسقيها. وتأكد من تكرار استخدامها لكي لا تنسى آلية عملها. مثلا، في حال وجدت قاعدة بيانات مجانية توفر معلومات عن الشركات التجارية - بالنسبة لفرنسا اسم الموقع societe.com - تجوّل في الموقع بين الفينة والأخرى لترى ما إذا طرأ أي تغيير على وضع الشركات التي تكتب عنها باستمرار.

4- اجمع الوثائق المتاحة

أنت بحاجة إلى غرس وممارسة عادة جمع المعلومات في نفسك وحيثما تكون. فالمعلومات الأكثر صلة بنشاط معين موجودة دائماً، تقريباً، حيث يقع النشاط. إذاً، إجمع كل الوثائق التي تقع تحت بصرك في أي وقت تزور فيه مكاناً كإعلامي.

مثال١: إذا ذهبت إلى مدينة للمرة الأولى، أدخل غرفة التجارة في إقليم ما، إجمع وثائق لها صلة بنشاطات الإقليم وصحة المشاريع. في واحدة من هذه الوثائق اكتشفنا، مبكراً في مهنتنا، كرَّاسَ دعايةٍ لمستشفى محلي كان منخرطاً بالقضية التي كنا نستقصيها. وقادنا الكرّاسُ إلى مصدر مهم وحاسم.

مثال٢: إن كنتَ موجوداً في مكتب ووجدت فيه وثائقَ معروضة على الرف أو على الطاولة حيث تجلس، إلتقطها وادرسها. وأسأل إن كان بإمكانك الاحتفاظ بها. حين غطينا موضوع الجبهة الوطنية الفرنسية آنف الذكر، ذهبنا إلى مركزهم القيادي كل أسبوع، وجمعنا المجلات المعروضة. إلا أن العديد من المعلومات التي أردت العثور عليها لم تتواجد إلا بحوزة أعضاء معينين بالحركة يحملون بطاقات الانتساب. ولكنها قُدِّمت لي حين طلبتها. وكانت تلك مصادر معلومات لا تقدَّر بثمن، تدور حول نشاط الحركة في المستويين المحلي والإقليمي، ولم تناقشها وسائل الإعلام الإخبارية أبداً.

استخدم خبراء لتطوير مصادرك

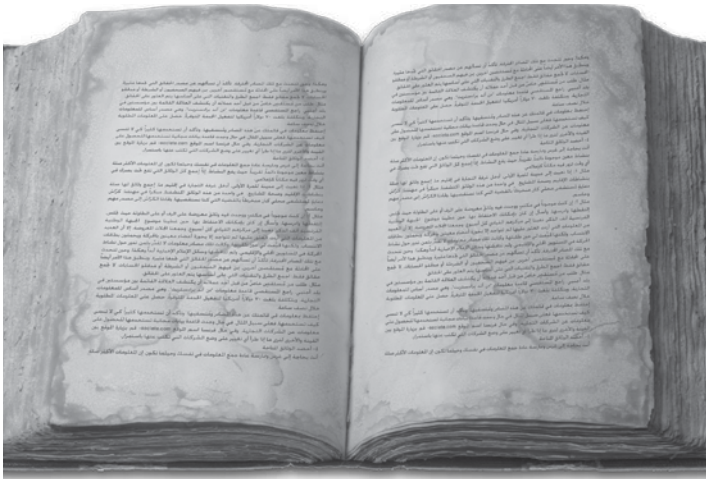

1- مسؤولو الأرشيف ملائكةٌ

كون المصدر علنيّاً لا يعني أنك تستطيع الوصول إليه بفاعلية، بخاصة حين تكون المكتبات المتخصصة والأرشيف هي المطلوبة. الحل: إبحث عمّن يديرون الأرشيف، واطلب منهم المساعدة. من الجيد أن تحصل دائماً على اسم موظف أرشيف حين تدخل مكتبة ما. فخبرتنا تقول

لنا إن المؤرشفين عادة ما يشعرون بأن الناس لا يُقدِّرونهم، ولذا، فإن أي شخص يعاملهم باحترام ويقدِّر خبرتهم يكافئونه ويساعدونه.

أمثلة:

لمتابعة استقصاء فضيحة الدم الملوَّث في فرنسا، كانت المهمة الأولى جمع كل الأدبيات العلمية حول نقل الدم والإيدز قبل أن تتفجَّر الفضيحة. مديرة مكتبة مستشفى باريسي تعليمي أساس، زودتنا بقائمة شاملة لمقالات ذات صلة من قاعدة المعلومات الموجودة في مؤسستها، واحتوت المكتبة على ما يقرب من جميع المجلات المُدرجة في القائمة. اكتملت المهمة في فترة لم تتعد بعد الظهر.

تحضيراً لاستقصاء عن بائع مواد فنيّة باريسي، اتصلنا بوزارة الثقافة الفرنسية لطلب معلومات عن الإعانات التي تُقدَّم لسوق الفن، فتم توجيهنا إلى موظفة معينة. وبينما كنا نتكلم معها على الهاتف، كان يُسمعُ صوت طباعة على لوحة مفاتيح كمبيوتر. عندما سألناها عمّا كانت تطبعه، قالت إنها كانت تستشير قاعدة معلومات للوزارة. سألناها إن كانت علنية، أجابت، نعم. احتوت قاعدة المعلومات على أسماء جميع الذين تلقوا إعانات من الوزارة، وكانت متوفرة في مكتبة عامة أرشدتنا الموظفة إليها.

2- حلّل ما توصلت إليه

ليس الحصول على وثيقة مثل فهمها. فكثيراً ما تكون لغة التقارير الرسمية في القطاع العام أو القطاع الخاص خاصة جداً، وتتطلب تفسيراً. ينطبق هذا الأمر على المصادر العلنية المتنوعة بتنوع التقارير السنوية أو محاضر الاجتماعات.

وحين تجد نفسك في مواجهة مثل هذه الوثيقة، تكون مهمتك اللاحقة هي العثور على مُفسِّر خبير للغتها وجوهرها. وبشكل عام، إبحث عن شخص منخرطٍ في القطاع الذي تستقصيه، ويستطيع العثور على القصة التي تستحق الاهتمام، ولا تتعارض مصلحته مع مصلحة القضية قيد البحث.

مثال: لفهم كيفية استغلال الجبهة الوطنية الفرنسية لأموال المدينة للقضاء على مجموعات معارضة، حصلنا على تقرير مجاني حول الإعانات البلدية من مدينة تسيطر عليها الجبهة، بعد ذلك تفحَّصناه سطراً بسطر مع موظف بلدية سابق من تلك المدينة كان يعمل في أمور الموازنة.

لا تَسْعَ للحصول على رأي من شخص سيقوم بتقديم تقرير عن محادثتكما لآخرين، وتجنب ذلك قدر الإمكان. كما إعمل على تجَنُّب النقاشات مع أفراد لهم عمل من أي نوع مع لاعبين في قصتك مثار التحقيق، إلا إذا كنت تُجري مقابلات معهم. فمثل هؤلاء الناس يستطيعون مقايضة معرفتهم بما تفعل لمصلحتهم، وسيفعلون ذلك على حسابك.

إبدأ بسرعة ... لكن هوِّنا على نفسكً

نقترح أن تبدأ تحقيقاً بجمع أسهلِ المعلومات التي يمكنك الحصول عليها من أكثر المصادر علنيَّةً لأن الصعوبة ستزداد كلما تقدم مسار التحقيق. ولكن إذا كانت بدايات تحقيقك صعبة ومعقدة، فالسبب قد يكمن في أن هناك خطأ في عنصر من عناصر فرضيَّتك مرتبطا بما صنفته أنت بمصادر علنية. تلك إشارة واضحة تدل على أن فرضيَّتك خاطئة جداً، أو أن شخصاً ما يعمل بجِدِّية لإخفاء القصة مثار التحقيق.

وبالعكس، إذا كانت التأكيدات الأولى ناجحة، فتلك علامة على أنك تستطيع تسريع التحقيق وتوسيعه. وحين يبدأ هذا الزخم بالتراكم، إستفدْ منه. خُذْ معلومات المصدر العلني مهما كَثُرَتْ. إستنتج معناها، وأضفها إلى فرضيَّتك. في الخطوة اللاحقة، ستدخل المجال الذي لا تكون الحقيقة فيه مكتوبة أو موجودة في وثيقة.

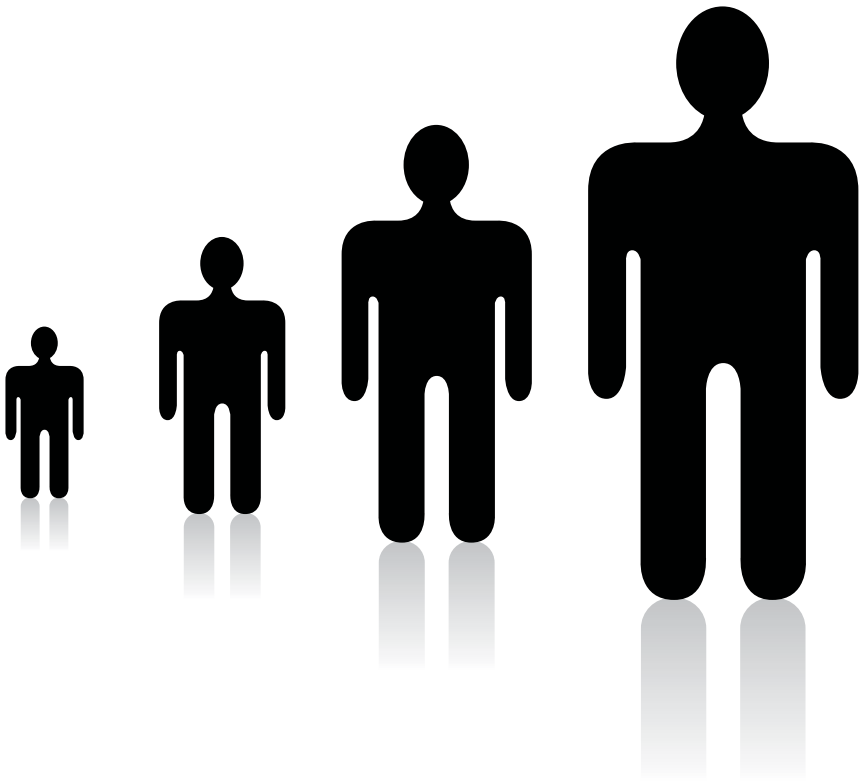

الفصل الرابع:

استخدام المصادر البشرية

استخدام المصادر البشرية

مارك هنتر و نلز هانسون
Mark Hunter and Nils Hanson

العملية إلى الآن:

1- نكتشفُ موضوعاً.

2- تتبلور فكرة الاستقصاء.

3- نطرحُ فرضيَّة لنستقصيها.

4- نبحثُ عن معلومات من مصادر علنية لنتحقَّق من الفرضيَّة.

5- نبحثُ عن مصادر بشرية لتعزيز معارفنا.

المعلومات الأكثر إثارة توجد عادة في ذاكرة الناس وعقولها وليس في المصادر العلنية. فكيف نعثر على هؤلاء الناس؟ كيف نجعلهم يقولون لنا ما يعرفونه؟ لا تقلِّل من قيمة هذه المهارات. فليس كل شخص يملكها، وعملُكَ كصحافي مُستقصٍ سوف يطورها إلى درجة عالية. ولكن، لا تُسئ استخدامها أيضاً. ولا تنْسَ أبداً أنك قد تؤذي، كصحفي، بعض الناس – في مشاعرهم، في أرزاقهم، وحتى في سلامتهم الشخصية. تأكد أن لا تؤذيهم لمجرد أنهم كانوا على درجة من السذاجة في تعاملهم معك وكلامهم إليك.

في هذا الفصل، سوف نتناول كيفية تحويلك كصحافي متقص إلى شاهد جدير بالثقة – شخصٍ قد يتحدث مصدرٌ إليه باطمئنانٍ وبشكلٍ مفيد.

أ. رسم خريطة للمصدر

طريقة معظم الإعلاميين التقليديين في مجال الأخبار ومتابعة ارتداداتها تتلخص في العثور على شخص قادر على أن يوفر لهم اقتباسات يستطيعون استعمالها في إعداد تقاريرهم. غالبا ما يجدونهم بعد قراءة أول قصة نُشرت حول موضوع معين، والتقاط أسماء الأشخاص المُستشهَدِ بهم فيها، ثم الاتصال بهم. مثلُ هذه المصادر قد تتلقى مئات المكالمات في يوم واحد. فهل سيقولون شيئاً جديداً للمُتَّصِل المائة، هذا إذا رفعوا سمَّاعة الهاتف أصلاً؟ كلا. ولذا، لماذا لا يتم البحث عن شخص آخر لم يقم أحدٌ بطرح أسئلة عليه؟

سيزوِّدُكَ مصدرُكَ العلني بقائمة من الأسماء الأكثر أهمية لتتصل بهم. على سبيل المثال، لتستقصي شركةً قد تبدأ بقراءة تقاريرَ مُحلِّلين ماليين تصف وضع الشركة ووضع أقوى الشركات المنافسة لها.

بعد ذلك، تحدَّث مع المُحللين، ومن ثمَّ مع المنافسين.

من خلالهم، ومن خلال وسائل الإعلام التي تغطي عالم الصناعة والمال، اعثر على أشخاص تركوا الشركة، إما لوظائفَ أخرى، أو للتقاعد (وجد سيمور هيرش العديد من مصادره عن المخابرات المركزية الأمريكية من خلال تتبع إعلانات التقاعد).

ومن خلال هذه المصادر، تواصل مع أناس لا يزالون في الشركة ويرغبون في الكلام.

ننصحك بأن ترسم خريطةَ مصادر بسيطة بأسرع ما تستطيع. فالخريطة تمثيل مرئي لكل الناس المنخرطين، أو الذين قد ينخرطون، مباشرة في قصَّتك. تبدو الخريطة مثل البيوت في قرية يعرف كل واحد من أهلها كل واحد آخر، والقرية هي المكان الذي تدور فيه أحداث القصة.

تستطيع أن تجعل خريطتك مُعقَّدة وغنيَّة بقدر ما تريد - مثلا، تستطيع تدوين مواقع سُكنى المصادر الأفراد، تواريخ ميلادهم، وظائفهم، أو أي شيء تحب. ولكنك تستطيع في البداية أن تكون أكثر بساطة، وقد لا تحتاج إلى أن تذهب أبعد من ذلك. (وحتى وجود خريطة مصادر بسيطة جداً، تأخذ منك بضع دقائق لتحضيرها، ستمنحك مِزَيَةٍ على معظم منافسيك). وبالنسبة لقصة الولادات المبكِّرة في قصة "الطفل الرضيع دو" - الواردة في الفصل الثاني - بدت خريطةُ

المصادرِ الأساسُ كالتالي:

لاحظْ بعض الأشياء عن هذه الخريطة: الأطفال المعاقون في المركز، لأن القصة في النهاية هي عنهم. ولكنهم أيضاً أصعب ما يكون العثور عليهم، والتحدُّث إليهم. وكل شخص آخر قد نتكلم معه يدور حولهم، لأن كل مصدر آخر، بطريقة أو بأخرى، مرتبطٌ بهؤلاء الأطفال. ولاحظ، بالمثل، أن الأطباء بين الوالِدين والمستشفيات. لماذا؟ لأنهم مَنْ يتحدثُ الأطباءُ إليهم أكثر من غيرهم.

وهذه هي النقطة الأساس: حين ترسم خريطة مصادر، إستخدمها لتُبيّنَ العلاقات بين لاعبي القصة، كي تستطيع، إذا أُغلقت الطريق أمامك إلى مصدرٍ ما، أن تذهب إلى مصدر آخر يستطيع رؤية ما هو أبعد من العقبة التي اعترضتك. فحين يقبلُكَ الناسُ في جزءٍ ما من خريطتك، تكون حظوظك في القبول في أمكنة أخرى من الخريطة أفضل.

ب. وفّر للمصادرَ أسباباً لتتكلم

قد يكون عند الناس الذين لديهم حقائق أو قصص ليرووها أسباب قويَّةً

لعدم إجابتهم عن أسئلتك. بشكل عام، هم لا يعرفون إن كنتَ مُحترفاً ومسؤولاً ومُنصِفاً (وعديد من الإعلاميين ليسوا كذلك). وحتى إن كُنت كذلك، فإنهم لا يستطيعون التحكم بما ستفعله بمعلوماتهم التي يعتبرونها قيِّمة. وأخيراً، قد يؤدي استخدامك للمعلومات إلى الإضرار بمهنهم أو علاقاتهم أو حتى سلامتهم الجسديَّة.

إذاً احتفظ بهذه الحقيقة في ذهنك حين يتردد شخصٌ ما في التحدّث إليك: فقد تتحوّل إلى أحد أسوأ الأشياء التي تحصل لهم قطّ. رغم ذلك، تذكر أن أغلب الناس لا يرفضون الحديث إلى الصحفيين.

لماذا يفعلون ذلك؟ يوجد سببان: الكبرياء والألم. ولذا يجب أن تمنحَ مصدرك فرصة الاطمئنان والحديث عن أحدهما أو كليهما.

سيتحدث الناس معك لأن شيئاً يثيرهم - موهبة أو شيءٌ من الجمال اكتشفوه، نجاحٌ حققوه أو سيحققونه، خطةٌ أبدعوها لإنقاذ العالم. ومناقشة هذه المواضيع معهم تجعلهم يشعرون بالسعادة أو الأهمية أو كليهما.

أو، كما يعرف الأطباء، يتحدثون لأنهم يشعرون بالألم ويرغبون بأن يقوم أحدٌ بمساعدتهم. وبصورة عامةٍ، الألم أقوى من الكبرياء، ولذا، فإن أول من يتحدث من الناس في معظم الاستقصاءات هم الضحايا - أولئك الذين تعرضوا للإساءة بطريقة ما، أو من انتُهكت قيمُهُم كثيراً بسبب ما شاهدوه.

ثمة أيضا سبب محدد يدفع شخصا للتحدث اليك: فهو يعتقد أن الحديثَ إليك أمرٌ آمنٌ. وكي يحصل ذلك، ويدوم أيضا، يجب عليك بناء علاقة متكافئة مع المصدر. وفي تلك العلاقة، يجب أن يعتمد كل واحد منكما على الآخر في أشياء معينة. فقد تقوم أنت والمصدر بتزويد بعضكما بعضاً بالمعلومات، أو بالانخراط في نشاطات معينة. وسواء التزم المصدر بذلك أو لم يلتزم، عليك أنت الالتزام. فالأمر ليس مجرد التزام مهني، بل أيضاً أمرٌ يتعلق بالشخصية. إذ يجب أن تكون جديراً بالثقة غريزيَّاً، وإلا شعر الناس أنهم لا يستطيعون الثقة بك.

ج. الاتصالات الأولى: التحضير والدعوة

1- التحضير للقاء

أسلم طريقة للاتصال بمصدرٍ ما (إلا إذا شكَّل المصدر خطراً جسديَّا لكَ) هي

اللقاء به وجهاً لوجه. فغرضُ اتصالك الأول هو أن تجعل ذلك اللقاء يحصل.

قبل أن تجري المكالمة الهاتفية الأولى، يجب أن تقوم ببعض البحث حول الشخص والمسائل التي ستتحدث عنها معه.

في ما يتعلق بالشخص: الحد الأدنى الذي يجب أن تقوم به هو أن تبحث عنه أو عنها في الإنترنت. وهنا يجب الرجوع إلى أي مواد إخبارية أو كتابات أخرى ذُكر فيها اسم المصدر؛ إذا وجدت العديد منها بحيث لا تستطيع قراءته كله، اقرأ القليل منه. والغرضُ هنا هو إظهار اهتمامك بالمصدر، ومعرفة مهنته أو مهنتها. لا تذهب أبداً لإجراء مقابلة وتسأل مصدراً له تاريخ مهني عام وحافل أن يذكر مهنته او أن يحدثك عن امور متاحة على الموقع الالكتروني لمؤسسته. يجب أن تكون عارفاً بها قبل وصولك.

إذا كان المصدر قد كتب مقالات لوسائل الإعلام أو لمنشوراتٍ متخصصة، إحصل عليها واقرأها. فحتى أكثر الأفراد سريَّةً أو خجلاً يكشفون شخصياتهم وقيمهم واهتماماتهم حين يكتبون. يمكن لهذه المواد أن تزودك بفرضيَّات يمكن أن تُختبر لاحقاً في مقابلة.

على سبيل المثال، افترضنا من مقالاته وخطبه المنشورة أن مسؤولاً رفيعاً معيَّناً في فرنسا يكره الكذب، ولكنه كان خبيراً في تجنُّب المواضيع التي يعتبرها حسَّاسة أو خطرة. ولذا، بمراقبة كيف ومتى يُغيِّر المواضيع، تمكنَّا من تعيين النقاط المحدَّدة التي رغب بتجاهلها، وبعد ذلك استقصيناها أكثر. وعندما سألناه أن يؤكد استنتاجاتنا مباشرة، ملتزمين بفرضيَّتنا حول شخصيته، لم يكذبْ.

في ما يتعلق بالمسائل: يجب أن تكون واعياً بآخر الأخبار والبيانات العلنية المتعلقة بالمسائل التي تريد الحديث عنها. طبعاً، لا تحتاج إلى أن تكون خبيراً، ورغم ذلك، يجب أن تكون واعياً بعناصرَ معيّنة تتكرر في مناقشة المسائل عادة، ويمكنك سؤال مصدرك أن يوضحها.

يجب أن تُظهرَ وعياً، إن لم يكن فهماً، بعناصر أساسية في اللغة التي يستخدمها المصدر، وبعد ذلك يمكن أن تسأل المصدر أن يشرحها لك.

2- الاتصال

يمكن الاتصال هاتفيا فقط مع المصدر في بيته. لا تتصل به أو بها في مكان العمل، إلا إذا كنت متأكداً بشكل مطلق أن لا حرج من فعل ذلك. إذ قد يكون

رئيسُ الشخص المعني يستمع. كما أن بالإمكان تتبع مصدر المكالمة (وسنقول المزيد عن ذلك لاحقاً). وينطبق الأمر ذاته على البريد الإلكتروني، حتى وإن كان المحتوى غير ضار. فمن السهل جداً على مدير ما أن يعرف من استلم بريداً إلكترونيّاً من صحفي. كما بإمكانك أن ترسل رسالة بالبريد إلى المصدر في منزله.

إننا لا نتكلم نظريًّاً هنا. رأينا ذات مرَّةٍ فريقاً استقصائياً استهدف مسؤولاً رسمياً قيل إنه استبداديٌّ وشكَّاكٌ وفاسدٌ. كتب الفريق إلى سكرتيرته، وهي في مكتبها، سائلين إيَّاها مساعدتهم. رفضت. ولكن حين علِم الرئيس باستقصائهم، كما يفعل المُستهدفون دائماً قام بطردها.

فكِّر بكيفية تقديم نفسك قبل أن تُجري اتصالاً. يجب أن تُخبر المصدر من أنت، وماذا تعمل، وأن تشعره بأنك واثقٌ من مُهمَّتك وقدرتك على النجاح لكن بدون أن تقول ذلك صراحة. تستطيع أن تشعره بالثقة، وأن تطمئنه أنك ستحصل على تلك القصة وسترويها وتؤكد له أن الواقع المعاش سيكون أفضل حين تفعل ذلك. خذ بالاعتبار هذه الأمثلة عن طرق الاتصال الصحيحة والخطأ:

لا تقل للمصدر "أريد أن أسألك شيئاً، إن لم يكن في ذلك مشكلة كبيرة لك". ذلك خطأ لأنك لا تريد أن تسأل. بل تسأل. إنك لا تريد أن تقول للمصدر إن الحديث معك يعني مشكلة، وإنك مُحرج من أن تسأل».

الصحيح: "السلام عليكم، اسمي ... أنا صحفي، أعمل في وسيلة إعلام اسمها ... وأنا أعمل على قصة ... أعتقد أنها قصة مهمة، وأريد أن أرويها كاملة وبدقة. متى نستطيع اللقاء لمناقشتها"؟ تلك الطريقة سليمة لأنك عرَّفت على نفسكَ وغرضك بالكامل، وأعطيت المصدر سبباً وجيهاً ليتحدث معك. لم تسأله إن كان اللقاء ممكناً، سألته متى. لم تستخدم كلمة "مقابلة" interview بل "لقاء" meeting لأن كلمة مقابلة تجعل المصدر يربط اسمه أو اسمها بالعناوين الرئيسة وبمستقبل قد يجلب مشاكل. إذا لم تكن تعمل لوسيلة إعلام محددة، يمكن أن تقول اسم وسيلة عملتَ فيها. وإن لم تعمل لأي وسيلة، قُلْ ما هي الوسيلة التي ستعرض القصة عليها. وتذكَّر: ليس المهم مَنْ تعمل لحسابه، بل كيف تعمل.

X **"أرجوك ساعدني، فأنت الوحيد الذي يستطيع مساعدتي"!**

الخطأ هو: إذا لم يوجد أي شخص آخر يريد مساعدتك، وإذا لم تكن قادراً على

مساعدة نفسك. فلماذا يجب علينا أن نساعدك؟

✔ **"أعرف أنك خبير حقيقي في هذا الموضوع، وأقدِّر لك كثيراً نظرتك فيه". الصحيح هو: أنت تمدح المصدر. وإذا كان المدحُ مُبرَّرًا، فلا يوجد سبب يمنعك من إبدائه. وأنت أيضاً تدعُ المصدرَ يفهم أن لديك مصادرَ أخرى، قد يكونون خبراءَ مثله.**

المبدأ الأساس: افترض دائماً أنك شخصٌ مثيرٌ تقوم بعمل مهم، وأن أي شخص سيسعدُ بلقائك. وإذا كان هذا صعبا عليكَ، أرجوك أن تبحث عن عمل آخر يناسب وضعك.

3- مكان اللقاء

إن لم يكن بالإمكان العثور على المصدر لطلب لقاء، أو إذا كان يرفض لقاءك، أو يؤخر اللقاء إلى آجال غير معقولة، فكِّر في تقديم نفسك في مكان لا يستطيع المصدر أن يتهرب منه. إذا كان المصدر في محاكمة، اذهب إلى قاعة المحكمة. إذا كان المصدر أستاذاً جامعياً، اذهب إلى محاضرة. ذات مرَّة، رفض مسؤول فرنسي رفيع أن يرانا لشهور، إلى أن ذهبنا إلى مكتب يجري فيه لقاءات أسبوعية مع ناخبيه، وجلسنا في مكاننا في خط الانتظار. لمّا حان وقت دخولنا المكتب قُلنا: «نحن الأخيرون في الخط، وما زالت لديك 20 دقيقة. دعنا نتحدث الآن». ابتسم وقال: "نعم".

إذا كان المصدر مُستعدًّاً للقائك، اذهب إلى بيته أو إلى أي مكان آخر يشعر فيه بالارتياح والأمان. إذا كان الاستقصاء يتعلق بعمل المصدر، وكانت منظمتُهُ تعرف بالمقابلة، يكون مكتبه عادة هو الموقع الأفضل. وسيُقدِّم المكتب كمًّا كبيراً من المعلومات عن المصدر - ماذا يقرأ، أذواقه، ردّ فعله على المقاطعات خلال اللقاء، إلخ.

د. بَدْءُ العلاقة: أهداف وأدوار

في عالم الأخبار، كثيراً ما تكون العلاقات مع المصادر شبيهة بعلاقة تدوم لليلة واحدة تترك شريك الغرام مستاءً. وهذا الأمر صحيح بخاصة في مشهد كارثة، حيث يصل عديد من الإعلاميين، فيقلبون كل شيء في الموقع، ومن ثمّ يغادرون بعد أن يكونوا قد علّقوا على سوء الطعام والشراب المحليين وسوء تصرف

الناس. طبعاً، لا يحاول المُستقصون أن يكونوا عشَّاقاً مثاليين. ولكن المصادر تسعى دائماً إلى علاقات مستقرة طويلة الأمد. ولذا، فإن بداية العلاقة لحظة مفتاحيَّة. تعَرِّفُ عموماً ما سيلحقُ؟

1- أولاً وأخيراً: حماية سرية المصدر

أهم شيء يمكن أن تفعله في الاستقصاء هو حماية سريَّة المصادر التي يمكن أن تتعرض للخطر لأنها اتصلت بك. وهذا الشرط مُلِحٌّ بخاصة عندما يطلب المصدر عدم التصريح باسمه. ويعني الوعدُ الذي تقدمه بإغفال الاسم أنه يجب عليك أن تفعل كل شيء كي لا تترك أي آثار للمصدر قد تساعد على كشفه. ويشملُ هذا الأمرُ الأمكنة التي يمكن للشرطة أو المحامين أن يعثروا فيها على ملاحظاتك التي دوَّنتها. وفي هذا المجال، يمكن استخدام الأساليب التالية:

- لا تتصل بالمصدر في مكان عمله، إذ يمكن تتبع هذه المكالمات. وكي تكونا آمنين عليكما استخدام هاتف متنقل ببطاقات مدفوعة سلفاً.

- تجنّب الاتصال عبر البريد الإلكتروني. فهذا العملُ مثله مثلَ إرسال بطاقة بريدية. والاتصال الآمن بالبريد الإلكتروني يتطلَّبُ تشفيراً Encryption. وحتى هذا الأسلوب يمكن أن يجلب انتباهاً غير مرغوب فيه وتذكر أن كل ما تضعه على حاسوبك قابل للاختراق بسبب سرعة تقدم تكنولوجيا القرصنة.

- قابلْ المصدر في مواقعَ آمنةٍ، حيث لا توجد إلا فرصة ضئيلة جداً لأن يُعْرَفَ أي منكما.

- إعطِ المصدر اسماً مُستعاراً أو اسماً مُرَمَّزاً ("المصدر أ"، "المصدر ب" مثلاً). ولا تستخدم اسم المصدر الحقيقي أبداً في النقاشات الداخلية.

- احتفظ بكل المواد المتعلقة بالمصدر في مكان آمن، والمكان الآمن المثالي هو الذي لا صلة لكَ به أبداً.

مثال :

في تحقيقهما حول "اعتداءات جسدية وجنسية على الأطفال في دور رعاية الأيتام في الأردن" اعتمد الصحفيان عماد الرواشدة ومجدولين علان (الأردن) بشكل أساسي على المصادر المغلقة، من الأطفال المنتفعين من هذه الدور. حتّم هذا الواقع على الصحفيين أن يكتموا هوية تلك المصادر حرصا على سلامتهم

وخشية تعرضهم للعقاب من قبل إدارات الدور أو من مراكز نفوذ في وزارة التنمية الاجتماعية. بعد نشر التحقيق تعرض عماد ومجدولين لضغوط هائلة تارة من قبل إدارة الصحيفة الناشرة وتارة من الوزارة المسؤولة عن ملف الأيتام، بهدف دفعهم للكشف عن هوية الأطفال الذي أدلوا بشهاداتهم. لكن الزميلين رفضا ذلك ووقفت أريج إلى جانبهما، وانتصرا في معركة قضائية بفضل الاحترافية والتوثيق المحكم.

2- تحديد أهدافك

قبل اللقاء الأول، حدِّد لنفسك ما ترغب في تحقيقه. وفي الحد الأدنى يجب أن يشمل هذا ما يلي:

الأصول Assets التي ترغب في الحصول عليها. وقد تشمل الأصولُ الوثائقَ، والموادَ الخاصة، وتحليلات أو تفسيرات، وأسماء مصادر أخرى ليتم الاتصال بها.

يمكنك أن تسعى للحصول على أصول محدودة فقط في اجتماع معين. يقول صديقنا فيليب مادلين Philippe Madelin، وهو مُتخصص في شؤون المخابرات السرِّية الفرنسية، إنه يسعى في الحصول على مقابلة نمطية لتأكيد معلومة واحدة فقط أو للحصول عليها.

أو، يُمكنك أن تسعى إلى الحد الأقصى، فتأخذ كل وثيقة يقع عليها نظرك. في ذلك الحال، تأكد من أن المصدر يعرف لماذا تأخذها.

عموماً، آخر الأصول التي نسعى للحصول عليها في لقاء هو اسم الشخص اللاحق الذي يجب أن تتحدث اليه وأي معلومات تفيد الاتصال به. ونقول عادة: "مَنْ تحترم لنظرته في المسائل التي ناقشناها؟ هل تعرف كيف يمكننا الاتصال بهم"؟

ما ترغب في أن تكشفه للمصدر عن مشروعك. يجب أن تتوقع أن تُسأل - إن لم يكن من هذا المصدر، فمن غيره - لماذا أنت منخرط في هذا المشروع بحماس، وماذا تأمل أن تحقق منه؟ ومهما كان الجواب عن هذا السؤال، فيجب أن تعطيه فوراً، وبإخلاص. ونقترح أن تتبع قواعد الدبلوماسية البريطانية الثلاث التالية:

- لا تكذب أبداً. لا تُعْطِ معلوماتٍ مزيفةً إلا إذا كنت مضطراً لذلك كملاذ أخير. وتذكَّر أن اكتشاف كذبة يُعرِّضُك لنتائج تمتد من إلقائك خارج الغرفة إلى إطلاق الرصاص على قدميك إلى تعذيبك (وهذا ما حصل مع إعلامي برازيلي تم اكتشاف كاميرته المخبَّأة في لقاء مع تُجَّار مخدرات وما كان سيحدث مع زميل لبناني حاول ادخال كاميرا خفيه معه قبل ان يكتشف ان عليه عبور بوابة الكترونية لكشف المعادن.
- لا تقل الحقيقة كلها أبداً. وعلى سبيل المثال، عندما عملنا مع اليمين الفرنسي المتطرف، كنا نقول: «لا تبدو صورة حركتكم في وسائل الإعلام دقيقة لنا، ونريد أن نعرف الحقيقة». لكننا لم نقل لهم، «قد تكون الحقيقة أسوأ».
- إن كنت لا تستطيع الإجابة عن سؤال، قُلْ ذلك
- وقُلْ متى ستجيب عنه.

ما ترغب في معرفته عن المصدر. صفات الشخص الذي نتعامل معه؟ ما هي التلميحات أو المحفِّزات التي يستجيب لها؟ ما هي أهدافه من الحديث معنا؟ هل يريد أو يحتاج إلى - بكل بساطة- رواية قصته، أم أنه يستغلنا لأهداف أخرى؟ تستخدم المخابرات البريطانية شكلاً توضيحياً ثلاثي الزوايا ينسجم مع معايير شبكة تلفزيون إس. في. تي. SVT السويدية:

تذكَّر وأنت تستخدم هذا الشكل التوضيحي:

المهم أن يكون الدافع مفهوماً ومقنعاً.

في ما يتعلق بنوعية المعلومات: في التغطية الإخبارية، يُفترض أن تأتي أفضل أنواع المعلومات من أرفع مصدر. أما المستقصون فإنهم يفترضون أن أرفعَ مصدرٍ هو أقلُّ اهتماماً بالحقيقة وأكثر اهتماما بتحقيق أهداف شخصية أو تنظيمية. ومن ذلك المنظور، **ستأتي المعلومات رفيعة النوعية ممن هم في المستوى الأدنى من المنظمة**، لأن أولئك الذين يعارضون الطموحات الشخصية أو الأهداف التنظيمية.

في ما يتعلق بالمدخل إلى المعلومات: كما هو مُقترحٌ أعلاه، يتمثَّل المصدر المثالي في معظم الاستقصاءات في شخص يعمل في المراتب الوسطى من منظمة ما، في المستويين العملياتي أو التخطيطي. فلمثل هؤلاء الناس مداخل إلى وثائق مهمة، لكن تأثيرهم قليل جداً على وضع السياسات أو تطبيقها. وبالمثل، تراهم ضعفاء جداً داخل تنظيماتهم.

ولذا، حين يعطيك هذا المصدر وثائق سريَّة، إسأله/ اسألها فوراً: "من يعرف عن هذه الوثيقة أو المعلومة أيضاً"؟ واشرح أنك لا تريد أن تستشهد بمعلومات يمكن تتبع مصدرها مباشرة. إذا لاحظت وجود معلومات سريَّة في لقاء، ضع علامة إلى جانبها لتشير إلى أنك يجب أن لا تقتبسها (إننا نستعمل العلامة «NFC»، أي «Not for Citation » ليس للاقتباس أو الاستشهاد")، وقُلْ للمصدر إنك تفعل ذلك. باختصار، دَعْ المصدر يرى أنك تُفكِّر في كيفية حمايته/ حمايتها، ثم احرص على أن تفعل ذلك.

3- اختيار أدواتك

هناك دوران أساسيان يمكن أن تلعبهما أثناء مقابلاتك:

يعرف «الخبير» معظم الإجابات، ويُمكنه أن يُقدَّر تماماً المعلومات التي تتضمن تعابير تقنية أحياناً، تلك التي يمكن أن يُقدِّمَها مصدر خبير مشابه. فعند الخبير، تقع المحادثات مع المصادر على أعلى مستوى قد يجد الأشخاص العاديّون صعوبة في فهمها. لقد سمعنا مصادر تقول: «إنه لأمر جيد أن أتحدث مع شخص يعرف القضية حقاً، فذلك يعني أنني أستطيع اختبار أفكاري».

ورغم ذلك، إذا بدأت باعتبارك "الخبير"، كُنْ متأكداً من أنك لن تُجْبَرَ على الاعتراف، في لحظة لاحقة من المقابلة، بأن معرفتك أقل عُمقاً مما تظاهرت به. في ذلك الحال، ستفقد ماء الوجه.

يتكلم "البريء" (أو الصريح) إلى المصدر لأنه بالضبط يعرف القليل، ويتطلع إلى أن يتنوَّر. ولا يعني ذلك أن "البريء" غبيٌّ، رغم أنه يُفضل أحيانا أن يقوم المصدر بالتقليل من شأنه. إذا شاهدت من قبلُ المحقق كولومبو Columbo في مسلسله التلفزيوني، فقد رأيت "**البريء**" وهو يعمل. وقد يكون هذا الدور، ربما، أقوى دور، لأنه يسمح لك أن تسأل أسئلة بسيطة، ساذجة، ثم تتدرج إلى أسئلة أكثر تعقيداً. ولأن "**البريء**" يحتاج إلى أن يسأل عن كل شيء تقريباً، فعليه أن يتجنب خطر الإشارة إلى المصدر، ما يسعى الصحفي إليه وكم يعرف فعلاً.

كثيراً ما يبدأ المُستقصون مقابلةً بدور "**البريء**"، ثم يكشفون أنفسهم، بعد أن تتقدم المحادثة، بدور "**الخبير**". إن كنت تفعل هذا، كُنْ حريصاً على أن لا تعطِ المصدر انطباعاً بأنك كذبت عليه، إلا إذا كان هدفُك المُحدَّد نصبَ كمينٍ لمصدرٍ لن تراه مرة أخرى أبداً.

يُمكنك لعب أي من هذين الدورين أو كليهما أثناء مقابلة واحدة. والمفتاحُ هو أن تشعرَ بالثقةِ من الدور الذي تمارسه في أي وقت.

في مجرى العلاقة مع مصدرٍ ما، قد يتطور دورك. وإنها لمتعة عظيمة لدى العديد من المصادر أن يروا أن «**البريء**» أصبح، أكثر فأكثر، قادراً على طرح أسئلة «**خبير**»، لأن ذلك يُبيِّن أن المُستقصي يستمع ويتعلم. وعادة ما يسير التطور الطبيعي لعلاقة مع مصدر ما في هذا الاتجاه.

هـ . تكتيكات المقابلة

يملكُ كل إعلامي مخزوناً شخصياً شبه ثابت من تكتيكات المقابلة، مثلهم مثل الغواة الذين لا يعرفون إلا طريقة واحدة للإغواء. كمُستقص، إصرف وقتاً مع أناس يشمل عملهم طرح أسئلة - ليس إعلاميين آخرين فقط، بل ورجال شرطة ومُدَّعين عامّين ومحامين وبائعين ومدقِّقي حسابات، وهكذا. إسألهم كيف يستجيبون لأوضاع مُحددة، أو أن يرووا لك قصصا عن مواجهاتهم. أفضل تكتيكات المقابلة تعكس شخصية المحاور، ضع ذلك في حسبانك وأنت تُطَوِّرُ ذخيرتك الخاصة من التكتيكات. وفي هذه الأثناء، إليك بعض أفضل خِدَعِنا:

1- تسلح بالأخبار/ أحضرها معك

يتدخل المُستقصون في الأغلب بعد أن تكون قضيَّة ما قطعت مشواراً، الأمر الذي يعني أن وسائل الإعلام الإخبارية راكمت، بهذا القدر أو ذاك، سِجلاً أساسا من المعلوماتً. ولكن ذلك السجل يكون عادة مليئاً بالأخطاء. ولِتبدأ مقابلة وعلاقة، حاول إحضار عدد من قصاصات الأخبار معك، واسأل المصدر أن يراجعها معك، كي تريا ما هي الحقائق الصحيحة.

2- سيطر على الوضع

قرأنا ذات مرة مقالة في مجلة رولنغ ستون Rolling Stone لشخص وجد نفسه ذات يوم يستضيف موسيقار ومغني الروك مِيك جاغر Mick Jagger. كان متوتراً جداً إلى حدٍّ نسي معه أن يعرض على الضيف شراباً بارداً في يوم حار. عندما جاء دورنا لإجراء مقابلة مع جاغر، حرصنا على أن نقدم له شاياً - لا كي نُدَلِّله بل لنشعره أنه في رحابنا. شكرنا على لطفنا، وسارت المقابلة بشكل جيد.

فكِّر في المقابلة على أنها مكاسرة إرادات، لأن ذلك ما هو عادة. حاول أن تختار البقعة التي ستجلس أو تقف عليها؛ تحَرَّك إلى أن تشعر بالراحة. سيطر على أدواتك؛ لا تسمح، على سبيل المثال، للمصدر بالاقتراب من جهاز التسجيل أو دفتر الملاحظات خاصتك. إذا حاول مسَّها قل "هذه أدواتي". ولا تقل، "هل أستطيع تسجيل هذه المقابلة"؟ بل قل، "إنني أسجل هذه المقابلة لأتأكد من ضمان الدقة في النقل". شَغِّل الجهاز، أذكر تاريخ المقابلة ومكانها واسم الشخص. إذا ظننت أن المصدر سيعترض، احضر شاهداً إلى المقابلة وقل للمصدر إنك أحضرته معك "لنتأكد أن محاضِرنا دقيقة، لذا طلبت إلى زميلي أن يساعدني".

3- أترك مسافةً بينك وبين مصدرِك

يُصبح بعض الناس صحفيينَ ليقابلوا أناساً ويتزلفوا لهم. إذا كان المُستقص بحاجة لصديق إلى هذه الدرجة، فالأفضل لَه أن يقتني قطةً. وإذا أصبحت صديقاً لمصدرك، فسينتهي الأمر بك إلى خيانته. فالضحايا التي يبدو أنها بريئة ليست دائماً بريئة بقدر ما تبدو، والسياسيون الخلاّقون هم أحياناً دجّالون، وقد يُغْرِقُ الربان بحارتهم، فلا تغرق معهم.

4- استعمل دفاع المصدر ضده

بدأت مقابلةُ الصحفيَّةِ الإيطاليةِ أوريانا فالاتشي Oriana Fallaci الكلاسيكيةُ مع وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر Henry Kissinger بمواجهة مُذلَّة: أدار لها ظهره، ثم سألها إن كانت ستقع في حبِّه. غضبت فالاتشي وأدركت أن كيسنجر يعاني من مشكلة معينة مع النساء. واستنتجتْ أيضاً أن شخصاً لا أخلاقياً كهذا، يستغل صحفيَّة وهي تقوم بعملها، لا يستحق شفقتها. وفي المقابلة التي تلت تلك المواجهة، تعاقبت أسئلتها من التي تركِّز على جزيئات مُحددة من المعلومات إلى أسئلة استخدمت خدعة الاستفزاز أو الإطراء الأنثوي (من مثل: "أسألكُ الآن ما سألتُ روّاد الفضاء: ما الذي تستطيع فعله بعد أن سرت على القمر"؟) شيئاً فشيئاً، أصبح كيسنجر غير متوازن وفقد سيطرته على المحادثة، وفي النهاية فقد سيطرته على نفسه. وما أفضى به كنتيجة، فتح مدخلا لها إلى صميم القوة.

كُنْ مثلَ فالاتشي: لا تحمل شفقة حيال الأقوياء، بخاصة حين لا يلعبون بشكل عادل. إذا رأيت ضعفهم، استغله. مثلا، إذا كان سجلُّ شخصية عامة يبيِّن أنه يُفضِّل الجُمل المبدئية على الحقائق الصلبة، تقدّم إليه جاهزاً بحقائق من سِجِلِّهِ تُناقضُ المبادئ الكبرى التي يحب تكرارها.

5- فاجئ المصدر

إذا كنت تجري مقابلة مع شخصية عامة، فالأرجح أنه قد أجرى مقابلات عديدة حول المواضيع ذاتها. تستطيع أن تستخدم تلك الحقيقة لتُجَهِّزَ مقابلة

على نحو يساعدك على أن تشقَّ أرضيَّة جديدة. راجع، بكل بساطة، ما تمَّ سابقاً، وافعل شيئاً مُختلفاً. ستُدهشُ أحياناً حين ترى ما تجاهله الإعلاميون عن ذلك الشخص.

6- دَعْ المصدر يُفاجئك

صحافيو الأخبار دائماً على عجل. وتتمثل إحدى طرقهم بصوغ سؤال لا يسمح للمصدر بقول ما يعتقد أنه مهم. أما أنت فتستطيع أن تتميز عنهم بالإصغاء إلى ما يعتقد المصدر أنه مهم. وبالتخصيص، كثيرا ما يقول المصدر شيئاً كهذا: "أستطيع الإجابة عن سؤالكَ، ولكن يوجدُ سؤالٌ أكثر أهميّة لم تسأله". والرد الخطأ هو: "لاحقاً". والرد الصحيح هو: "أخبرني به الآن"، وسيُظهر الجواب لك أحياناً قصة مختلفة كليَّاً، وقد تكون أكثر أهمية من القصة التي كُنتَ تعمل عليها.

7- إجعل المصدر يعمل

في الحالات التي يكون فيها من الضرورة التدقيق بتسلسل معين لحدث ما، تستطيع أن تبدأ سلسلة من المقابلات المتعاقبة لتأخذ المصدر في رحلة عبر الأحداث التي نوقشت، للتحقق من مواقيت وتفاصيل كل حدث (مثل: من كان هناك في هذه المرحلة وماذا قال لك؟). فنادراً ما يتذكر مصدرٌ ما حدثاً بدقةٍ أو كليَّا في أول نقاشٍ له عن الموضوع. يجب تحفيز ذاكرته وإطلاق تجاربه المؤلمة من ذاكرته ولا تُصدم حين تتغير القصص نتيجة هذا العمل.

8- إصغِ إلى المغزى

في اللغة المسرحيةِ فإن "النص" (Text) هو الحوار الصريح الذي يُدور على خشبة المسرح؛ أما "المغزى" (Subtext) فهو الرمزية خلف الحوار. كُنْ حذراً بحيث لا تتجاهل المغزى في مقابلة مع المصدر: وبخاصة:

إصْغِ للحظاتٍ عندما يتغير فيها صوت الذي تقابله قليلاً، قد يكون هذا التغير عَلامة على التوتر.

إنتبه للحظات تُصبح لغةُ المصدرِ فيها غامضةً أو مُكرَّرة، دون إضافة أي معلومات جديدة. (التكرار يساعد الذاكرة، ولكن يجب أن يؤدي إلى تفاصيل جديدة لم يتم كشفها من قبلُ.)

أخيراً، كُنْ منتبهاً حين يجيب المصدر عن سؤال لم تسأله. هل يحاول المصدر أن يُخبرك ما هو مهمٌ حقاً، أو يحاول تجنب منطقة معينة من الموضوع؟ إذا كان الأمر الشق الأخير قد تكون تلك المنطقة هي التي تريد استكشافها أكثر من غيرها، الآن أو لاحقاً. إذا كنت تستعمل مُسجلاً، كُنْ منتبهاً جداً لهذه اللحظات عندما تُعيد سماع المقابلة.

9- دَعْ المصدر ينخرط معك في الموضوع

تذكَّر أن العلاقة مع مصدرٍ ما قد تكون أكثر أهمية من أي معلومة محددة يزودك بها خلال مقابلة معيَّنة. ومع الوقت، تخلق تلك العلاقة بينك وبين المصدر روابط والتزامات مشتركة. وأثناء ذلك، قد يشعر المُستقصون المبتدئون بالذنب لأنهم يخترقون بالعمق خبرات مصادرهم، بغير وعي. وبذات اللاوعي هذا، سيتجنبون المصدر.

وهذا هو بالضبط الخطأ الذي ترتكبه. بدلاً من ذلك، كُنْ على اتصال دائم بالمصدر. اتصل به لتتشاركا المعلومات، لتسأل عن آخر الأخبار، أو لتأخذ منه تعليقاً على شيء يعرفه. لا تنتظر للّحظة التي تحتاج فيها للحصول على قطعة مهمة من المعلومات لتُذَكِّرْ المصدر بأنك لا تزال موجوداً.

هذا سيدفع المصدر للانخراط بعمق في المشروع. وحين تطلعه باستمرار على تقدمِكَ في العمل وتشعره بالسعي لمعلوماته تكون قد أعطيت المصدر شطرا من نتيجة القصة. وفي الحقيقة، يُصبح المصدر مُتشاركا حول مسألة مهمة جداً.

10- راجع ملاحظاتك فوراً

حاول أن تتيح وقتاً بعد المقابلة فوراً - ربع ساعة قد يكون كافياً - لمراجعة ملاحظاتك بسرعة لترى إن نسيت أن تكتب شيئاً. الانطباعات والمواقف الغامضة وتفاصيل أخرى ستخطر لك فور مغادرتك الغرفة. أحصرها وسجِّلها.

11- لا تستسلم قط إن رفض المتسبّب مقابلتك. فالتحقيق لا يكتمل إلا بمواجهته.

رئيس لجنة بلدية تواجه شبهة فساد في الأردن رفض مرارا وتكرارا مقابلة الصحافي المتقصي بحجة أنه يتقصده شخصيا وانه غير أخلاقي. وبعد أسابيع من المماطلة استجاب لإلحاح كادر أريج وسجّل مقابلة مطولة في دار البلدية

أجاب فيها على كل الحقائق الدامغة التي جمعها الصحافي من خلال تحقيقه الاستقصائي.

12- خذ استراحة قصيرة كلما استطعت

الإعلاميون المُعتادون على تغطية الأخبار السريعة يتعبون جداً إذا انخرطوا في محادثات طويلة مع المصادر. ولا يُجري صحافيو الأخبار مقابلات أطول من ساعة أو ساعتين. ولكن المقابلات الاستقصائية قد تطولُ لأيام مع فواصل زمنية. لذا، يجب أن يكون الإعلامي واعياً إن تعب الشخص الذي يقابله أو توتر. فذلك قد يجعله، مع الوقت، عدوانياً. وحين يحصُل هذا، كُنْ حذراً أن لا تقول شيئاً استفزازيا لمصدرِكَ.

و. للنشر، ليس للنشر أو مصدرٌ مجهول؟

- تُحب المصادر أن تقول، "هذا ليس للنشر" Off the Record. والمشكلة هي أنهم عادة لا يعرفون ما يقولون. ولسوء الحظ، ولا حتى غالبية الإعلاميين. فيما يلي أصناف المجهول أو المنسوب إلى مصدر ما:

ليس للنشر Off the Record: يَعدُ الإعلامي بأن لا يستخدم المعلومات التي زوده بها المصدر إلا إذا أتت من مصدر آخر مختلف تماماً. فالمصدرُ لا يستطيع أن يمنعَ الإعلاميَ من استخدام المعلومات في ظل هذه الظروف إذا طابقها مع معلومات من مصدر آخر.

- عدم ذكر المصدر Not for Attribution: في هذه الحالة يستطيع الإعلامي استخدام المعلومات، ولكنه لا يستطيع عزوها مباشرة إلى المصدر. وفي حال اختار تسمية أخرى من مثل "مصدرٌ قريبٌ من السلك القضائي"، يجب أن يتم الاتفاق على ذلك بين الإعلامي والمصدر.

- رسميّاً On the Record: يستطيع المصدر استخدام المعلومات ونسبتها إلى المصدر.

- والأمر الحاسم الذي يجب معرفته هنا هو: حين تقول مصادرُ عديدةٌ، "ليس للنشر"، فإن ما يقصدونه حقاً، "أريد منك أن تنشر هذه المعلومات، لكن دون أن تنسبها لي". إسأل المصدر: "هل تقصد أنك لا تريد مني أن استخدم هذه المعلومات، أم أنك لا تريد مني استخدام اسمك"؟ إذا أجاب المصدر: "لا أريد أن تستخدم

اسمي"، إسأل: "من غيرك يعرف هذه المعلومات وكم عددهم؟ وإذا استخدمتها، هل يستطيع أي شخص تتبع المعلومة على أنها أتت منك"؟ إذا كان الجواب لا، إسأل: "كيف نُشير إلى المصدر"؟ ولا تقل، "إذاً ماذا نُسَمِّيك"؟

وبالطبعِ، فإن المصدر هو الذي يختار أن يظلَّ مجهولاً أو لا. فبالكاد يمكننا توقع أن يزودنا الناس بمعلومات، لتنشر باسمهم، إذا كان ذلك يعني المخاطرة بمهنتهم وسلامتهم، وهم في العادة أفضل من يعرف المخاطر التي قد يتعرضون لها. ومن مسؤوليتك التأكد من احترام خيار المصدر. ويجب استخدام الحقائق على نحو لا يمكن تتبعها إلى مصدرها. وبالمثل، كُنْ حريصاً جداً على أن لا تسأل أسئلة بناء على معرفةٍ لا يمكن أن تأتي إلا من مصدر واحد أو قلّة قليلة جداً من المصادر.

استخدام مصادرَ مجهولة يحوِّل مخاطر استخدام المعلومات من المصدرِ إليكَ. وستكون مصداقيتك في خطر إذا كانت المعلومات مغلوطة. وإذا تمتَ مقاضاتك، لن يكون لديك دليل على صدق نواياك أو دقّة معلوماتك. ولذلك السبب، ننصحك بقوة أن لا تنشر مادةً قائمة على مصادر مجهولة، إلا إذا توفّر أحد الشروط الآتية:

دليلٌ توثيقي يمكن أن يتم العثور عليه من مصدر آخر.

المعلومات التي زودك بها المصدر المجهول يتناسب نمطها مع معلومات استطعت التحقق منها من مصادر أخرى.

المصدر موثوق من السابق.

إذا كان المصدر يستند فيُ معلوماته/ معلوماتها إلى وثيقة بحوزته، ومن الصعب لأحد تتبع الوثيقة إلى مصدرها، أطلب نسخة من الوثيقة. ولا تسمح لمصدرٍ أن يقتبس من وثيقة دون أن تعرف سياق الاقتباس الكامل. (في فضيحة الدم المُلوَّث الفرنسية، تأذت مهنةُ مراسل صحيفة اللوموند Le Monde الطبي جزئياً لأن مصدراً ما استخدم هذه الخدعة معه).

إذا كنتَ لا تستطيع العثور على مثل هذا الدليل، إسأل المصدر الأصلي إن كان يقبلُ أن يُذْكَرَ إسمه، كي يمكن سرد هذا الجزء من القصة. في مناسبة واحدة على الأقل، شعرنا أن مصدراً ما كان على وشك السماح لنا بعزو المعلومات إليه، فقلنا له: "سنكتب هذه القصة واسمك فيها، وسنجعلك تراجع الأجزاء التي استشهدنا فيها باسمك قبل النشر. إذا لم تقتنع بما سترى، سنزيل اسمك". وكثيراً ما قررت المصادر السماح لنا، بعد ذلك، بإسناد بعض الحقائق إليها.

ز. وظّف العواطف (بدلاً من أن تستخدِمُكَ)

طوال هذا الفصل، قد تكون لاحظت وجود خيط متواصل: أهمية العاطفة والسيكولوجيا في علاقاتك مع المصادر. دعنا الآن نتناول عدة أبعاد من هذه الخيوط.

1. العاطفةُ معلوماتٌ

ثَمَّة خطأٌ كلاسيكي يرتكبه الإعلاميون المُدَرَّبون على قواعد التغطية "الموضوعية"، أو الإعلاميون المستعجِلون، وهو الاستماع إلى المصادر من أجل المعلومات فقط، وليس من أجل استكشاف العاطفة. ويميل هؤلاء إلى اعتبار العاطفةِ ضجيجاً - بما في ذلك عواطفهم الخاصة.

في عمله الكلاسيكي "القوى الحيَّة" The Powers That Be يقول ديفيد هالبرستالم David Halberstalm إن هذا هو سبب حصولُ إعلاميّيْن قليلي الخبرة (في ذلك الوقت بوب وودورد وكارل برنستين) من صحيفة الواشنطن بوست Washington Post على فضيحة واترغيت Watergate، وليس منافسيهم. سمح هذان الصحفيان الشابان لنفسيهما بأن يتأثرا من خوف مصادرهما، وأن يشعرا به بنفسيهما: قال الخوف لهما إن القصة كبيرة ورئيسة.

في الحد الأدنى، تُخْبِرُكَ العاطفة أن شيئاً ما يحصلُ، وأن ما يحصلُ مهمٌ. وفي الحد الأقصى، تؤشر إلى اتجاه لتتبعه.

> مثال: في اجتماعات الجبهة الوطنية الفرنسية، وجدنا أنفسنا منجذبين باستمرار إلى جانب واحد من الغرفة، حيث تجمّع أناس متشابهون. كانوا أعضاء في جناح الجبهة المُسمى جناح الكاثوليك الشرفاء الذين تم توثيق ميولهم العنصرية العنيفة بشكل جيد. تساءلنا لماذا كُنّا في الواقع نتجنَّب الناس الموجودين في الجانب الآخر من الغرفة؟ ومن كانوا؟ ولماذا كنّا خائفين منهم؟ أظهر الاستقصاء لنا أنهم وثنيّون - يعبدون آلهة النرويج القدماء. وبعكسُ الكاثوليك، كان عنفهم غير مُقيّد بالالتزام بـ «الوصايا العشر». كانوا موضوعياً أكثر خطراً من الكاثوليك، وذلك سبب تجنُّبنا لهم. وقد جعلهم حضورهم الواضح في التسلسل الهرمي للحزب ونزاعهم المرئي مع الكاثوليك، مُهمّين لنا جداً. كُنّا سنفقد تلك الحقائق لو أننا أنكرنا مخاوفنا.

2. التناضح/ الإسناد العاطفي Emotional Osmosis

كما قيل أعلاه، فإن أول المصادر في كل استقصاء تقريباً هم الضحايا، الذين لديهم أسباب مُلحَّة ليسعوا إلى المساعدة والمواساة. وإلى المدى الذي ينفتح فيه الإعلامي لقصصهم، سيقومُ هو نفسه بتشرّب ألمهم وغضبهم. كُنْ حريصاً على أن لا تتذمر من هذا الألم الذي تشربته، بخاصة مع المصادر. ولكن لاحظ أنك قد تصبح حزيناً في لحظة ما من استقصائك، عادة قبل أن تكون جاهزاً لكتابة القصة التي ستساعدك على تفريغ مشاعرك. كريس دو ستووب Chris de Stoop الإعلامي البلجيكي الذي قضّى عاماً كاملاً متخفياً في نوادي الجنس في أوروبا الشمالية ليقوم باستقصاء رائع عن العبودية الجنسية، أخبرنا أنه، قُرب نهاية ذلك العام، مرَّ ببضعة أسابيع عانى فيها من الاكتئاب، ولم يخرج خلالها من منزله أبداً.

تتمثّل إحدى طرق التعامل مع هذا الخلل بالعمل مع فريق يمكن لأعضائه أن يوفروا منظوراً مختلفا وتوازناً لبعضهم بعضاً.

3- متلازمة الساق المكسورة The Broken Leg Syndrome

يُصبح الإعلامي الذي ينفذ استقصاء طويل الأمد حسَّاساً بشكل غير مألوف للأشياء التي تُحفِّزُ أو تُثيرُ أو تُكْربُ مصادر القصة. وإحدى علامات ذلك أن الإعلامي يبدأ برؤية إشارات لأبعاد القصة في الأخبار التي يسمعها، لم يلحظها من قبل. وعلامة أخرى هي أن سَمَعَ الإعلامي سيتغير: سيبدأ بالتقاط محادثات في غرف تنطلق فيها كلمات مفتاحيّة معينة. (نعم، حصل هذا لنا، وسيحصل لك.)

وهذا إحساس مثير غير اعتيادي، يمكن أن يشحن طاقتك، ولكنه مُقلِقٌ أيضاً. إن لم تكن حريصاً، يمكن لهذه الحساسية الجديدة أن تعميك عن العالم الموجود خارج قصّتك، فتخسر حسّك تجاه ما هو عادي، وأن المجتمع يعمل عادة بشكل حسن لمعظم الوقت، لأنك اعتدت على التعامل مع ناحية من الحياة أصابها خلل. إن شعرت أن هذا يحصل لكَ، تأكد من أن تَصْرِفَ بعض الوقت في التفكير بأشياء أخرى غير قصَّتك.

4. الإحساس بالضعف

قبل بضعة أعوام، وسطَ استقصاء استنفذ خمس سنوات، أدركنا أن المصادرَ التي أحببناها، المحترمة جداً، الناس الساحرين، حدث وأن كانوا مذنبين بجرائم،

وكان واجبنا أن نثبت ذلك. كانوا أيضاً أفراداً ذوي نفوذ، مما جعل قول الحقيقة أمراً مُرعباً. في مثل هذه الأوضاع، يمرض بعض الإعلاميين جسدياً. وتميل هذه الأزمات إلى أن تَضْرِبَ في اللحظة التي تكون تسأل فيها نفسك، كما يفعل كل إعلامي شريف، إن كان لديك كل حقيقة تحتاج إليها لإثبات قضيتك، وإن لم تكن فقدت جزئية مهمةً؟ فمن جهة، أنت رأيت وسمعت ما يكفي ليجعلك مريضاً؛ ومن جهة أخرى، لا يزال جزء منك يريد أن يؤمن بأن الأمر ليس كذلك، مما يقودك للتفكير بأنك لن تحصل أبدا على المعلومات الكافيةً.

تذكَّر هذا: إن لم تنشُرْ، فأنت في وضع أسوأ من وضعك إن نشرتَ. ابْقَ ضمن حدود ما عثرت عليه، ولكن إظهِرْ احتراماً لعملك، وأخرجه للعلن.

5- إجعل المشاعر موضوعيَّة.

ثمّة أسلوب بسيط للتعامل مع هذه الأنواع من ردود الفعل العاطفية: أكتب عواطفك في مجرى التحقيق. مثلا: أكتب ما تشعُرُ به في لحظة ما، وما قادَ إلى هذا الشعور، مع من كنت تتحدث؟ ماذا قالوا؟ ما هي الأفكار التي خطرت على بالك. بكتابة مشاعرك، تُحوِّلُها إلى مادة يمكن أن تعالجها بطريقة موضوعيَّة، وأن تتحقق منها مثلها مثل غيرها. إستخدمها لتعرِّفَ أنماطاً معينة من تفاعُلِكَ مع المصادر، وبالخصوص نقاط الخطر في استقصائك. فالقلق أو الخوف يميلان إلى البروز في لحظات محددة. ويمكن لهذه العواطف أن تشير إلى حاجة لبحث جديد أو، يمكنها أن تشير إلى أنك تشعر بالعزلة، دون دفاعات. وأيا كان الحال، يمكن أن تتصرف - بالسعي إلى حلفاء، أو بتأكيد معلوماتك.

ح. لا تنسَ الغَد

عادة ينسى الصحفيون مصادرهم بعد النشر. لا تكن واحداً منهم. فإن قطعت اتصالك بهم سينظر المصدر إليك كخائن. إذا واظبت على الاتصال، ستبدأ ببناء شبكة مصادر لمشاريع استقصاء مُستقبليَّة. إن لم تكن ذكيَّاً بما فيه الكفاية لتقوم بهذا العمل الأخير، فإنك في الأغلب لست ذكياً بما فيه الكفاية لتكون صحافيا استقصائيا.

شيء أخير: كثيراً ما يقول تلامذتُنا من الصحفيين، "ألا نخلق أعداءَ بالاستقصاء"؟ ونجيب: "بالتأكيد". ولكن إن قمت بالعمل بشكل صحيح، وإن تعاملت مع الناس بطريقة تحترم حقوقهم وحقوقك، فسيحترمك حتى أعداؤك. وما هو أكثر أهمية أنك ستخلق أصدقاءَ أكثر من الأعداء، وسيكون الأصدقاءُ، ربما، من نوعيَّة أرقى.

الفصل الخامس

التنظيم:
كيف تُنظم نفسك لتنجح

التنظيم: كيف تُنظم نفسك لتنجح

● مارك هنتر وفلمنغ سفيث*
Mark Hunter and Flemming Svith

العملية إلى الآن:

1- نكتشفُ موضوعاً.

2- تتبلور فكرة الاستقصاء.

3- نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

4- نسعى إلى الحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

5- نسعى إلى مصادر بشرية.

6- ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، تأليفها في قصة، وتدقيقها.

يتطور البحث الاستقصائي إلى مادةً أثرى وأعمق مما تنتجه تغطية الأخبار التقليدية. ويجب أن تكون هذه المادة مُنظمة بفاعلية على أسس مستدامة. وهذا العمل التنظيمي هو جزءٌ من عملية منهجية للكتابة والنشر.

فأنتَ لا تقوم بالبحث، ثمَّ تُنظِّم، ثمَّ تكتب.

بدلاً من ذلك، أنت تُنظِّمُ وأنت تبحثُ، وهذا التنظيم يُجَهِّزُ الأرضية لعمليَّة الكتابة.

* فلمنغ سفيث: اشتاذ مشارك ، معهد الإعلام الدنماركي

إن لم تأخذ الوقت الكافي لتنظّم بياناتك ستحتاج، في النهاية، إلى ضِعف الوقت لتكمل المشروع (وذلك حدٌّ أدنى). وسيكون عملك صعباً عند كتابة القصة وشرحها والدفاع عنها. إلى جانب ذلك، لن تحظى بالمتعة، لأنك ستكون قلقاً طوال الوقت وغير مُنظم ومتوتراً ومحبطاً. ولذا، إليك بعض الخطوات السهلة التي يمكن أن تجعلها جزءا من روتين خاص بك.

1- نظّم وثائقك

كان على زميل، ذات مرة، أن يتخلى عن استقصاء لأنه نسي حقيبة يد تحتوي على ملفات مهمة في سيارة أجرة. وصرفت زميلة أخرى عاماً كاملاً وهي تبحث عن دليل يثبت أن من استهدفتهم في عملها قاموا بدراسة معينة، وبعد ذلك أدركت أنها تملك ذلك الدليل في ملفاتها.

التنظيم يساعدك على تجنُّبِ هذه المشاكل. والتنظيم الاستقصائي هو التأكد من:

- أنك تعرف أي نوع من التوثيق الذي لديك، والمعلومات التي تحتوي عليها ("الموجودات" Assets).

- أنك تعرف مكان أي من موجوداتك، وتستطيع أن تجده فوراً (أي خلال 30 ثانية).

- أنك تستطيع إقامة صلات بين حقائق مشتركة موجودة بين البيانات والوثائق التي بحوزتك.

إن كنت تعرف ماذا تملك وتستطيع الوصول إليه بسرعة، فلن ينهار استقصاؤك. وبالقدر ذاته من الأهمية، تستطيع الوصول إلى المعلومات المتماثلة لمشاريع مستقبليَّة؛ والأمرُ هنا مثلُ بناء رأسمال. فإذا كنت لا تستطيع ذلك، سيكون عملك أفقر ومهنتك كذلك. إذاً من فضلك لا تظن أن هذا جزء ثانوي من العمل لا تحتاج لصرف وقتك كله عليه، ولكن يجب عليك أن تصرف وقتاً كافياً كي تحافظ على تحكّمك بمعلوماتك وبالتوثيق في كل خطوة من خطوات التحقيق.

ولهذه العملية جزءان

الجزء الواضح هو أنك تبني قاعدة معلومات - أو أرشيفاً تستطيع البحث فيه بسهولة وانتظام، أو مكتبة لوثائقك.

الجزء الأقلُّ وضوحاً هو أنك وخلال بنائك لقاعدة معلوماتك، تكون في طور بناء قصتَكَ وثِقَتَكَ بها.

I. بناء قاعدة معلومات

يمكنك بناء قاعدة المعلومات أو الأرشيف من ملفات ورقية، ملفات إلكترونية أو كلتيهما. ورغم ذلك، لا معنى لبنائها إن لم تستخدمها، لذا يجب أن يكون البناء قوياً وسريعاً. ونقترح العملية البسيطة الفعّالة التالية.

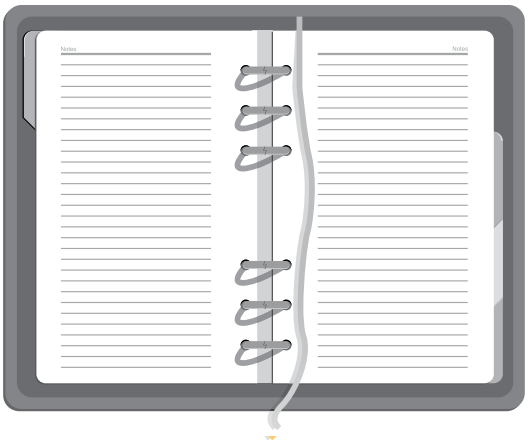

1- إجمع الوثائق. إن بطاقة تعريف العمل وثيقة. وكذلك أي تقرير رسمي أو قصاصة خبر أو محاضر مقابلة أو مسودات، إلخ.

2- راجع الوثيقة كي تُقيّمَ محتوياتها. ضَعْ خطاً تحت، أو إبرز، المقاطع التي تبدو ذات أهمية خاصة، وضَعْ علامة واضحة على المقطع. وإذا بدت لك وثيقة ورقيَّة ذات أهمية خاصة، إنسخ منها نسخة واحدة، ورقية أو إلكترونية، على الأقل.

3- إعْطِ كل وثيقة عنواناً أو رقماً، هذا في حال لم تكن تحمل واحداً بالفعل. وأي عنوان سيكون مفيداً طالما كان يُذكرك بما تحتويه الوثيقة. (وهذا الأمرُ مهمٌ بخاصة في صفحات الإنترنت! فحفظ صفحة إنترنت تحت عنوانها الأصلي يكون أحياناً الشيء ذاته كإخفائها في مكان واضح على القرص الصلب (Hard disk drive) . تأكد أنك إما أن تُغيِّر العنوان لتخزنه وأنت تُسجل عنوان الإنترنت URL الأصلي، في مكان آخر، أو دوِّن المحتوى الذي أثار اهتمامك في وثيقة أخرى بالإشارة إلى عنوانه. أما بالنسبة للمقابلات، فأقترح عليك أن تستخدم اسم الشخص الذي قابلته. وإذا كان يتطلب إبقاؤه سريًّا إعطه اسماً رمزيًّاً.

4. رتّب الوثائق في ملفاتها.

ضعها وفق ترتيب يبدو لكَ طبيعيا ومتناسقاً. من الأُفَضِّل وضع الوثائق في ملفات بحسب الحروف الأبجدية، سواء في خزانة ملفات عادية، أو في كمبيوتر. ثم افتح ملفات بحسب الموضوع: ملفا لموضوع بوثيقة واحدة، ثم وسعه وجزِّىء الموضوع إلى عناوين فرعية حين تأتي وثائق جديدة. وضمن ملفات الموضوع الواحد، رَتِّب الوثائق زمنياً، بحيث يكون الأحدث منها في البداية.

5- راجع الوثائق دوريًّاً.

يكفي أن تتم المراجعة مرة كل شهر. تأكد أن الوثائق المختلفة وُضعت في الملفات الصحيحة. إذا بدت لكَ وثيقةٌ غير مألوفةٍ، خُذْ لحظةً من وقتك واقرأها. غرضُ هذه الممارسة ليس تجديد ملفاتك فحسب، بل لتتأكد من أنك تعرف ما تحتويه.

6- نَقِّلْ الوثائق بين الملفات.

إذا قفز حدثٌ معينٌ، أو سلسلة أحداث، من ملف ليقترح قصة منفصلة، إنسخ الوثائق ذات الصلة من جميع الملفات ذات الصلة وابدأ ملفًّاً جديداً. تأكد أن تترك نسخاً من جميع الوثائق في ملفاتها السابقة. هذه التقنية يستخدمه مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي FBI. كُلَّما أشارت وثيقة إلى أخرى (على سبيل المثال، إذا كانتا تحتويان على اسم الشخص ذاته)، تُوضع نسخٌ من كل وثيقة في كلا الملفين. وسبب هذه التقنية هو أنها تزيد من فرصِكَ في القيام بملاحظة روابط أو تداخلات بين أجزاء مختلفة من المعلومات.

-7 إذا كانت الوثائق حسَّاسة، جهِّز نسخاً احتياطية منها واحتفظ بها في مكان ليس بيتكَ أو مكتبك، يُمكنك، أنت أو زميلك الذي يعمل معك، الوصول إليه. لا تحتفظ بمعلومات حسَّاسة، كأسماء مصادر سريَّة، في كمبيوترك لأن ذلك لا يمكن اعتباره مكانا آمنا.

II. تنظيم المعلومات: بناء الملفِّ الرئيسي

لن تنفعك البيانات التي بحوزتك إلا إذا أضافت شيئاً إلى قصتك. صحيح أن فرضيَّاتك ستساعد على تذكيرك بجوهر قصتك وإرشاد بحثك تجاهها. لكن لكي تفعل ذلك بطريقة أفضل، ستحتاج إلى أداةً أساس أخرى اسمها "الملف الرئيسي".

في الجوهر، ليس الملف الرئيسي إلا «مخزن معلومات متعدد الأقسام» Data Department Store - تُلقي فيه كل البيانات والوثائق التي جمعتها. الأساس هنا هو أن تحتفظَ بجميع المعلومات التي قد تستخدمها في قصة واحدة وبشكل واحد.

أ. أسس وقواعد بناء الملف الرئيسي

1. افتح ملف معالجة نصوص Word Document جديدا أو ملف قاعدة معلومات Data Base في حاسوبك. فأي منهما ينفع؛ إستخدم الملف الذي تشعر أنك مرتاح له أكثر من غيره.

2. أنقل معلوماتك إلى هذا الملف.

أقصد بيانات«Data» كل الحقائق التي تحتاج إليها لتكتب القصة: مصادرك، مسودات مقابلات، مقتطفات من مقابلات، ملاحظات، إلخ. وأقترح أن تضع المصادر أولاً، كي تستطيع العثور عليها بسهولة.

إذا لم تكن البيانات محفوظة بشكل إلكتروني (مقتطفات من وثائق أونلاين Online أو صفحات إنترنت أو رسوم توضيحية مُصوّرة Scanned Illustrations، إلخ) إنسخها مباشرة وضعها في الملف.

إذا كانت البيانات بشكل وثائق ورقيَّة، صوّر الوثيقة إلكترونيًّاً، إحفظها في موقع يسهُل الوصول إليه في القرص الصلب Hard disk drive، وأدخل وصلة تشعبيَّة Hyperlink في موقع الوثيقة من ملفك الرئيسي. وطبعاً، قد تُدخل وصلات تشعبيَّة في صفحات الإنترنت أو أي مصادر أونلاين أخرى.

لطفاً، لا تَكُنْ كسولاً في نسخ وتدوين مقاطع أساس من المقابلات. فكل ساعة تصرفها على هذا الجزء من جمع وتدوين المعلومات ستوفر عليك عدة ساعات لاحقاً.

تأكد من أن كل قطعةٍ من البيانات تضعها في الملف تحتوي على معلومات عن مصدرها. ضَعْ جميع المعلومات الببليوغرافية عن المصادر التي نَشَرَتْ المواد.

تأكد أيضاً من أن توثّق اتصالاتك مع المصادر. ويجب أن يحتوي الملف الرئيسي على معلومات مثل: متى تم اتصالك الأول بالمصدر، ماذا قال لكَ، متى قدمتَ وعداً لمصدر، وهكذا. ويمكن لهذه المعلومات أن تكون ذات أهمية حاسمة إذا تحدّى أحدٌ نتائج استقصائكَ، لأنها تُظهر أنك قمت بجهد بحثي جاد.

أُكَرِّر: لا تضع معلومات في الملف الرئيسي قد تُعَرِّضُ أمن مصدركَ للخطر. إفترض أن أي شيء في كمبيوترك يمكن أن يصل إليه شخصٌ ما.

3. **عندما تدخل المعلومات في الملف الرئيسي،**

إن كان له موقع محدد، (كحافظة ملفات) لاحظ أين يمكن أن تجدها. وسيوفر لك ذلك مساعدة قيمة لاحقا. وإذا كانت لديك أسئلة حول وثيقة معينة فستتمكن من إيجادها بسهولة. ولا يقل عن ذلك أهمية أنه إذا أراد محاموك أن يطلعوا على البرهان المتوافر لديك قبل نشر القصة، فستكون قادرا على تزويدهم بالوثيقة خلال ثوان. (هذه تجربة طيبة وودودة يجب ألا يحرم أي محام منها، خاصة المحامي الذي قد يدافع عنك في حالة اتخاذ إجراء قانوني ضدك).

4. **حين تنقل المعلومات، ضع لها نظاماً أوليّاً.**

أبسط وأفضل نظام من وجهة نظر تنظيمية هو النظام الزمني. ضع أحداثك وفق الترتيب أو التسلسل الزمني الذي حدثت فيه. أدخِلْ صوراً أو معلومات ببليوغرافية عن اللاعبين في القصة في اللحظة التي يظهرون فيها لأول مرة.

5. **أثناء بناء الملف الرئيسي**، ستتضح الصلات بين نقاط معلوماتية مختلفة، وبالمثل بين أحداث وحقائق لم تكن تبدو لك أشياء واضحةً قبل ذلك، وكذلك حال جُمل أو فقرات تفسيرية كاملة لمادتك. لاحظ ذلك في الملف الرئيسي. عَرِّفه بكلمة رمزية (على سبيل المثال، قد تستخدم كلمة «لاحظ» NOTE، بحروف كبيرة، أو TN أي «to note»).

6. **تأكد دائماً من إدخال التواريخ** مستخدما الترتيب ذاته في كل مرة (اليوم، الشهر، السنة، على سبيل المثال). وتأكد أيضاً من أن تُدخل الأسماء بالطريقة ذاتها كل مرة. وإلا لن تكون قادراً على البحث في الملف الرئيسي بشكل ملائم.

ب. تقسيم الملف الأساس

فلمنغ سفيث Flimming Svith، المؤسس المُشارك سابقاً في المعهد الدنماركي للكتابة بمساعدة تقنيات الكمبيوتر Danish Institute for Computer-Assisted Reporting DICAR - الذي لم يعد قائما للأسف - طوّر طريقة أكثر تفصيلاً لهذا النظام المذكور أعلاه. فبدلاً من استخدام ملف معالجة نصوص Word Document File لجمع المعلومات وتتبعها، يستخدم فلمنغ برنامج قاعدة معلومات المصدر العلني Open Source Software Spreadsheet لبناء فهرس وملف رئيسي لأبعاد مختلفة لاستقصائه.

والمنهج بسيط: يوجد قاعدة معلومات للاستقصاء. بعد ذلك، هناك صفحات

منفصلة بالعناوين التالية:

1. **قائمة وثائق**. يُفضِّل فلمنغ استخدام متوالية زمنية لوثائقه. وفي أي حال، تراه يُصِرُّ: «إعطِ كل وثيقة رقماً واحتفظ بالوثائق الورقية بترتيب رقمي». وإذا وُجِدت وثائق إلكترونية في هذه القائمة، يُدخل وصلة تشعبيِّة Hyperlink في موقع الأونلاين أو القرص الصلب. ويضع أعمدة للمعلومات المتعلقة بالوثائق كما يلي:

التاريخ	2 كانون أول ديسمبر 2005
من	الأسم الأخير / الاسم الأول
الى	الأسم الأخير / الاسم الأول
الموضوع المحتوى كلمة مفتاحية	كلمة مفتاح كلمة مفتاح كلمة مفتاح
الشكل	بريد / رسالة / هاتف

قائمة المصادر. هنا يتتبع فلمنغ الأشخاص الذين يتصل بهم. تبدو قاعدة المعلومات مثل هذا (كلها متناسقة إلا الاسم فقد تغيّر!):

اللقب	رئيس تحرير
الشخص	فلمنغ سفث
المنظمة	أولوف بالمزأيل 11
الرمز البريدي	8200
الدولة	الدانمارك
تليفون المنظمة	+4589440493
تليفون محمول	+4523827217

3. تعطي قاعدة المعلومات الزمنية متوالية الأحداث التي تظهر في الاستقصاء، بما في ذلك جميع الاتصالات مع المصادر. وتبدو كالتالي:

التاريخ	2 كانون ثاني / يناير 2003
المصدر	الاسم الأخير / الأسم الأول
المنظمة	الاسم
الحدث	مقابلة مع / لقاء بين
المحتوى	الكلمة المفتاحية: الفساد
المصدر	المصدر

4. بعد ذلك سِجِلٌ اتصالاتٍ يبدو كما يلي:

التاريخ	2 كانون ثاني / يناير 2003
الوقت	AM 13:22
الباحث	الاسم
المصدر	الاسم الأخير / الأسم الأول
المنظمة	الاسم
اتصل	نعم
الجواب	المقابلة تمت
المحتوى	الفساد

كما ترى، يُفَضِّلُ فلمنغ أنواع المعلومات المختلفة التي يضعها إعلاميون آخرون (مثلي) في ملف واحد. وإحدى مزايا أسلوبه هو أنه يضيف أي زيادة في المعلومات إلى النظام: تنتهي المعلومات بالذهاب إلى أكثر من مكان واحد. (يكمن عيبه في أن فُرص الوقوع في أخطاء تزداد). ومزية ثانية أخرى لأسلوبه هي أن تطبيقات قاعدة المعلومات تسمح لك بالبحث في الملفات بسرعة لتعثر وتجمع الإشارات عن مصدر معين أو عنصر في الاستقصاء. وأنت لا تستطيع فعل هذا الأمر في ملف مُعالج نصوصWord Document File.

ونقترح استخدام أي برنامج إلكتروني ترتاح معه لحين تشعر أنه أصبح غير كافٍ لحاجاتك. في تلك الأثناء، إذا كانت مُعالجاتُ النصوص أدواتِك المُفضَّلة، استخدمها. وإذا كنت تحسن العمل في قواعد المعلومات، استخدمها. ولكن استخدم شيئاً يسمح لقوة الكمبيوتر الشخصي Personal Computer بدعمك.

ج. لماذا عليك الاهتمام؟ ومتى؟

لستَ بحاجةٍ، طبعاً، إلى أن تذهب إلى هذه الحدود في كل قصة. ولكنك إن لم تفتح ملفاً رئيسيا، بشكل من الأشكال، لاستقصاء يشمل، لِنَقُلْ، أكثر من دزينة وثائق أو مصادر، ستندم لاحقاً. والتمييز الأساس بين الاستقصاء والتغطية اليومية هو أن الاستقصاء يشمل معلومات واتصالات، وأنواعاً ونوعيّاتٍ مختلفةً من المعلومات -- أكثر من تغطية الأخبار العادية. وستساعدك الأنظمة المُقدَّمة هنا في التعامل مع ذلك الوضع. وتستطيع، طبعاً، تحسينَ هذه الأنظمة أو تبديلها، أو إيجاد نظاماً أفضل تضعه بنفسك.

ولكن لا تظن أنك إن قفزت عن هذه المهمة ستكون أسرع. إذا قفزت، فإنك إما أن تُبطئ أو تنهار. وأوضح مزايا استخدام كمبيوترك لتضع أحد الأنظمة الموصوفة أعلاه هي:

حين يأتي وقت الكتابة، ستساعدك معلوماتك القريبة من يدك والمنظمة على تجنُّب نسيان كل شيء إلا الشيء الأخير الذي عثرت عليه.

حين يأتي وقت التدقيق في الوثائق، سيوفر عليك احتفاظُكَ بمعلوماتك ومصادرك في مكان واحد قدرا كبيرا من الوقت والكَرَب.

باختصار، ستكتبُ بشكلٍ أسرعَ وأفضلَ.

III. إقامة صلات بين الملفات

بِجَعْلِ وثائِقَكَ أسهل على الجمع والتتبع والمراجعة، سيكون من السهل على عقلك إقامة صلات بين المعلومات. وستلاحظ بالتأكيد أن المعلومات تثير أسئلة لم تتم الإجابة عنها. سيخبرك أرشيفك بنوع المعلومات التي يحتاجها ليكتمل. وستُصبح أيضاً أكثرَ حساسية للمعلومات الجديدة التي لها علاقة بفرضيَّتك، ولذا ستصل إلى اكتشافات غير متوقعة.

مثال على عملية إقامة صلات جديدة:

الخطوة الأولى (البدء):

لاحظنا ونحن نعمل في الاستقصاء عن الجبهة الوطنية (الحزب اليميني المتطرف الفرنسي) أنهم كثيراً ما تعرضوا لمحاكمات لأفعال مختلفة، وافترضنا أن النشاط القضائي كان جزءاً مهماً لإستراتيجيتهم. جمعنا وثائق عن مشاكلهم القضائية، بما في ذلك قصاصات الأخبار وصُحف المحاكم.

الخطوة الثانية (التنويع):

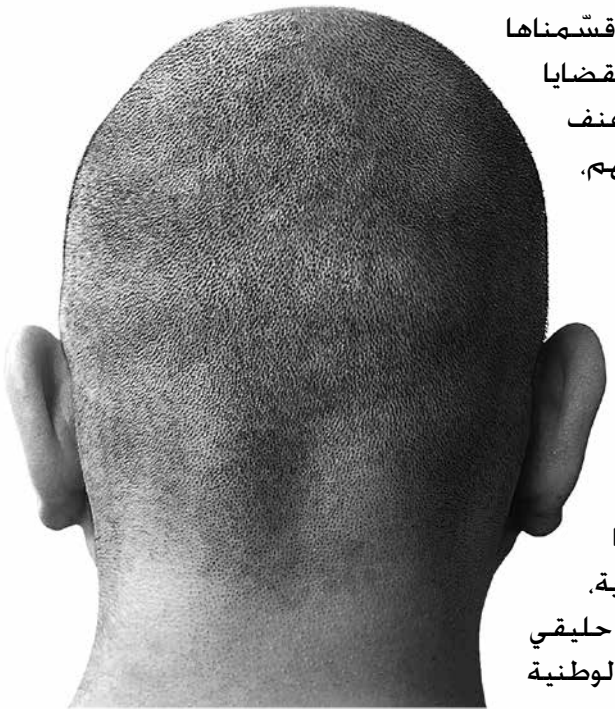

عندما ازدادت البيانات التي جمعناها، قسّمناها على أساس النوع. برزت ملفات جديدة لقضايا تشمل اتهامات بالتزوير الانتخابي، وجريمة عنف تورط فيها أعضاء من الجبهة مشتبه بهم، وهكذا.

الخطوة الثالثة (التركيز):

لأن بعض المتهمين في قضايا الهجوم كانوا حليقي الرؤوس- نازيّين جُدُداً برؤوس حليقة - افترضنا أنه رغم الإنكارات الرسميَّة، احتفظت الجبهة الوطنية بنوع من الاتصال بحركة حليقي الرؤوس. فتحنا ملفاً عن الرؤوس الحليقة أيضاً. وفي النهاية، لاحظنا تقريراً يتعلق بمحاكمة اثنين من حليقي الرؤوس ومُرَشَّحٍ لمجلس بلدي من الجبهة الوطنية

كانوا قد هاجموا رجلاً طويل الشعر بمضرب بيسبول، تاركين ضحيَّتَهُم بإعاقة دائمة. اتصلنا بمحامي الضحية.

الخطوة الرابعة (ملاحظة الصِّلات): عرض المحامي مدخلاً إلى المعلومات، قائلاً إن عدداً آخر من المهاجمين كانوا متورطين في الجريمة، ولكن لم يتم التَّعَرُّف عليهم أبداً. وبدا أن هؤلاء المهاجمين من الوثنيين (في هذه القضية المحددة، كانوا من عُبّاد آلهة النرويج القدماء). كنا نحتفظ بملف آخر عن منظمة الوثنيين السريَّة التابعة للجبهة الوطنية. أضفنا له الآن وثائق من ملف حليقي الرؤوس. كانت فرضيَّة عملِنا، القائمة على معلومات مصادرنا داخل الجبهة الوطنية، أن الوثنيين كانوا عنصر الارتباط بحليقي الرؤوس.

الخطوة الخامسة (المراجعة وإعادة التجميع): جمعنا المادة من ملفات متنوِّعة، باحثين عن صلات بين المنظمة الوثنية السرية، وحليقي الرؤوس، وأعمال العنف التي شملت أعضاء الجبهة الوطنية. تضمَّنت المعلومات التي بين أيدينا مقابلات مع مسؤولين من الجبهة الوطنية حول حليقي الرؤوس، وقصاصات إخبارية من منشورات الجبهة الوطنية، ومقابلات مع وثنيين من الجبهة الوطنية، وأصولا أخرى. أصبح هذا الملف أساساً لفصلٍ في الكتاب الذي فصَّلَ الهجوم الموصوف أعلاه، واستخدمناه لتعرية الصلات بين منظمة الوثنيين السريَّة، وحليقي الرؤوس، والجبهة الوطنية.

مراجعة: مبادئ مفتاحيَّة وأدوات العملية التنظيمية

نَظِّم الوثائق، والقصاصات الإخبارية، إلخ، بطريقة تسمحُ بوصولٍ سهلٍ لنقاطٍ مُحددةٍ.

سَمِّ المعلومات، وراجعها، وضعها في ملف، حالما تصل.

إفتح ملفاً أساساً يجمع أصولاً ومرجعيات في متوالية واحدة.

استخدم العملية التنظيمية لتتعرَّف على ثغرات في البحث وفي مواضيع دراسات أخرى.

قارن المعلومات الموجودة في ملفات محددة بمعلومات من ملفات أخرى، وذلك بالمراجعة وإعادة التجميع.

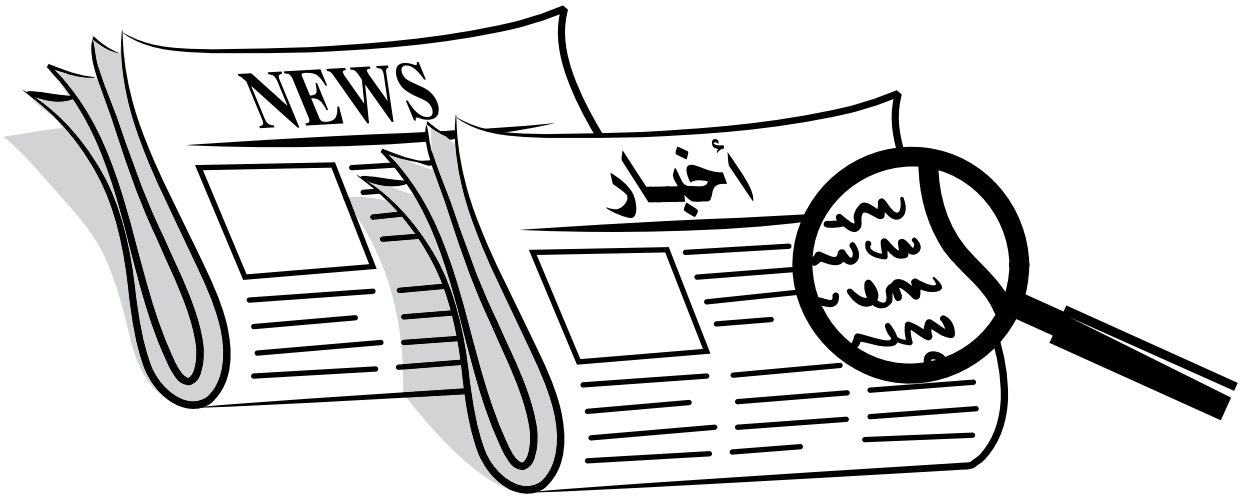

الفصل السادس:

كتابة الاستقصاءات

كتابة الاستقصاءات

مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

1. نكتشفُ موضوعاً.
2. تتبلور فكرة الاستقصاء.
3. نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.
4. نسعى إلى الحصول على معلومات من مصادر علنية لنتحقق من الفرضيَّة.
5. نسعى إلى مصادر بشرية.
6. أثناء جمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، وتأليفها في قصة، وتدقيقها.

7- نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

لا تُشبهُ كتابةُ تحقيق استقصائي كتابةَ قصةٍ إخبارية. ناقشنا إلى الآن كيف يلعب تنظيم الملفات وتبويبها دوراً حاسماً، وكيف يُحوِّل البحثَ إلى جزءٍ من عملية الكتابة. وعندما يحين وقت تأليف (كتابة) القصة النهائية، يصبح المطلوب مهاراتٌ وقواعدُ مختلفةٌ عن كتابة الأخبار، أي استخدام قواعد السرد بطرق أكثر تعقيداً. فعلى الإعلامي أن يقوم، في الوقت ذاته، باستخدام عناصر الكتابة القصصيَّة وتجنُّب كتابة قصة خيالية. وأخيراً، تدخلُ حالتك العاطفية.

أ. عناصر الأسلوب

1. لا تكن مُملاًّ

دُرِّبَ مُعظَمُ الإعلاميين ليعتقدواَ أن وظيفتهم هي تقديم الحقائق والسماح للمتلقي بالوصول إلى استنتاجات. ولذا، يجب أن لا تكون الحقائق مُلَوَّنَةً بصوت الإعلامي أو مشاعره. أو أي طريقة أخرى لن تبدو "جادَّةً".

بطبيعة الحال، سيكون لمثل هذا الأسلوب وقع كبير إن استخدم بطريقة ملائمة وواعية. إلا أن ذلك لا يعني أن التحقيق الاستقصائي يجب أن يخلو من التعبير عن حواس وشخصيات وقيم الصحفيين المتقصين. ولكي يستوعب القراء والمستمعون والمشاهدون المعنى كاملا ويعيشوا واقع ما يحدث، فيجب أن يطلقوا العنان لحواسهم وأن يشعروا، بطرق مختلفة، أثر ما يقرأونه ويسمعونه ويرونه، وإلا فإنهم لن يفهموا حقيقة ما يحدث. وسيخفق الإعلاميون إذا لم يتح لهم هذه الفرصة. لكن احذر من المبالغة.

على أن ذلك يجب ألا يتعارض مع النهج الموضوعي للصحافي الاستقصائي: أي التقيد بالحياد والأمانة حيال جميع الحقائق المتعلقة بوضع معين. لكن مثل هذا الحياد لا يعني عدم المبالاة بالعواقب المترتبة على حقائق معينة، وهو ما يرغب عديد من السياسيين أن يثبتوه عندما يتهمون الصحافيين بالافتقار إلى الموضوعية. فغرض التغطية الاستقصائية الجوهري هو الإصلاح، والرغبة في إصلاح العالم مُلازمة دائماً للفردية والذاتية.

الحقائقَ الموضوعيةَ - الحقائق التي لا يُمكن الشك في وجودها، بغض النظر عمّن يُلاحظُها - تبقى الوسيلة لتنفيذ العملية وليس الغاية. فالقراء والمستمعون والمشاهِدون لا يحتاجون إلى المعلومات فحسب، بل يطلبون المعنى أيضاً، وعلى شخص ما أن يوجد ذلك المعنى. وجزءٌ من المعنى يأتي من أهمية القضية التي تثيرها القصة الاستقصائية. باختصارٍ، اسْرُدْ القصة واعرضها بطريقة تجذب الانتباه مدعومة بالحقائق.

يَقْلَقُ معظمُ الكُتَّابِ على الأسلوب. الأسلوبَ الأصيلَ هو أسلوبٌ شخصيٌّ يعبِّر عن الشخصيَّة وسيبرز بشكل طبيعي مع الزمن. لكن أسلوبك يجب أن لا يتغلب على المادة؛ وإن فَعَلَ، فستبدو المادة غير مهمة.

وتذكَّر أن الأسلوب البسيط يمكن أن يُكتب بطريقة تجعله أكثر تعقيدا. أما الأسلوب المُعقَّد فمن الصعب أن يُبَسَّط.

لا تترك أدواتك وأساليبك الشخصية تُقَيِّدُكَ. إن الإيقاعَ المبسط مفتاحُ الكتابة الاستقصائية، وسيُبْطِئُ الأسلوبُ المعقَّدُ ذلكَ الإيقاعَ.

2. خَطَرُ الشَكِّ

يُعَامَلُ معظمُ الإعلاميين كتوابع أو كمستضعفين أمام مصادرهم من أصحاب الثروة أو النفوذ. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل بعضَ الإعلاميين يفقدون الثقة بأنفسهم أو بعملهم. والعديد من الناس يصبحون صحافيين لمجرد أن يقابلوا أشخاصا يعتقدون أنهم أكثر إثارة ونشاطاً وأهمية منهم.

مثل هذه المواقف كثيرة الشيوع وتحكم على الاستقصاء بالفشل التام. ففي كل عام، أجِدُ من بين الصحفيين الذين أدربهم عديدين يجدون مواضيع جيدة جداً، ويقومون ببحث رائع، وبعد ذلك يشككون بصحة ما وجدوه. يكتشفون حقيقة غير سارَّة ولكنهم يسمحون لمصدرٍ متنفذ بإقناعهم وبعد كل ما بذلوه من مجهود، أن ما وجدوه ليس هو الحقيقة. وبشكل نمطي، يتحدثُ ذلك المصدر المتمكن بلهجة تمزج الحكمة بالتحذير، فيخضَعُ الإعلامي له دون وعي.

على سبيل المثال، استمع إلى هذا الطبيب المشهور وهو يتكلم في نهاية استقصاء عن حالات الحمل التي أُنهيت طبيًّا: «أحياناً يمكن للشك أن يقودَ زوجين إلى اختيارات مقبولة عند بعض الناس، وأقل قبولاً عند آخرين». يبدو الطبيب لطيفاً جداً، ولكنه يُنكر الحقائق التي اكتشفها الإعلاميون والتي تفيد أن الأطباء،

وليس الأزواج، هم الذين كانوا يقررون مسائل الحياة والموت تلك. وبإعطائِهِ الكلمة الأخيرة، قام الإعلاميون بتدمير عملهم. فانتبه إلى لحظات الشك الذاتي هذه.

تنويعٌ آخر على هذا المثال، هو الإعلامي الذي يشنُّ هجوماً عنيفا على من يستهدفه في استقصائه، ثم يذكر في السطور الأخيرة لتحقيقه الاستقصائي شيئاً مثل، "إنه، رغم كل ذلك، ليس سيئا لهذه الدرجة". وهذا تعبير عن خوف الإعلامي غير الواعي ورغبته الشديدة في انتزاع موقف مؤيد لما قام به. إذا وجدت الحقيقة، أسردها. قاوم رغبتك في الحصول على مديح مصادر تفعل ذلك لإيهامك بأنك عالي الذكاء مع أنهم يعتقدون في قرارة أنفسهم أنك لست على هذه الدرجة من الذكاء.

3. كن حازماً، لكن غير مقزز

يمكن للتوتر الذي يخلقه إجراء استقصاء وإنهاؤه، أن يقود إلى الإرهاق والإحباط والغضب. وكل هذه تقود إلى خطرِ تبني الإعلامي لهجةً عدوانيةً مُهينة كآلية دفاع عن النفس، ولكنها تشير إلى ضعف عند المشاهد والمُستهدف بالاستقصاء، وإلى سوء نيَّة إذا رُفعت على الإعلامي قضيّة تشويه سمعة في محكمة.

لا تلوِّث الاتهامات الجادة بإهانات تافهة توجهها هنا أو هناك. وإلا ستدفعُ ثمنا غالياً لذلك. تأكدْ أن تُعيدَ قراءةَ مسودّاتِك باحثاً عن الإساءات غير المُبرَّرة، واشطبها.

ب. دعّم أسلوبك: استخدام النماذج المثالية

قام العباقرة تاريخياً، بمواجهةِ وحلِّ ما يقرب من كل مشاكل فن السرد، وحتى العباقرة تبنَّوا تقنيات ومصادر اتبعها آخرون. (استعار شكسبير، على سبيل المثال، حبكات من كُتَّاب مسرح ومؤرخين آخرين). أنت تستطيع فعل الشيء ذاته، سواء كنت موهوبا أم لا. والتطلع إلى مثل هذه النماذج المثالية يجب أن يكون جزءاً من بحثك، وبذات مستوى البحث عن معلومات.

عندما تشرعُ في مشروعٍ مُحدَّدٍ، حَدِّدْ أسماء كتاب أو أدباء في السرد تعاملوا مع مسائل مشابهة لعملكَ، وادرس أسلوبهم لتكتشف العناصر التي تُهمُّك. وهذا الأمر مهمٌّ خصوصا حينما تتعامل مع عمليات سرد طويلة. بكل بساطة، لن يكون لديك الوقت حينئذٍ لتتدبر المعلومات ولتخترع أدوات السرد المطلوبة.

على سبيل المثال، يشكل كشف وتعريةُ الإجـراءات القضائية مهمةً أساسية للمستقصين، لأن لهذه الإجراءات والقضايا أثر ضرر مباشر. ومُشكلةُ

كيفية جعلها مثيرة مشكلة أبدية، ولم يحلها أحد بأفضل ما حلَّها الروائي الفرنسي أونوريه دو بلزاك Honore de Balzac في عمله "أبَّهة وبؤس البغايا" Splendors and Miseries of the Couriesans وتتمثَّل مشكلة راهنة للمستقصين ليحلّوها بكيفية التعامل مع عدد كبير من الشخصيات، لأن الإعلامي لا يستطيعُ، مثل كاتب القَصَص، قتل شخصياتٍ تصرف الانتباه من أجل تبسيط السرد.

طوَّر الروائي الإنجليزي أنطوني ترولوب Anthony Trollope بُنية سردية تعتمد تسلسل المشاهد وتحل هذه المسألة، من خلال تجزوء الشخصيات إلى وحدات أصغر. وطوَّر المؤرخون الإيطاليون مثل تاسيتوس Tacitus وسوتونيوس Suetonius، سرد الحركة غير القَصَصي والشخصية السياسية إلى مستويات عالية. وأجرى المخرج السينمائي كنغ والس فيدور King Wallis Vidor تجارب متواصلة على استخدام أدوات إيقاعية في التمثيل والتصوير والمونتاج.

ومهما كان التقليد الأكثر أُلفة إليك، استخدمه. أدرس أساليب فنَّك، وليس حرفتك فقط. خُذْ ما تحتاج، وتأكد من أن تعزو الفضلِ لصاحبه لدى الاستعارة.

ج. تعريف بنية السرد: زمنيَّة أم أوديسيَّة؟

تتغلَّب الاستقصاءات على بنية (عناصر) القصة الإخبارية النمطية - الأسئلة التقليدية الخمسة الشهيرة «Five Ws» - مَنْ Who ماذا What متى When أين Where ولماذا Why. ويشمل الاستقصاء هذه العناصر ولكن بشكل أعمق وأوسع. فالاستقصاء يشمل شخصياتٍ لها دوافع، وأوصاف شكلية، وتاريخ تتعدى منصب المصدر ورأيه. في الاستقصاء تقع الأحداث في مواقعٍ لها مزايا خاصة بها وتواريخ معينة. وتُظْهِرُ لنا ماضياً بدأت القصة فيه، وحاضراً تتكشَّفُ فيه اليوم، ومستقبلاً سيكون على هذا الحال إذا استمرت الأمور على حالها. باختصار، إنه سردٌ غنيٌّ. وإذا شئتَ له أن يكون فاعلا ومؤثرا عليك أن تبنيه.

تُوجد طريقتان أساسيتان لبناء سردٍ غني:

ضمن البنية الزمنيَّة، تُرتَّبُ الأحداث حسب الزمن، وأثناءه يقومُ كلُّ فعلٍ متعاقبٍ بتبديل احتمالات الفعل الذي يتبعه.

مثال على ذلك تحقيق الزميلة لينا الجودي من سورية بالتعاون مع شبكة أريج عن اختفاء قرية قرقيسياء الأثرية شمال شرقي سورية بفعل جهل السكان وغياب الرقابة التشريعية والحكومية، وحاجة السكان إلى حجارة لبناء مساكنهم، مما أدى إلى اختفاء تل أثري كامل بين عامي 1905 و2008، ومنه تنطلق لما قد يحصل لآلاف المواقع الأثرية غير المحمية في سورية.

في مثال آخر، تتبع الزميل إياد الموسمي من صحيفة الثورة اليمنية مراحل التسلسل الزمني لاندثار النسق المعماري الأثري الفريد في مدينة زبيد منذ صنفتها منظمة اليونسكو عام 1993 ضمن أهم 10 مواقع للتراث الإنساني العالمي مرورا بإدراجها عام 2000 ضمن قائمة المنظمة الأممية "للتراث الإنساني المهدد بالخطر". وفي غياب التوثيق الرسمي، سجّل الموسمي المتغيرات التي طرأت على المدينة بين الأمس واليوم مستعينا بصور الأرشيف وذاكرة السكان.

في البنية البيكاريّة Picaresque تكون الأحداث مرتَّبة حسب المكان، فيما تتنقل الشخوص داخل المشهد المرتبك في ذلك المكان. وكل مشهد أو قسم يمكن أن يقف بذاته، لأنه يُغطي جميع العناصر الضرورية لخلق سرد صغير Mini-Narrative. خير مثال على ذلك قصص تحت إشراف شبكة أريج:

الزميل علي حسون، كتب في سورية عن قرية زراعية وادعة مطلة على بحيرة قطينة تحولت إلى منطقة منكوبة بيئياً بسبب مخلفات ثلاثة مصانع أسمدة مع الرحبة العسكرية ومصفاة البترول القريبة، وقصة الزميلة سهير

جرادات عن عرائس تخضع لفحص العذرية بعد حفل الزفاف تحت وطأة الجهل والتقاليد والخوف من العار، وقصة فاطمة رضا عن مكتومي القيد في لبنان: آلاف الأطفال غير المسجلين في الدوائر الرسمية وبدون أوراق ثبوتية بسبب تخلّف الوالدين أو أحدهما عن تسجيل أطفالهم إما بسبب خلل في وضع الوالدين أو أحدهما، فضلاً عن الإهمال والجهل والفقر.

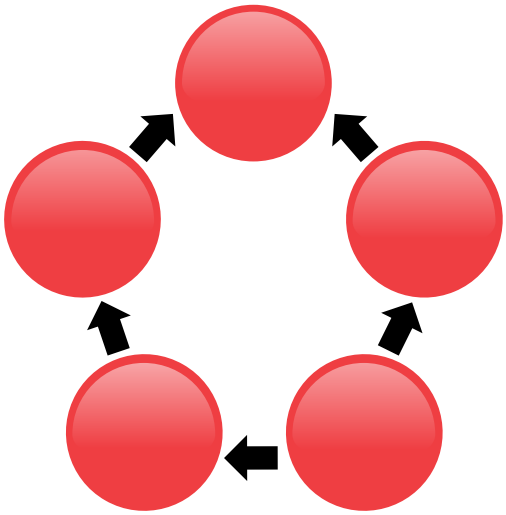

من الأمثلة الكلاسيكية على التسلسل الزمني ملحمة "الإلياذة" The Iliad عن حرب طروادة للشاعر الإغريقي هومر Homer. فهذا العمل ينطلق زمنيًّاً من خلال أحداث. وفي ملحمته "الأوديسا" The Odyssey، يكون توالي الأحداث زمنيّاً أقل أهمية من حركة القصة في مكانين متعاقبين، يؤثر كلٌ منهما في الحركة بشكل حاسم.

أحد هذين الشكلين يلائم قصَّتك. لكن الاختيار يجب أن يكون ملائماً للمادة. فبعض القصص توحي بكشف مصير قاس، لذا يجب أن تُروى هذه القصص زمنيًّاً. وتوحي قصص أخرى بعالم مليء بأمكنة مدهشة، وتوجد في هذه الأمكنة قوى تجاهلناها سابقاً. والبنية البيكارية ملائمة جداً هنا.

على سبيل المثال، استخدمنا البنية البيكارية في تغطية الجبهة الوطنية، الحزب اليميني المتطرف الفرنسي، لأنها حركة متعددة الخواص، ولها جذور محلية قوية. ولو بدا لنا أن الجبهة الوطنية بلدوزر مركزي، كما صورها بعض أعدائها، لكانت البنية الزمنية أكثر ملاءمة.

لكل شكل مزايا مُحدَّدة. فالبنية البيكارية تسمح لك باقتراح مجال وضع

معين ومداه بسهولة أكثر مما تسمح البنية الزمنية لك به. ولكن البنية الزمنية، عادة، أفضل بكثير كوسيلة للعثور على جذور وضع معين.

تجنَّب وضع مادتكَ في بنية محددة مسبقاً، لمجرد أنها تبدو "مقبولة" لك أكثر. مثال على ذلك أعمال مخرجَ الأفلام الوثائقية الأمريكي مايكل مور Michael Moore. الشكل الطبيعي عنده هو الشكل البيكاري، ويُظهرُ سرده النمطي إنساناً غريباً ساخراً (مور نفسه) يرحّل في أرض غريبة. وفي معظم أفلامه، يعمل الشكل الذي يختاره بشكل رائع. ولكنه لا يعمل في الفيلم الوثائقي "فهرنهايت Fahrenheit 9/11" إلا بطريقة جزئيةً لأن الفيلم يحاول اختراق العلاقة بين عائلة بوش Bush والسعوديين، وتلك علاقة لا يمكن أن تتطور إلا عبر الزمن.

دَعْ المادة تقول لك إن كانت القصة التي تود سردها هي رحلة في الزمن، أو في المكان. وعندما تكون قد اتخذت ذلك القرار، يُمكنك - أو بشكل أدق، يمكنك وكمبيوترك - البدء في تشكيل المُخطَّط.

د. رسم الخط الزمني وتطويع تسلسله

وفقاً لأرسطو Aristotle، في كتابه "فن الشعر" The Poetics، فإن للسرد بداية ووسط ونهاية. مفيدٌ جداً أن نعرف ذلك، ولكنه لا يحل مشاكل مفتاحية أساسية في السرد الصحفي.

أولاً، نحن لا نعرف، عادة، كيف ستكون نهاية القصة، حتى حين نكون جاهزين لكتابتها. وعلى سبيل المثال، قد نكون وجدنا مجرماً، ولكننا لسنا من يُقرِّر إذا كان سيذهب إلى السجن أم لا. أكثر من ذلك، نحن نعمل لجمهور همُّه الأساس، وتوقعه، أن نقول له شيئاً مهماً الآن. بكلمات أخرى، إنه أقلُّ اهتماماً ببداية القصة منه بتطوراتها الأخيرة.

ولذا، فإننا في السرد الاستقصائي، كثيراً ما نبدأ من حيث نحن الآن (اللحظة الحاضرة)، ونعود إلى الوراء لنُظهر كيف وصلنا إلى هنا (ماضي القصة)، ونُعيد القصة مرة أخرى إلى المستقبل (لنسمح للقارئ أن يتشرَّب القصة)، ثمّ نقول إلى أين ستذهب لاحقاً (احتمالات حلها في المستقبل).

وهذه البنية - حاضر، ماض، مستقبل - تجيب عن ثلاثة أسئلة مفتاحيَّة يريد أي مشاهد أن يجيبَ الإعلامي عنها:

- لمَ يجبُ أن أهتمَّ بهذه القصة؟

- كيف وقعَ هذه الحدث المريع، أو الرائع؟

- هل سينتهي أبداً؟ كيف؟

كون هذه البنية السردية المستخدمة في الصحافةِ طويلةِ الشكل، وكونها الأكثر شيوعاً، و فعَّالة في مُعظم الأوضاع، لا يجبرك بأي شكل من الأشكال على استخدامها. وفي الحقيقة، فإن المبدأ الزمني قوي جداً إلى درجة أنه حين يُستخدم بشكل ملائم، يمكن إعادة ترتيبه بأي شكل تختار. وعلى سبيل المثال، كتبتُ مقالةً خاصةً عن قضية إجرام بدأت بالمستقبل: أُخِذَ والدا الضحية إلى المحاكمة لجريمة لم يرتكباها. ثم ذهبت القصة إلى ماضي القضية، مُظهرةً كيف غذّت الشرطةُ الصحافة بمعلومات ظَنِّيَة مريعة وخاطئة. وانتهت بالحاضر، برأي يُدينُ هذه المحاكمة. على العكس من ذلك، يمكن أن تبدأ قصة من حيث بدأت، في الماضي، ثم تتقدم خلاله إلى السؤال التالي: "كيف يمكن لهذه القصة أن تنتهي"؟ ولكن سيكون مركز قصَّتك، في معظم الحالات، هو الجواب عن السؤال: "كيف بدأت"؟

وهناك شيئان يجب أن تحتفظَ بهما في ذهنك وأنت تضع الترتيب الزمني للمادة الموجودة في مُخطَّطِك.

أولاً، إبدأ باللحظة التي ستجذب المُشاهد - أقوى المشاهد عندك قد تكون تلك اللحظة، شخصاً يعاني في الوقت الحاضر مثال قصة "مرشد" الذي توقفت كليتاه عن العمل في انتظار الشفاء منذ 2003 في تحقيق غسان الصالح حول قصور في البنى القانونية والطبية تعوق زرع أعضاء من المتوفين دماغيا، وقصة "أحمد السعدي من سورية"، الذي باع مصاغ زوجته الذهبي ليتمكن من متابعة دراسته عن طريق أحد مكاتب الخدمات الطلابية في دمشق. ورد ذلك في تحقيق الزميل خالد موسى حول آلاف الطلاب الذين يقعون سنويا ضحايا تجاوزات مكاتب خدمات جامعية . وقد تكون اللحظة في الماضي حين تغيَّر شيءٌ إلى الأبد ومثال عليها قصة "مريم" التي فقدت الوعي قبل أن تصل إلى باب الإسعاف في تحقيق راما نجمة حول مرضى القصور الكلوي في سورية.

ويمكن أن تكون مستقبلاً لا يُطـــاق يواجهنا في طريقنا. ومهما كانت، يجب أن تقود المشاهد إلى السؤال التالي:"كيف حصل هذا"؟

مثال آخر. تحقيق دولوفان برواري حول تضافر عوامل سياسية ومجتمعية تحول دون حظر ختان البنات في كردستان العراق. برواري استهل قصته التي حصد عنها جوائز عالمية، باستعادة مأساة طفولة إحدى اللواتي عانين من تبعات الختان، ثم تحرك نحو الحاضر:

(فرحت نازين بـ»العروسة» التي اشترتها لها والدتها في الطريق إلى حفلة بيت الجيران. لكنها أحست بالرعب حين وجدت نفسها في غرفة شبه معتمة تعج بالنساء. وخلال لحظات، باعدت الخاتنة العجوز «حبيبة» بين ساقيها وقطعت جزءا من عضوها التناسلي بشفرة حلاقة مستعملة. حدث هذا عام 1985، حين ذاب الثلج من على سفوح جبل كيوة رش في منطقة رانية (131 كم شمالي شرق السليمانية)، وابتدأ موسم ختان الإناث الذي يتكرر في قرى ومدن كردستان العراق، ربيع كل عام.

آثار تلك الليلة الظلماء ما تزال تطارد نازين على شكل كوابيس تستحضر لون الدم والرعب. اليوم، تحمل هذه المرأة لواء «مناهضة الختان» كناشطة في الدفاع عن حقوق المرأة).

ثانياً، لدى كتابة المشاهد لا تكرّر الانتقال في مراحل زمنية خاطفة إلى الماضي والحاضر لأنك ستضيع القارئ وتعرضه للدوار مثل من يقود سيارة بذات الوتيرة والطريقة. وبالمثل مُشاهدوك. وإذا أخذت المشاهد إلى الماضي، أمكث هناك لفترة يكفي طولها لقول ما حصل، ثمّ عُدْ إلى الحاضر. لا تقفز من سنة 2008 إلى سنة 1995، ومن ثمّ إلى 2006، ثمَّ إلى 1982. إجعل الحركة الزمنية أكثر مباشرة وبساطة. يتطلّب الاستثناء لهذه القاعدة البنية البيكارية: قد يسمعُ راوي القصة البيكارية الأحداث نفسها من عدة أشخاص مختلفين، في أزمنة وأمكنة مختلفة. إحتفظ بذلك في ذهنك حين تختار بنيتَكَ الكلّية. مختلفة. إحتفظ بذلك في ذهنك حين تختار بنيتَكَ الكلّية.

هـ . استخدام الملف الرئيسي

تذكَّر الملف الرئيسي - الملف الذي يحتوي على جميع مُقتطفاتِكَ من الوثائق، الصور، الأفكار، وملاحظاتك عليها. ستبتهج الآن لأنك بنيته، بخاصة إذا كنت من هؤلاء الصحفيين الذين لا يحبون رسمَ مُخططاتٍ لقصَّتهم قبل أن يكتبوا القصة.

1. التخطيط بالملف الرئيسي

أولاً، افتح الملف واقرأه كاملاً.

ثمّ احتفظ بنسخة منه للتحرير.

الآن، اقرأه كاملاً مرة أخرى. وفي هذه المرَّة قم بإزالة المادة التي لن تستخدمها.

اقرأه مرة أخرى، وفي هذه المرّة قُصْ وألصق المادة حسب الترتيب الذي تعتقد أنه يجب أن يُستخدم، على أساس زمني أو بيكاري.

كَرِّرْ الخطوتين السابقتين إلى أن تشعر أن المادة التي تفضلها أكثر من غيرها مُرتَّبة للاستعمال.

تهانينا. لقد كتبتَ لتوِّكَ مُخططكَ الأوّلي. يُمكنك الآن أن "تكتبَ" مستخدماً الملف كله، محوِّلاً الملاحظات والمعلومات إلى نصّ text. بكل بساطة، إنزل صفحة الملف في كمبيوترك إلى أسفل وأعد الكتابة وأنت تفعل ذلك. لا تَنْسَ أن تقص وتلصق مراجع الوثيقة وتحولها إلى حواش Footnotes. لاحقاً، سيجعل ذاك أمور التدقيق في الوثائق والمراجعة القانونية أكثر سهولة.

2. استخدام الملف الرئيسي لبناء القصة مشهداً مشهداً

تتمثَّلُ طريقة أخرى، إن كُنتَ تفضل البناء البيكاري، بكتابة عناوين للمشاهد التي تعرف أنك ستستخدمها. وكُنْ متأكداً تماماً من أنَّ:

كلَّ مشهد يُعَبِّرُ عن نقطة مفتاحيةٍ تُطَوِّرُ قصتك.

الانتقالَ بين المشاهد - الأسباب التي تدعنا نذهب من مكان إلى آخر - واضحٌ لك وللقارئ.

ثمّ قُصْ وألصِقْ المادةَ الملائمة لكل مشهد من الملف الأساس. أكِّد ما تعرفه: كيف يبدو المكان، من كان هناك، ماذا فعلوا، ماذا قالوا (الحوار)، وكيف تعرف ذلك؟ هذه هي العناصر التي تحتاج إليها لتبني مشهداً. في المقطع التالي المأخوذ من استقصاء حقيقي عن جريمة، يُنذر شاهدان على الجريمة رئيسَهُما. لاحظ كيف تُستخدم التفاصيل لدعم اتهاماتهما بوثيقة أصلية:

«دخلا مكتب رئيسِهما، هيوبرت لانديز، وسلّماه كتالوج كريستي. قالا إن

الشركة كانت تبيع لوحة مسروقة للرسّام موريّو. سأل لانديز: "هل لديكما دليل على أن اللوحة كانت موجودة في فرنسا مؤخراً؟ فتح لاكلوت ملفه وأخرج منه ورقة، طُبعت مادتها على آلة قديمة. كانت المادة تقريراً عن موريّو، جُمِعَ في مُختبر متحف اللوفر، ومُوقعٌاً من قبل الأمينة العامة السابقة للمختبر، ماجدلين أورز، ومؤرخاً في 17 نيسان (إبريل) 1975».

إذا لم تكن لديك مادة مفصَّلة لتبني كل مشهد، أو كانت المشاهد لا تتعاقب بشكل طبيعي، فأنت غير جاهز للكتابة. في الحالة الأولى ذلك يعني أنك بحاجة إلى تقارير أكثر، وفي الحالة الأخرى أنت بحاجة إلى فهم أفضل لقصَّتك.

3. القصة والحقائق

يتمثَّلُ خطأ التأليف (الكتابة) الكلاسيكي أو التقليدي لأي استقصاء في دفن القراء أو المشاهدين تحت كومة من الحقائق. يقع هذا الخطأ إما لأن الإعلامي لا يستطيع إدارة أمر هذه الكمية من المواد التي جمعها، أو لأن الإعلامي يريد أن يُبهرُ المشاهد بكل شيء اكتشفه. يوجد تقنيتان اساسيتان لحلِّ هذه المسألة:

فكِّر في الحقائق على أنها تفاصيل، وليس مجرد معلومات. نحن نميل للتفكير عادة أنه لا يمكن أن يكون لدينا جميع المعلومات مع أننا نستطيع أن نحصل على كمية كبيرة من التفاصيل بسهولة. ويجب أن تضيف التفاصيل لوناً ومعنى جوهريين للقصة. لذلكً قدِّم فقط تلك التفاصيل التي تجذب الانتباه مثال : («كان البيت يحترق»)، أو تلك التي تُزودنا بنظرة عميقة. (وعلى سبيل المثال، الطريقة التي تمّ بها ترتيب و تزيين مكتب مسؤول رسمي، فالأشياء التي تحيط به، يمكنها أن تخبر المشاهد بسرعة ما يعتبره ذلك الشخص مهماً). يدعو زميلنا نيلز هانسون Nils Hanson هذه التفاصيل "شذرات" - Nuggets - قطعاً متوهجة من معدن ثمين يشعُّ من نهر القصة.

عند كل حقيقةٍ جديدة، غيِّر المشهد. وذلك يعني أن كل مصدر جديد، أو مكان جديد، أو زمان جديد، يجب أن يُعْرَض. فتصبح هذه العناصر كأنها عرباتٍ تحتوي على الحقائق.

تذكَّر: لا تَرْوي الحقائقُ القصةَ. (لو كان ذلك صحيحا لأصبح دليل الهاتف أعظم قصة رُويت أبداً). القصة هي التي تروي الحقائق. وإذا جثمت القصة تحت ثقل الحقائق، سيفشل الإعلامي. لا تستخدم حقيقة لا تُضيء معنى قصتك، مهما بدت مثيرة.

و. تقنيات تأليفيَّة مُحَدَّدَة

1. **الفقرة المركزية** « The Nut Graph»، أو ماذا عليك أن تفعله بفرضيَّتك.

في لحظة ما قريبة من ذروة قصتك، يجب أن تؤلِّفَ فقرة تقول لنا جوهر القصة أو بؤرتها أو مركزها (وبالإضافة إلى ذلك، لماذا نشاهدها أو نقرأها). إذا كُنتَ قد عرَّفتَ فرضيَّة وحققتَ منها، ستخدمك في معظم الوقت كمركز ثقل القصة. وإذا لم تكن الفقرة لديك، فلربما لا يفهم المشاهدون إلى أين تأخذهم ولماذا.

تأمل هذه الجملة الركنية في تحقيق الزميل محمد النعيمات، الذي كشف من خلاله فشل مشاريع تنموية في محافظة معان:

(بعد خمس سنوات على إطلاق المنطقة التنموية يقف الواقع شاهدا على عشوائية التخطيط وضعف متابعة الأجهزة الرسمية. والأسوأ وضع العربة أمام الحصان لدى تنفيذ المشروع، إذ تبخرت خطط بناء مركز تدريب متكامل كان يفترض أن يستقبل 3000 طالب سنويا لتأهليهم في مختلف المهارات. يكشف هذا التحقيق عبر سلسة جولات ميدانية ومجموعة وثائق وكتب رسمية، كيف حال ضعف التخطيط والمتابعة من قبل هيئة المناطق التنموية (المظلة الحكومية للمناطق التنموية في البلاد، ومنها منطقة معان التنموية) دون ترجمة التوجيهات الملكية إلى وقائع على الأرض.

كاتب التحقيق توصل أن الاستثمارات مجتمعة وفّرت حتى الآن 86 فرصة عمل لسكان معان، مقابل 2600 فرصة موعودة- أي نصف عدد العاطلين عن العمل في هذه المحافظة، الأعلى في معدلات البطالة والفقر. وتقف مؤسسات العمل والاستثمار الحكومية عاجزة عن تثبيت حقوق العمال من أبناء المحافظة.

حاول أن لا تتجاوز الفقرة المركزية ثلاثَ جُملٍ قصيرة. وإذا لم تكن قادراً على قول ما تدور القصة حوله بذاك العدد من الجمل، فَيبدو أنك أنت نفسك لا تفهمها.

2. الشخصنة Personification

تتمثل احدى أقدم تقنيات الأدب بشخصنةِ وضع من خلال شخصية معينة وربما المبالغة باستخدام هذه التقنية في الصحافة، ولكنه يظل صالحاً للمشاهدين والإعلاميين الذين يحاولون تحسّس الأساس العاطفي لقصة ما. إذ يمكن لعرضِ ضحيَّة أمام المشاهد أن يكون طريقة قوية ليَشعر بمعنى القصةِ بسرعة.

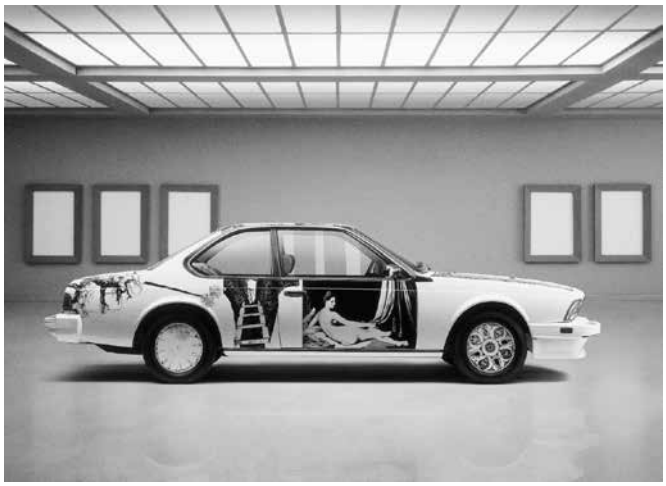

لاحظ هذا المدخل الانساني في تحقيق أميرة عبد السلام تحت عنوان: "المجتمع المصري يحرم المتعايشين مع فيروس الإيدز من ترياق الاندماج":

(في مثل هذا اليوم من العام الماضى، أخبرت صديقى الوحيد أننى سأموت بالإيدز.. ظللت أصارع المرض أكثر من 7 أعوام، كنت اتعاطى دواء أشبه بذلك الذى يعطى لمرضى الجذام، أصبحت منهكا حزينا خاصة بعد أن قرأت اسمى «إبراهيم يوسف ايوب» مكتوب على ورقة أجازة مفتوحة من العمل، وعندما سألت مديرى عن السبب قال «إصابتك بالايدز أصبحت علنية، وأحسن لك تبقى فى منزلك، وراتبك سيصلك كل شهر».. فى هذا اليوم فقط عرفت أنى خسرت المعركة بتسريب معلومات داخل مقر عملى عن حقيقة مرضى اللعين، الذى حرصت لسنوات أن يكون سريا).

وتأمل هذا المدخل في قصة هشام علاّم ودارين فرغلي بعنوان: "مصانع حكومية ترمي مخلفاتها في النيل فتسمم النهر والأسماك":

(فى تلك الليلة تمنى لو يحدث شىء مختلف ينبهه من الكابوس الرابض على صدره. شيخ المسجد الملاصق لبيته قال إن الله يفرج هم المكروبين فى ليلة القدر. لم يضف جديدا على طقوسه اليومية، فقط أيقظ أبناءه الأربعة واصطحبهم إلى المسجد ليصلوا الفجر ويقضّوا الساعات القليلة المتبقية فى تلاوة القرآن حتى يبزغ النهار. فيستند خمستهم كلٌّ على الآخر عبر الطريق القصير المؤدى إلى المركز الطبى، هناك يغسل الأبناء «كُلاهم» فيما ينتظرهم الأب، روتين يتكرر يوميا.

الشعور بالعجز يتعمق لدى هذا المسن، مع تضخم العبء المالى الذى اضطره لبيع نصف منزله، ومشهد أبنائه يتمايلون ألما بعدما أضيفت «هشاشة العظام» إلى روشتة التشخيص كنتيجة لتكرار عمليات «الغسيل» على مدى سنوات).

ونوعٌ آخرُ من هذه التقنية هو أن تفتتح مقطعا أو قصة بوصف مكان. وهو نوع سينمائي: فنحن نتحرك في البيئة إلى قلب الحدث. ولا يستعمل هذا النوع إلاّ إذا كان المكان يضم شخصية، إلاّ إذا قُلتَ لنا ما هي أهمية سمات الوضع المختلفة.

يتجلى هذا النمط في تحقيق جاسم الداخل تحت عنوان: «عجز الحكومة و التجاهل الدولي يحولان دون ازالة خمسة آلاف حقل ألغام في العراق»

(لا احد يعرف متى زرع أول لغم في العراق. لكن الأحداث والحروب التي مر بها، جعلته يضم ربع حقول الشر المزروعة في العالم، والمسكونة بموت مؤجل خلّفته وراءها حروب منتهية.

في البصرة أقصى جنوب العراق، أبدل السكان بنحو عفوي اسم مقهى (أبو علي) الشعبية الشاخصة وسط سوقها القديمة إلى مقهى «البتران» لكثرة مرتاديها من معاقي انفجارات الألغام. ويتجمع هؤلاء المنسيون هنا للحديث في شؤونهم وتداول أخبار مراكز الرعاية الاجتماعية وصناعة الأطراف الصناعية وفرص العمل).

إذا استخدمت التشخيص، تأكد من التالي:

أن يُلائم مثالُك القصةَ. لا تعرض علينا قضيَّة دراميَّة ومن ثمّ تخبرنا بأن القصة حول شيء آخر.

استخدم كل مثال مرة واحدة فقط، وبشكل جيد. ولا تَعُدْ إلى القضية نفسها مراراً وتكراراً، إلا إذا كانت قصتك تدور حول تلك القضية بالتحديد.

خذ بالاعتبار المثال التالي الحائز على جائزة، والذي تُخبرنا فيه أُمٌّ بما عانت منه ابنتها، كي نستطيع رؤية المأساة التي تعاني منها - وتلك المأساة هي قانونٌ ما كان يجب أن يُكتب أبداً.

مرَّت أوقات تساءلت فيها كارول كاستيانو إن كان أفضل لابنتها أن تموت.

مولودة سنة 1984 بعد 23 أسبوعاً فقط قضّتها في رحم أمها، تعتبر سيرينا كاستيانو واحدة من أكثر من ربع مليون طفل معاق يدينون بحياتهم لقانون: "الطفل الرضيع دو" لسنة 1982-84، الذي اعتبر أن الأطباء يرتكبون جُرماً إن لم يقوموا بالحد الأقصى من الجهد ليحافظوا على حياة حتى الأطفال المولودين مُبكِّرا (الخدج) والأقلّ قابلية للحياة. ولكن الحكومة التي خطفت هؤلاء الأطفال من الموت تركتهم مُقعدين - ثمّ تخلّت عنهم وعن عائلاتهم.

'ومثلها مثل آخرين كُثر في هذا القطاع من السكان الذين لا يعرفهم أحد تقريباً، ولم يُغطُّوا إعلاميّاً، ما كان لسيرينا كاستيانو أن تنجو من غرفة الولادة

قبل بضعة أعوام فقط. مولودة عمياء، بدماغ تالفٍ منعها من الكلام أو المَضْغ، تطلَّب وجود تشوهات رئويَّة وباطنيَّة ست عمليات في أول ثمانية شهور من حياتها - لم تُجرِ أية واحدة منها بتخدير.

«لو كانت لدي طريقة لأعرف بها ما يعاني منه الأطفال الخدج، لما أردت لطفلتي أن تمرَّ بكل ما مرَّت به» قالت كارول كاستيانو، رئيسة جمعية عائلات الأطفال العميان بولاية نيو جيرزي والعضو المشارك في تأسيسها. وأضافت «إنني أعبد ابنتي. ولا أودُّ أبداً أن تغادرني. ولكنني لو كنت أعرف أنني في مخاض مبكِّر، لما ذهبت إلى مستشفى. كنتُ سأبقى في البيت وأترك الطبيعة تأخذ مجراها».

لاحظ ما يلي في هذا المقطع:

يطرحُ مشهد كارول كاستيانو وهي تُفكر بمصير ابنتها سؤالاً صارخا على المشاهد: لماذا ترغب أي أُمٍّ بوفاة ابنتها؟

وهذا يسمح لنا بالذهاب فوراً إلى مركز الفقرة، وأن نقول للقارئ لماذا نروي هذه القصة.

في الفقرة الثالثة، عرضنا على المشاهدين بعض التفاصيل المروّعة حقاً. كُنْ حذراً: لا يستطيعُ المشاهدون امتصاص الكثير من الألم. ولذا، حين ننتقل إلى كارول كاستيانو، التي تخبرنا بهدوء بما عِلمت، نُعطي المشاهد فرصة الاستماع إلى حكمتها التي توصلت إليها بعد جهد. ولكننا أيضاً نعطي المشاهد استراحة من التفكير بطفلة عانت بشكل مريع.

3. إحرص على أن لا تضع نفسك أمام الضحيَّة

حين يكتبون عن الضحايا أو يُنتجون فيلماً عنهم، قد يضع الإعلاميون أنفسهم؛ مجازياً أو حرفياً، أمام الضحايا، مُجبِرين القارئ على مشاهدة غضبهم أو أساهم بدلاً من ألم الضحية. من السهل الوقوع في مثل هذا الخطأ، أثناء استقصائهم لعمليات إجهاض تمت في فرنسا، عرض بعض تلامذتي امرأة كانت عملية إجهاضها كابوساً، ثمّ أصرّوا: «ستعيش، هي وزوجها، تجربة صادمة ... فقد أدت الصدمة إلى ذهول الزوجين». لاحظ كيف أصبح تفسير الإعلامي فجأة أكثر حضوراً من معاناة الضحيَّة؟ فمن دون وعي، يتجنَّبُ الإعلامي مشهدَ الألم. ولكنّ المشاهد سيرى إعلامياً يعتبر

نفسه أكثر أهمية من الضحية. ولذا إذا عانى أحدٌ في قصتك، إعرضه ولا تعرض نفسك.

إذا حدثَ وتقدمتَ إلى الأمام، إبْقَ إلى جانب الضحيَّة. فثمّة دور كلاسيكي للاستقصاء يقضي بالدفاع عمّن لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. كان هذا دور الروائي الفرنسي إميل زولا Emile Zola - إلى جانب العديد من المبدعين- في سلسلة مقالاته "إني أتَّهِمْ" Jaccuse!. إذا لعبت هذا الدور، فإنه يبرِّرُ لك عرض شخصيتك وحضورك. ولكن كن حريصا. لا يوجد إلاّ القليل من المجد في بناء شهرتك إن لم تُساعد في إنقاذ الضحية.

4. دَعْ المصادرَ تتكلَّم

كثيراً ما يضيعُ وقتٌ ثمينٌ في الصحافة بمحاولة قول شيء تحدث المصدر عنه بالفعل وبشكل جيد. هذا الأمر مؤسفٌ، لأن الناسَ الذين عاشوا قصَّةً يرونها بشكل أفضل، وبأكثر ما يكون من التعبير والعاطفة. فلماذا تحاول أنت أن تكتب جملة كاملة حين يكون أولئك الناس قالوها لك؟

وأفضلُ أسلوب هو أن تَنْسِجَ بيانات المصدر في نصوصك كأنما أنت الذي كتبها، سامحاً لها بتطوير قصتك. في المثال اللاحق، نترك المُتحدِّث الرسمي لمستشفى يتحدث، بمعرفة حميمة، عن الدمار والرعب اللذين نجما عن قوانين الطفل الرضيع دو.

"في العام الماضي، أنقذ أطباءُ يعملون في مستشفى "أرز سيناء" Cedars- Sinai Medical Center بمدينة لوس أنجلوس الأمريكية مولوداً مُبكِّراً (خداجا) كان وزنه 13 أوقية فقط. وبعد ستة أشهر في المستشفى، ودفع فواتير بلغت قيمتها مليون دولار، أُطلق سراح الرضيع. بعد أسبوعين من ذلك توفي. "كانت العائلة محظوظة، لأنه كان لديها تأمين على الحياة"، قال تشارلي لاهايي، المتحدث الرسمي باسم مستشفى أرز سيناء. وتساءل: "تخيل أن تدفع مليون دولار لطفلك الذي لم يعد على قيد الحياة"؟

في الفقرة أدناه اقتبسنا مُطوّلاً مسؤولاً من الجبهة الوطنية الفرنسية، مُستخدمين تسجيلاً سماعياً قمنا بعمله ليكون مصدراً. (إننا بشكل عام لا نُحب التسجيل، لأنه عملية بطيئة. ولكننا في هذه القضية قمنا به استثناءً، لأن الجبهة الوطنية تحب رفع قضايا تشهير أمام المحاكم، والتسجيلُ برهانٌ على أن الاقتباس منهم تمَّ بدقة). قيمةَ هذا المقطع المعلوماتية كان صفر عملياً؛

فالرجل يتكلم هراءً، ولكن عقلية الرجل مهمة، ولم نستطع الوصول إليها من دون استخدام المقطع كله. وحين نُشر الكتاب، كان ما يلي أول ما اقتطفته إحدى المجلات:

«يُوجد في هذه الحكومة وفي أروقتها الخلفية أناسٌ يجب أن يكونوا في السجن لممارستهم الجنس مع الأطفال Pedophilia. هل تسمعُني؟ هل تسمعُني؟ يُمكنك أن تقول إن روجر هولياندر قال لك ذلك! يُمكنك أن تُحدِّد الوقت! إنه الخامسة إلاّ ربعاً، حسب ما أعتقد! هل تسمعُني؟ حسناً، كنت أقول ذات ليلة، 'يجب أن نشنق كل هؤلاء الغثاة". وقالت سيّدة كانت موجودة في الغرفة: "آه، سيد هولياندر، ذلك ليس لطيفاً، لماذا تريد أن تشنقهم"؟ وأجبتها: "نعم يا سيدتي، أتعرفين ما هي الـ Pedophilia"؟ "آه، كلا، لا أعرف". "حسناً، إنها كلمة تتحدث عن رجال يستفيدون من مناصبهم ... ليغتصبوا أطفالاً في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من أعمارهمّ"! "آه، يجب أن نشنقهم إذاً". "ها أنت قد قُلتِها يا سيدتي"!

تذكّر: الناسُ لا يستمعون إليك بحثاً عن الحقائق فقط. إنهم يريدون أن يعرفوا شخصيةَ ونوعَ ولونَ المصادر التي ستقدمهما لهم. والحوار أفضل عربة لتوصيل هذه العناصر. حَرِّرْ المادة لتقليص طولها أو لجعلها أكثر تأثيرا على المتلقيِّ، لكن استخدم من المادة قدر ما تحتاج.

5. التحرير الأساس Editing

في الصحافة، يُعد التحريرُ فنَّ جعلِ قصةٍ أفضلَ مما كانت. ففي الحد الأدنى، يجب أن يكون مشرف خارجيٌّ قادراً على اقتراح مادة تُثري قصتك، وأن يقترح، بطريقة ايجابية ولطيفة، طرقاً يمكن من خلالها تحسين ما تكتب. ولكن قبل أن يدخل شخص آخر على الخط، يجب على الصحافي أن يتعامل مع التحرير بطريقة متواصلة وكأنه يريد أن يصقل القصة. تَعوَّدْ على نحت نَصِّكَ في كل مرَّة تفتحه، شاحذاً التعابير والجُمَل فيه. تأكد من أن تُخَزِّن النسخة الأخيرة تحت اسم ملف مختلف في كمبيوترك (بما في ذلك، على سبيل المثال، تاريخ هذه النسخة ورقمها) كي لا تفقدَ المادةَ أو تنسى مكانها باستمرار.

أ. معاييرُ التحريرِ الثلاثة

د. مارك هنتر

يجب أن يفضي التحريرُ إلى جعل عملك أكثر وضوحاً وأسرع إيقاعاً. وهذه المعايير تُساعدُكَ على رؤية تلك المزايا: يجب أن تلتزم القصة المُحَرَّرَة بثلاثة معايير أساسية:

- **هل هي مُتماسكة؟** أي، هل تنسجم التفاصيل كلها معاً؟ هل حُلَّت جميع التناقضات التي برزت في البرهان؟

- **هل هي كاملة؟** هل تمت الإجابة عن جميع الأسئلة التي برزت في القصة؟ هل مصادر كل حقيقة تستشهد بها مناسبة؟

- **هل تتحرك القصة؟** إذا أبطأت القصة أو إنطوت على نفسهاستخسر مُشاهدك.

وأفضل طريقة للتحقق من الالتزام بهذه المعايير تفحص القصة بحثاً عن لحظات غموض، أي حين يتساءل المشاهد عمّا تتحدث عنه كصحفي. أكثر أسباب لغموض عملية السرد الشائعة، وعلاجاتها، هي التالية:

المقطعُ مكتوبٌ من منظور داخلي، باستخدام رطانة تقنية أو بيروقراطية. المقطع هذا بحاجة إلى أن يكون أكثرَ حيويَّةً، وأقلَّ تقنيَّةً.

الجُمَلُ طويلةٌ جداً. قُصْ الجُمل الطويلة إلى قِطع. لكن احذر: للجمل القصيرة الكثيرة الأثر المُبْطِئ ذاته الذي للجُمل الطويلة جداً.

الفقرات طويلة جداً. حين يتغير شخصٌ أو مكانٌ أو فكرةٌ، يجب أن تتغير الفقرة.

ب. القصة الجيدة مثل القطار.

إنه يتحرك بقوة ليصل إلى غايته. قد يُبطئُ ليأخذ ركّاباً أكثر، أو ليسمح لك بأن تُركّز بصرك لرؤية مشاهد طبيعية مُحددة عظيمة حوله، ولكنه يجب أن لا يتوقف. ولذا حين تكتب وتُحَرِّر، ركِّز على إيقاع القصة. فلا بد أن يشعر القارىء/ المشاهدُ أنه ينتقل من مقطع إلى آخر. فإذا لم يحصل ذلك، فالقصة غير فاعلة.

لا تغير كامل البنية. حدِّد المقاطع التي تعاني من مشاكل، ثم اقطع أو أضف مادة لتجعلها أكثر فاعلية.

ج. أَعِدْ الكتابةَ حين يكون ذلك ضرورياً فقط.

إذا لم تؤكد التقنيات المُثارة أعلاه أن القصة كاملة ومتماسكة وتتحرك بإيقاع قوي، عليك أن تعيد كتابتها - ليس بمجرد تغيير كلمة أو كلمتين، بل إعادة بنائها وإعادة تأليفها. حاول أن تُحدد المقاطع الناجحة، وتجنَّب مسَّها. بدلاً من ذلك، ركِّز على النقاط المشوهة في القصَّة. كثيراً ما يحصل أن المقاطع غير الناجحة تكون بحاجة إلى أن تكون أكثر إحكاماً. اخْتَرْ أقوى العناصر التي تريد أن توصلها للقارئ، المستمع أو المشاهد واكتب أو ألّف حولها، تاركاً التفاصيل الثانوية جانباً.

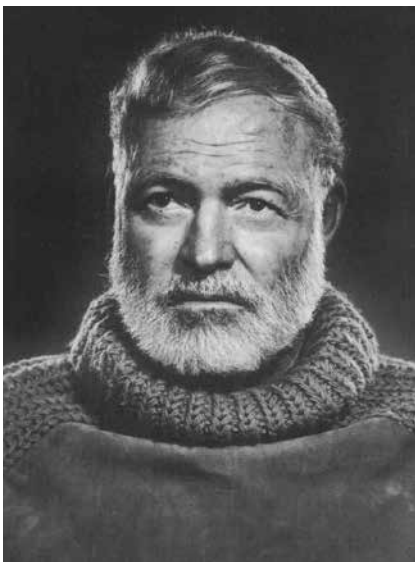

د. ثلاث طرق لحل 95% من مشاكل الكتابة:

قُصْ، قُصْ ثم قُصْ

أسهل وأفضل طريقة، عادة، لتحرير مقطع إشكالي هو قَصُّهُ. إذا حاولت إعادة كتابة مقطع أكثر من ثلاث مرّات، فمن المحتمل أن يكون استمرار المحاولة مضيعة للوقت، ويجب أن تمضي إلى الأمام. يوجد مقطع للروائي الأمريكي إرنست همنغوي Ernest Hemingway، في روايته "لمن تقرع الاجراس" For Whom the Bell Tolls أُعيدت كتابته 60 مرة. ولكنه ما زال يبدو غير موفَّق. فإذا لم يستطع همنغوى أن يجعله موفقاً، فلن تستطيع أنت ذلك. إذاً قُصَّهُ.

هـ . دَعْ العقبات الموجودة في النص تُعطيك نُصحاً.

إذا كان مقطعٌ عصيًّا على التصحيح، فإما إنك لا تفهم ما تحاول قوله، أو

أنه لا يستحق القول. عادة ما يكون السبب هو الأخير. ولكن إن كان مُهماً جداً ليُقطع، خُذْ وقتاً لتفكّر بما تحاول حقاً قوله. وهذا هو عمل الكتابة الصحيح. وفي مثل تلك اللحظات تُصبح قصَّتك أعمق وأقوى.

و . أنسب طول يمكن أن تذهب إليه؟

- قبل 30 عاماً، كان شائعاً في المجلات الأمريكية نشرَ مادةٌ يصل طولها إلى 7000 كلمة. أما الآن فبالكاد أن تُنشرَ المجلات والصحف قصصاً، وحتى استقصاءاتٍ، يصل عدد كلماتها إلى 2500 كلمة. وبالمثل، يتطلَّب سوق استقصاءات الفيديو أو الفيلم تصاميم أقصر.

- وأحد الحلول لهذا الوضع هو أن تقبلَ قيودَ المساحة المخصصة للنشر لتضمن نشرها أو ربما لأن النسخة المُقلَّصة أو المصغرة ستُقرأ أو تُشاهد بشكل أفضل. (إذ يوجد كثير من الدُّهنِ في معظم وسائل الإعلام.) والحل الثاني هو أن تقترح بدائل للقصِّ البسيط.

- السَّلْسَلَة Serialisation: أكتب القصة أو حرِّرها على أساس أنها مسلسل من عدة حلقات.

- بدلاً من أن تكتب قصة واحدة طويلة، أكتب عدة قصص أقصر. هذا ما حصل مع الزميل حمود المحمود عندما استقصى الصرف العشوائي للمضادات الحيوية في سورية. أنتج أربع قصص نشرت يوما بعد يوم وأحدثت تأثيرا كبيرا على المتلقي الذي كان يتابعها هذه عناوين في القصص الأربعة.

- البكتيريا تخرج عن السيطرة في المشافي السورية. الآلاف يموتون بسبب إصابتهم بالجراثيم المعنّدة.

- انتشار الجراثيم المعنّدة القاتلة بسبب قلة العناية بالنظافة والتعقيم بين الأطباء

- المشافي في سورية تهدر أموال الدولة في صرف عشوائي للمضادات الحيوية

مشافي الموت. إنزال العقوبة بالمشافي التي لا تراعي قواعد النظافة والتعقيم

وسبب ذلك التأثير يعود إلى أن كلَّ جزءٍ من المسلسل سيجذبُ انتباهاً للأجزاء الأخرى. وقد تعيد وسائل الإعلام أيضاً طباعة المُسلسل ككل.

التأثير: أنشر القصة في وسائل إعلام مختلفة.

قد يكون لدى صحيفة ما مساحة لنسخة قصيرة من القصة. ولكن موقعاً في الإنترنت قد يكون قادراً على قبول نسخة أطول. تأكد من أن تحتفظ بحقوق النشر لنسخٍ مختلفةٍ من قصَّتِكَ، وأن توزعها بأوسع ما يكون بين وسائل الإعلام.

رسّخ تَمَيُّزَكَ عبر كتابة قصص عادية

ما الحيِّزُ الذي تحتاج إليه حقاً؟ كثيراً ما يُبالَغُ في كتابة العديد من القصص الاستقصائية، وكثيراً ما تطول أكثر مما يجب. وكثيراً ما تحتوي هذه القصص على مادة تصلح لأكثر من قصة واحدة حول أبعاد مختلفة من الفرضيَّة الأوليَّة. فبدلاً من أن تنشر قصة بخبطة صحافية واحدة (Blockbuster) ، فكّر في نشر قصص ذات صلة بانتظام - في أوقات أبعد من أوقات نشر مسلسل، ولكن ليس بذلك البُعد الذي يجعل الجمهور ينسى المسألة وينسى إبداعك. وهذه إحدى طرق بناء سمتك (سمعتك)، وبناء سمة (سمعة) وسيلة الإعلام.

6- إغواء إنهاء القصة

يتطلَّبُ فنُّ السرد خاتمةً مُقنعة - ولكن لسوء الحظ، لا يملك الصحفيّون حق اختراع خاتمة. فبدلاً من النهايات، يجب أن نؤلف خاتمات. والفرق مهمٌ. فالنهاية تحلُّ كل غموض في السرد، أما الخاتمة فتؤشر، بكل بساطة، إلى النقطة التي تتوقف عندها حركة السرد إلى الأمام.

فمن جهةٍ، يجب الحرص على مقاومة إغواء إعطاءِ قصتك حلاً نهائياً حين لا يكون مثل هذا الحل موجوداً. ومن جهة أخرى، يجب أن تقول ما يمكن أن ينطوي عليه ذلك الحل. و يجب أن لا يكون طويلاً. فقصة ألبرت لوندرز Albert Londres الرائعة عن مستوطنة العقوبات الفرنسية في غويانا Guyana اختتمت بهذه الكلمات: " لقد انتهيتُ. وعلى الحكومة أن تبدأ" الآن.

دَعْ القارئ يعرفُ إن كان أي شخص يملك فكرة عمّا يجب فعله. يمكنك أن تكشف أفكارك أنت، لأنك إن قُمت بالاستقصاء وأصبحت خبيرا ملما

بأطراف الموضوع، تستطيع أن تبين أيضا كيف حلت مشاكل مشابهة وتشير إلى أولئك الذين قاموا بحلها. وقد تُشير إلى أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية حلها الآن. وهناك طريقة أخرى، كثيراً ما تنجح، بأن تسمح لمصدرٍ أو لشخص عاش القصة، أن يقول الكلمة الأخيرة.

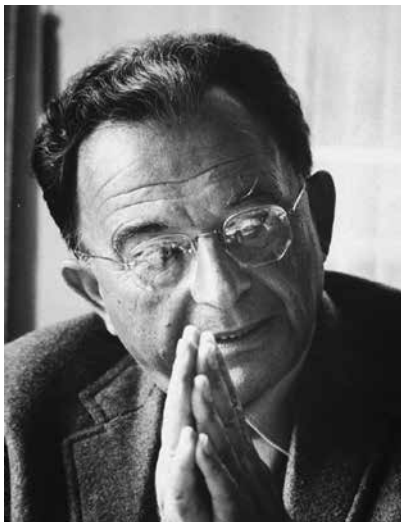

سواء تكلّمتَ أنت، أو تكلّم شخصٌ آخر عنك، تأكد أن الكلمةَ الأخيرةَ كلمةُ حقٍّ. كثيراً ما يُخَرِّبُ مؤلفٌ قصته في السطور الأخيرة، لأنه لا يريد أن يسمع ما تقوله القصة، أو لأنه خائف، بشكل لا واعٍ، من أن يقوله. ويمكن أن يحدثَ التخريب على يد المؤلف وهو يقول شيئاً كهذا: "حسناً، قد لا يكون الشخص الذي استهدفناه، بعد كل ما أسلفنا عنه، سيئا لهذه الدرجة". ما يتكلم هنا هو خوفك: أنت تريد أن يسامحك الشخص الذي استهدفته. (وكما قال المحلل النفسي إريك فروم Erich Fromm: "أعْجَبَ بعضُ الناس بهتلر لأن ذلك أقل إذلالاً من أن يُعْترفوا بأنه يُرعبُهم. أو قد يتحدث شكُّكَ الذاتي عندما تقتبس مقطعا مما قاله لك شخص محترم وحكيم جداً: "الحياة مليئة بالمشاكل، ولكننا، نحن ذوو النيّات الطيبة والمراكز الاجتماعية العليا نحلها جميعاً لك". ولسوء الحظ أنك كتبتَ قصة كاملة قالت شيئاً آخر.

إقبل حقيقة ما وجدتَ. ورغم أن هذا أمرٌ أصعب مما تظن، فإن ذلك مما يجعلُ عملكَ عظيماً. إذا أعطاك عملُكَ حق إصدار حُكم، إصدره. حافظ عليه مُحدَّداً، حافظ عليه عادلاً ومحايدا، حافظ، في حدود ما تعرِّفه، على ما هو حقيقة مطلقة. ولكن لا تتجاهل ما أثبتَّ أنه حقٌّ، أيضاً.

الفصل السابع:

السرد البصري التلفزيوني
بناء التحقيق المتلفز

الفصل السابع:

السرد البصري التلفزيوني
بناء التحقيق المتلفز

سورن كلوبرغ Soren Klovborg

محرر ومقرر برنامج الوثائقيات في التلفزيون الدنماركي

إلق نظرة على برامج القنوات الإخبارية حول العالم، لتجد أن غالبية ساعات البث تتضمن وجوها لا تنقطع عن الحديث وصورا لرجال مهمّين وهم يدخلون قاعات الاجتماعات أو يخرجون منها. وتشمل المقاطع أيضا صورا بيانية ومعلوماتية (info-graph) . وفي غالبية الحالات، يصاحب القصص المصورة صوت يشرح تفاصيلها Voice Over.

في الواقع، هذه التسجيلات لا تنتمي إلى وسائل السرد البصري الحديث - وهناك العديد من المبررات التي تعطى للاكتفاء بهذه الطريقة التقليدية. وقد يكون أهم تبريرين: "لا يتوافر لدينا صورا طبيعية" و "ضيق الوقت قبل البث". لكن أكثر القصص مدعاة للضجر يمكن أن تتحسن، إذا صرف الصحافي أو المصور الصحافي وقتا كافيا للتفكير في قالبها قبل البدء في معالجتها للتلفزيون.

إذا ما هو السرد البصري بالضبط؟ ليس هناك جواب بسيط لهذا السؤال، ذلك أنه يوجد العديد من الطرق يمكن من خلالها تحسين التسجيلات البصرية وبناء قصّة مشوّقة للتلفزيون. والحبكة تكمن - بحسب ما يوحي به المصطلح المعروف- في عرض القصة لا في سردها.

يشرح هذا الفصل أهم مبادىء التعامل مع مخرجات الكاميرا وما يجب علينا التفكير به لدى الشروع في بناء قصة متلفزة. وهناك فروق كبيرة بين الخيارات المتاحة (أمام الصحافي والمصور الصحافي). ويعتمد ذلك على شكل التقرير ومدته: دقيقة واحدة أم ساعة كاملة. وهناك بالطبع عامل ثان يتمثل في الوقت المتوافر لإنجاز الجانب الإبداعي من التقرير.

أسهل آليات السرد البصري تتمحور حول استخدام تعليق صوتي مواكب (voice over) مع توفير تصوير فيديو سريع إلى جانب عدد من المقابلات لتضمينها في الداخل. وإذا لم يوظف الصحافي الطاقة والوقت الكافيين لخلق سرد بصري قوي، ستكون النتيجة واضحة من البداية: مملة وغير مؤثرة في المشاهدين.

لكن حتى أكثر القصص تحديا ستتحسن بصريا إذا فكّر الإعلاميون كيف يخرجونها من البداية.

التلفزيون عمل فريق

بمجرد اكتمال البحث الأولي وتبيان معالم القصّة، أشرك المصور التلفزيوني وزملاءك ممن يعتبرون هذا العمل "قصتي". ومن يرى في المصور الصحافي مجرد شخص يلتقط الصور التي تطلب منه سيواجه مشاكل وينتج تقارير بعيدة عن الإثارة. فإن غاب التواصل بين أعضاء الفريق، سيكون من المرجح أن يعيش كل واحد منهم في عالمه الخاص. لذلك فإن فضلى القصص المتلفزة تكون دائما من نتاج عمل فريق منظم- قد يكون ذلك تحديا كبيرا لكنه في ذات الوقت يجعل صناعة التقارير المتلفزة أكثر حيوية ومتعة من كتابة التحقيقات. وكلما انخرط المصور الصحافي في مشروع التقرير، كلما كان أكثر تحفيزا للعمل وكانت النتيجة أفضل.

عناصر التقرير

معظم التقارير تتألف من تعليق صوتي مصاحب لعرض الصورة (Voice Over)، مقابلات، مقاطع صوتية، صور بيانية وموسيقى. يبقى السؤال كيف نستخدم هذه العناصر وندعمها لبناء قصّة لافتة سيتذكرها المشاهدون؟ فالتلفزيون يكون قويا جدا في العادة حين يضرب وتر العاطفة وليس فقط العقل.

من هنا يستحسن الانتباه إلى عدة عناصر:

- الصورة الركنية/ المعلّقة (Poster Picture) – الدليل البصري

إذا طلب من أحدهم أن يخمّن عن ماذا تدور القصّة - وعليك اختيار صورة وحيدة للعرض، فماذا تختار؟ سيكون عليك استثمار الكثير من الوقت والجهد لاختيار هذه الصورة - أو التسجيل- أو استحداثها. لماذا؟ لأنها الصورة التي سيتذكرها المشاهد بعد أن يقفل جهاز التلفاز.

يستطيع المراسل التلفزيوني التحدث والتحدث كيفما يشاء - ويضفي أفضل تعليق صوتي على تسلسل الصور، لكن مع ذلك لا يترك أثرا لدى المشاهد.

البرامج التوثيقية العالمية تحمل عادة صورة ركنية مؤثرة - إما معالجة أو تعكس مشهدا حقيقيا:

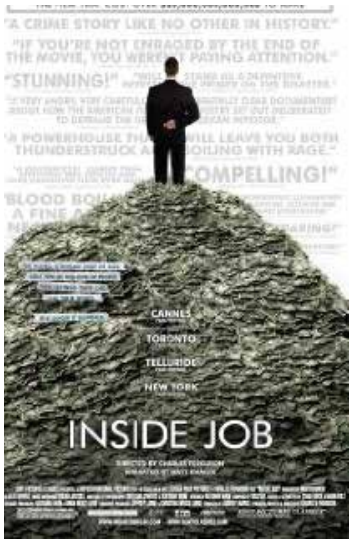

* رجل يأكل كميات مهولة من منتجات مطعم مكدونالدز. فقراء يبيعون كلاهم. العمل داخل المؤسسات (Inside Job)- ثلاثة نماذج لقصص مرتكزة إلى صور ركنية قوية.

ليس بالضرورة أن تحمل كل قصة متلفزة صورة ركنية - على أن التركيز في البحث عن صورة سيرفع درجة الوعي حول كيفية عرضها.

خلال العام 2012، تمحورت ورشة عمل في تلفزيون الجديد (لبنان) حول طرق البحث عن مقاطع بصرية قوية - أو لنقل "الدليل البصري"، وهو مهم على نحو استثنائي في التقارير الاستقصائية. فبعض القصص يمكن أن تتحول إلى تقارير متلفزة فقط حين يكون هذا الدليل البصري موجودا - مثل قصّة عاملات المنازل الإفريقيات المقفولة أمامهن نوادي السباحة على شواطئ بيروت. تم توثيق تفاصيل تلك القصة بواسطة كاميرا مخفية - الخيار الوحيد المتاح. ولولا هذا الدليل البصري، لكان سيسهل على القائمين على نوادي السباحة نفي الإدعاءات من واحدة من أفقر الشرائح في المجتمع.

*** الربط**

ذات الجدلية تنطبق في الغالب على القصص المتعلقة بقضايا فساد. تحتاج هذه القصص دلائل قوية لإثباتها - وهو ما فعله تلفزيون الجديد حين كشف حالات فساد واسعة النطاق في مرفأ بيروت. تم ذلك أيضا باستخدام كاميرا مخفية - لتوثق تجاوزات مسؤولين يتلقون رشى. وبدون ذلك الدليل البصري - لكان من المستحيل عرض القصة ومن السهل رفضها.

قوّة الدليل البصري تتماهى في العادة مع الصورة الركنية - لكن ليس دائما. في قصة الأطعمة السريعة "فاجئني" (Surprise Me) كان الدليل البصري العنصر الرئيس الخاضع للفحص؛ إثبات أن جسمه تضرر بسبب أكله أطعمة سريعة التحضير.

والدليل البصري لا يكون دائما صورة متلفزة. ففي قصة "العمل الداخلي" (The Inside Job) المتعلقة بالأزمة الاقتصادية الأمريكية - تمثّل الدليل البصري بالمثابرة والأسئلة الحاسمة المطروحة - ورد فعل المسؤول. أحيانا خمس ثوان من الصمت توفر دليلا بصريا مؤثرا - عندما لا يوفّر صاحب المقابلة ردا. ثمّة استثناء لكل قاعدة، لكن في الإجمال ابحث دائما عن المادة البصرية القوية. وما تبقى سيكون سهل جدا.

*** شخوص قوية**

لا يمكن الانتقاص من أهمية الشخوص القوية. الضحايا، مقدمو المساعدة والمتسببون في المعاناة يجب أن يكونوا حاضرين في غالبية القصص. وإذا رفض المتسبب المشاركة (وهو ما يحصل في العادة) - حاول أن تبرز ذلك بوضوح.

في بعض القصص تكون شخصية ما أساسية ومؤثرة. وهو شخص يمكن أن يتماثل المشاهد معه - إما إعجابا أو كرها. شخص يمكن أن يكون تعرض للخداع والغش، شخص ينشد العدالة، شخص يسعى وراء مهمة. ويمكن وصف ذلك ب"شخص يعمل شيئا لغاية ما".

*** صيرورة العمل**

التقارير الممسرحة (المبنية على لقطات/ أدوار) تنتج عادة من عدم تخصيص الوقت الكافي في موقع التصوير. كما أنها تنتج عن عدم توفير وقت للتفكير/ التخطيط قبل التصوير. أشخاص يصنعون القهوة، شخصية تتحرك خارج إطار الكاميرا وتغلق بابا خلفها - هذه لقطات ممسرحة قد تكون ضرورية في بع ض الأحيان. لكنّها لا تشكّل عرض قصصي بصري.

ابحث دائما عن نقل الخبر/ الريبورتاج؛ أن تكون هناك عندما تقع الأحداث. إذا اتجه شخص إلى المحكمة، تتبع طريقه إلى هناك وخذ رد فعله مباشرة بعد ذلك. هذا أفضل من تركيب خلاصة الأحداث ككل بعد وقوعها. فإعادة تركيب القصّة ليس بذات القوّة حين تكون في موقع الحدث، بينما تتطور الوقائع أولا بأول.

*** التغطية الحيّة/ في الموقع**

في غالبية التقارير يكون للصحافي موقعا مهيمنا. في كثير من الأحيان، يقتصر عمله على الوقوف هناك وبيده ميكروفون متحدثا إلى الكاميرا لبضع ثوان.

أما التغطية الحيّة/ الفعالة، فتدخل الصحافي بين ثنايا القصة؛ ينهمك في عمل ذي صلة بأحداث القصة بينما يخبر المشاهدين ماذا يحدث.

*** نموذج هوليود**

مركز القصة يجب أن يكون واضحا من البداية. حول ماذا تتمحور القصة؟ ماذا ستعرض للمشاهد؟ لكن سرد كل التفاصيل في مستهل التقرير ليس

أسهل شيء أو الأفضل.

مشاهدو التلفزيون غير صبورين. سيتابعون أول 30 إلى 60 ثانية، ثم يقررون فيما إذا سيواصلون المشاهدة. وهذه الطبيعة لا تتغير. فإذا لم تتمكن من الاحتفاظ بانتباه المشاهدين سينتقل بعضهم إلى قناة أخرى.

لمواجهة هذا التحدي تم استنباط عدة نماذج من السرد. في تلفزيون الجديد، طبقنا "نموذج هوليود"، الذي يتلون بعدّة بدائل، لكنّه في الجوهر يبدو على النسق التالي:

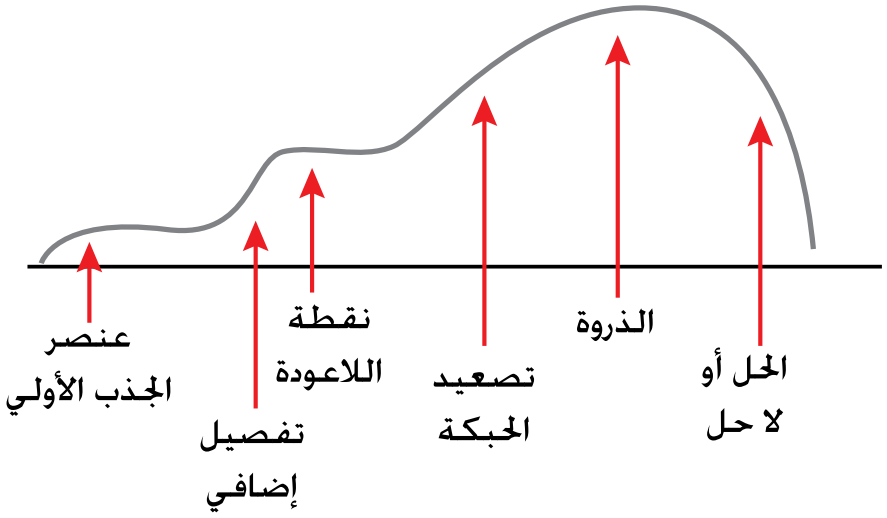

• الصنارة

أحد الحلول المطروقة يكمن في تسليط الضوء على مقتطفات بارزة مثيرة للاهتمام. مثل عناوين عريضة تختزل القصة ومقدمتها بمادة فلمية لافتة - مقاطع بصرية قوية، كاميرا مخفية، مواجهة وجدال أو أي مقاطع أخرى مثيرة للاهتمام. ثمّة بدائل مختلفة، من بينها اختيار أحد المشاهد، يكون عادة تمهيدا للوصول إلى اللحظة الحاسمة. على أن الدور الأكثر أهمية للصنارة يكمن في إعطاء المشاهد عرضا لما سيتوقعه لاحقا. نفّذ هذا الصيد على نحو يحول دون احتمال أن يغير المشاهد قناتك.

• الشرح والتفصيل

وهي تقنية تطيل عرض مقدمة الأحداث وتقدم عدد من الشخوص الرئيسة في القصة. وهكذا ستتكشف سلسلة المشاهد المسجلة أولا بأول. سيتفاوت زمن الشرح وسرد التفاصيل، التحدي يكمن في الوصول إلى نقطة يشعر خلالها المشاهدون أن عليهم مواصلة المتابعة حتى لا يفوتوا بقية التقرير.

• نقطة اللاعودة

الحبكة الحاسمة. تكون عادة على شكل صنارة؛ هل الشخص مذنب؟ هل ستهاجم الأجهزة الأمنية المتظاهرين؟ سيكشف التقرير حقائق لاحقة. نقطة اللاعودة تحدد مسار بقية القصة. بعض القصص تتضمن نقطة لا عودة واضحة جدا، وفي حالات أخرى تكون متوارية خلف خيط رفيع، لكنها في جميع الأحوال يجب أن تخدم الهدف؛ كمشهد ركني لبقية القصة.

أحد النماذج يلاحظ في تقرير «التعامل مع القراصنة»، حول تعقب شركة ملاحة دنماركية تعرضت للقرصنة والاختطاف في الصومال. برزت نقطة اللاعودة في ذلك التقرير عندما تم إبلاغ الرئيس التنفيذي للشركة عن اختطاف السفينة؛ من تلك اللحظة لم يعد إمكانية للرجوع إلى الخلف.

رابط التقرير: http://www.youtube.com/watch?v=gslYChaeVOY

• تصاعد التشويق/ الجدلية

هنا تتجه القصّة إلى التكشف/ التفكيك- ويتصاعد الصراع. في العادة، يكون ذلك الجزء الرئيسي من التقرير؛ حيث توضع الأحداث في سياقها، وتبنى المشاهد والشخوص. على أن التحدي يكمن في مواصلة تذكير المشاهد بأنه سيتلقى الجائزة في مرحلة لاحقة من السرد البصري. ضع كل المعلومات المطلوبة بين دفتي التشويق الجدلي وتصاعده، باستخدام كل الصنانير بين يديك. الصنارة المناسبة ستغادر المشهد في وقت يشعر فيه المشاهد ضمنيا أن عليهم مواصلة المشاهدة لمعرفة ما سيحصل لاحقا. في كل قصة تقريبا، هناك عدد لا بأس به من الحقائق المملة، من هنا ستترك الحقائق وسياق السرد البصري أثرا أكبر إن قدمت على جرعات قصيرة وربطت بالشخوص إن أمكن ذلك.

*** الذروة**

وقت حصد النتائج. هل سيذهب المتسبب إلى السجن؟ هل اقتحمت الأجهزة الأمنية أو القوات المسلحة الموقع/ فرّقت المتظاهرين؟ ما هي الاستنتاجات التي توصل إليها التقرير؟ بعض القصص ذات ذروة طبيعية، وبعضها لا تتمتع بذلك، لكن في كل الأحوال لغالبية القصص عنصر ثابت تتجمع عنده نهايات القصة واستنتاجاتها.

*** الحل**

الحل هو الوقت الذي يأخذه المشاهدون للتفكر، الشعور مع أو هضم ما تابعوه للتو عبر الشاشة.

الفصل السابع:

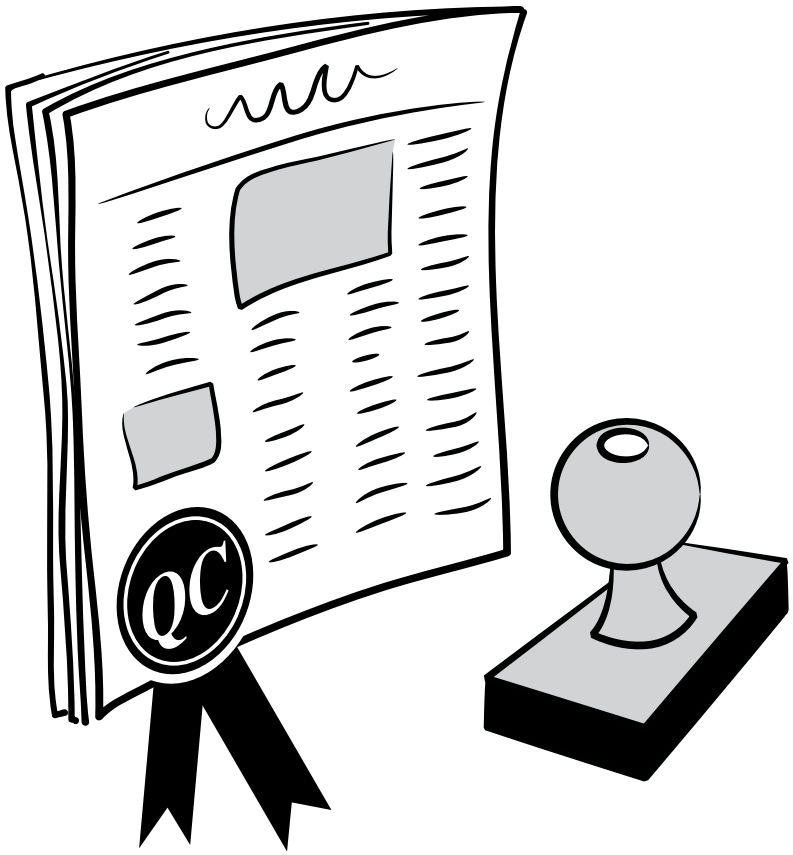

الفصل الثامن:

مراقبة جودة النص
تقنيات وأخلاقيات

مراقبة جودة النص شكلا ومضمونا: تقنيات وأخلاقيات

نيلز هانسون ومارك هنتر وبيا ثوردسن
ودرو سوليفان ورنا صباغ *
Nils Hanson, Mark Hunter, Pia Thordsen ,
Drew Sullivan and Rana Sabbagh

العملية إلى الآن:

-1 نكتشفُ موضوعاً.

-2 تتبلور فكرة الاستقصاء.

-3 نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

-4 نسعى للحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

-5 نسعى إلى مصادر بشرية.

-6 ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، تأليفها في قصة، وتدقيقها.

-7 نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

-8 مراقبة النوعيَّة/ الجودة لنتأكد من أن القصة صحيحة.

قُمتَ ببحث حول القصة، ونظّمتها وكتبتها. والآن دعنا نتأكد من أننا قمنا بما قمنا به بشكل صحيح قبل أن تنشر أو تذاع. وهذا الأمر يشمل مراقبة النوعيّة، أو بتعابير تقنية «التدقيق في الحقائق».

* رنا صباغ : مديرة تنفيذية لشبكة اريج ورئيس تحرير سابق لصحيفة الجوردان تايمز

أ. ما هو التدقيق في الحقائق؟

في أنحاء العالم، تشمل أفضل فرق الاستقصاء شخصاً - مُحرِّراً أو حتى مُدَقِّقَ حقائقَ متفرِّغاً - وظيفته أن يُرشد عملية التأكد من أن استقصاءً ما قد نُفِّذ وأُلِّفَ بشكل كامل. في حال أنجز التحقيق بدعم أريج فإن الشبكة توفر لكل مستقص مشرفاً يقوم بهذه المهام للتأكد من أن المنتج النهائي يضاهي بجودته أفضل المعايير العالمية المقبولة. وتُوجدُ أربعةُ مكونات لعملية التدقيق هي:

- الأولُ: التأكد من أنك، في الحقيقة، تعرض قصة حقيقية - ليس فقط قصة تكون فيها كل حقيقة صحيحة، بل قصة تضيفُ حقائقُها شيئاً إلى حقيقة أكبر. فإذا كان تفسير بديلٌ يعني أكثر مما يعنيه تعليلُكَ، فثمةَ أمرٌ خطأ في عملكَ.

- بعد ذلك، تتأكد من أنك تعرف مصدر أو مصادر كل ما يؤكد حقائق القصة.

- أثناء عملية التحقق من مصادرك، تُحَدِّدُ الأخطاءَ الموجودةَ في المفاصل المُعيَّنَة وتُصححها.

- وفي الوقت ذاته، تُزيلُ الضجة العاطفية من قصتك - الإهانات غير المبررة، العدوان أو العداء الذي شق طريقه إلى سردِكَ حين كنت مرهقا أو محبطاً أو خائفاً.

- نُكَرِّر: يجب أن تكون قصتك صحيحة، وعليك أن تزيل أو تُغيِّرَ المعلومات غير الموثقة، وأن تتأكد من أن لنبرة قصتك ما يُبرِّرُها.

تقول صديقتنا أريل هارت Ariel Hart، وهي مُدققة حقائق رئيسة في مجلة كولومبيا جورناليزم ريفيو Columbia Journalism Review: "لم أدقِّقْ أبداً بأي قصة خلت من الأخطاء، سواء أكان طول القصة خمسَ صفحات أو فقرتين". وتُضيف:

"وبصدق، بعض 'الأخطاء' التي أجدها تعود إلى اختلاف في التفسير ويقبل الصحفي أن يغيرها. كل الأخطاء تقريبا تمس مسائلَ موضوعيَّةٍ تتعلق بالحقائق: مثل عدم تحديد السَّنَةِ بالضبط؛ معلومات قديمة؛ خطأ في تهجئة الاسم؛

معلومات منشورة بشكل واسع ومأخوذة من مصادر ثانوية، ولكنها مغلوطة. وطبعاً هناك "الحقائق" التي تم انتزاعها من أرشيف ذاكرة الكاتب. وكثيراً ما تظهر الأخطاء حين يقول المؤلف: "لا تحتاج للتأكد من ذلك، أنا متأكد من أن ذلك صحيح".

ستقعُ في أخطاء. وكل واحد منا يقع في أخطاء. أحيانا يكون الخطأ في الطريقة التي تقول الأشياء بها، وأحياناً في جوهر ما تقوله. ومهما كان الخطأ فإنه مشكلة. والإعلاميون المحترفون يُصلِّحون هذه المشاكل، أما الصحافيون الهواة فإنهم يأملون أن لا يلاحظهم أحد. ولسوء الحظ، فإن شخصاً ما على الأقل يلاحظ ذلك دائماً، وهو عادة شخصٌ لا يكنّ لك المحبة. لذلك لا تحرج نفسك وكن مستعداً للاعتراف بأخطائك وتصحيحها. حاول أن تغير موقفك أو غيِّر مهنتك.

من المحتمل جداً أن لا يكون أحدٌ في مؤسستك قد دقَّقَ حقائقَ قصةٍ من قبل، وأن لا يكون أحدٌ قد دقّق حقائق إحدى قصصك بالتحديد. ولذا إليك كيف تعمل طريقة تدقيق الحقائق:

- أنت بحاجة لشخصين على الأقل - المؤلف، وأياً من كان يدقق في القصة. وعلى كلٍّ منهما أن يحتفظ بنسخة من القصة.

- أنظر في كامل القصة لتحصل على الصورة الشاملة. هل القصة متحيِّزة، أم منصفة؟ ألا يبدو أن فيها شيئاً مفقوداً؟ من، أو ماذا، يمكن أن يكون قادراً على تقديم صورة مختلفة؟

- بعد ذلك دقق القصة حقيقةً فحقيقة، سطراً فسطراً. إن المُدقق - محرراً، زميلاً، محامياً، أو مجرد صديق كفُؤ - يسأل عن كل حقيقة: "كيف عرفت ذلك"؟

- المؤلف يعطي مصدراً. إذا كان المصدر وثيقة، فسينظر كلا الطرفين في الوثيقة ليتأكدا من أنها مقتبسة بدقة. وإذا كان المصدر مقابلة، ينظران في مَحاضِر المقابلة، أو يسمعان التسجيل أو الأشرطة.

- إذا لم يتوفِّر المصدر، على المؤلف أن يجد واحداً. وإذا لم يجد مصدراً، يجب قَصّ المقطع.

- وبالتحديد، يتحدى مُدقق الحقائق تفسيرَ المؤلف لدوافعَ وأهدافِ وأفكارِ المُستَهدَف بالاستقصاء. وبشكل عام، يجب أن تُقَصّ هذه المادة. ورغم ذلك، إذا كان هناك توثيقٌ يؤكد واقعيتها - على سبيل المثال، رسائل أو يوميات تُوثِّق الحالةَ العقلية لفردٍ في لحظة معينة - يمكن أن تُضَمَّنَ.

كما ترى، ليست العمليةُ معقدةٌ. قد تبدو مملّةً كما صُوِّرت، ولكنها بعكس ذلك تماما. لأن القصة تُصبحُ، والعملية مستمرة، أكثر فأكثر واقعية، ويصبح أثرها واضحاً. والمُضِيُّ في العملية قُدُماً أيضاً أقل صعوبة من محاولة الدفاع عن نفسك، في قاعة محكمة أو أي مكان آخر، ضد أي تهمة بأنك لم تكن تعرف ما كنتَ تتحدثُ عنه.

ب. تدقيقُ الحقائقِ والقانون

يمكن لهذه العملية أيضاً أن تكون أساسَ مراجعةٍ قانونية - أي فحصاً نقدياً لما إذا كانت قصتك تنتهك قوانين التشهير أو تشويه السمعة. ففي كل نظام قانوني تقريباً، تُوجد معايير مبدئية للحكم على وقوع التشهير أو تشويه السمعة. وأهمها أن الشخص المُتَّهَم - الإعلامي، مصدر تم اقتباسه في القصة، أو الناشر - لم يقُل الحقيقة. ويحاسِبُ القانونُ أو فروعُه بشكل عام على نوعين من هذا الانتهاك:

1. في حال لم يجمعْ الشخصُ المتَّهَمُ برهاناً كافياً على ادعاءاته.

2. لعدم قدرته، أو لحماقته، لم يلتزم الإعلامي بالأسس المهنية الخاصة بالموضوعية تجاه الحقائق، أو أنه تجاهل أو أخفى معلوماتٍ ناقضت حُججه. وفي أفضل الأحوال كان مهملاً. وفي أسوئها، تصرّف الإعلامي بكرهٍ متعمد أو سوء نيّة.

في الممارسة، يُمكن لتفسير هذه المعايير أن يتنوَّع. ففي فرنسا، على سبيل المثال، فإن البرهانَ «الكاملَ والمتماسكَ»، الاختبارَ القاطعَ، هو فقط الذي يعد كافياً. ورغم ذلك، فإن «نيّة الإعلامي الطيِّبَة» - مدى جديَّته في الاستقصاء - تُعطى وزناً. وفي أي تشريع تقريباً، يمكن لأي إعلامي أعدّ نفسه بكفاءة أن يحوِّل محاكمة إلى إحراجٍ إضافيٍّ لخصمه. وعليه، في بريطانيا، استخدم نُقَّاد مطاعم ماكدونالد McDonalds للوجبات السريعة، الذين رفعت الشركة عليهم قضية تشهير، محاكمتهم كوسيلة ليعلنوا نتائج بحثَهُم عن ممارسات الشركة.

في لحظة من لحظات مهنتك، وكل ما كان الأمر أبكر كان أفضل، يجب أن تقضّي وقتاً في دراسة قانون وأحكام التشهير في منطقتك، وقراءة الأحكام والتحدث مع المحامين على الأقل، إلى أن تحصل على فهمٍ أساسي للنصوص

القانونية وكيفية تطبيقها. غرض هذه الممارسة ليس إخافة نفسك، بل رؤية المدى الذي يسمح لك القانون والتشريع بممارسة مهنتك. ويُوجد دائماً اختلاف بين ما يقوله قانونٌ على الورق، وبين ما يعنيه في الممارسة. والمساحة الموجودة بين هذين الوضعين هي منطقة حراكك. على سبيل المثال، في فرنسا، قامت المحاكم بجهود خاصة لحماية حق الإعلاميين باستخدام الهجاء والسخرية. ولذا، وفي ظل ظروف معينة، يوفر الأسلوب الهجائي حماية إضافية للمُستقصين.

إدمجْ هذه المعرفة في عمليتك لتدقيق الحقائق. أشطب المادة التي ستُسبب لك مشكلة لا فائدة منها، وجدْ طُرقاً تحتفظ بواسطتها بما تعتقد أنه مهم في النص، من خلال تقليص المخاطر التي ستكلّفك ثمناً باهظاً. لا تعتمد، بكل بساطة، على محامين ليقولوا لك أو لرئيسك ما يمكن أن ينجح. أظهرْ للمحامين أنك شريكٌ شغِفٌ مساوٍ لهم في لعبة معقدة. أعطهم أسباباً قويّة ليحبوا العمل معك. قد لا تحتاج أبداً إلى مساعدتهم في المحكمة، ولكن إن احتجتها، أشْعِرْهُمْ أنهم ذاهبون إليها ليكسبوا القضية.

ج . التدقيق في أخلاقيّات عملك

- لا تُسِئ استخدام قوة الإهانات

- شطبُ العدوانية غير المُبرَّرة من قصتك أمرٌ يجب أن تعتاد عليه: فترْكُ هذا الصخب في القصة يزيد مخاطرك القانونية، ويمكنه أن يُغضب ويُذلَّ من تستهدفه باستقصائك إلى حد رد الفعل العنيف. طبعاً، كثيراً ما يسخر الصحفيون من مُسْتَهْدَفيهم أو يهينونهم. ولكنه أمرٌ مختلف حين تفعل ذلك في افتتاحية؛ فالافتتاحية، بعد كل شي، رأيٌ، ولكل امرئ رأي. ولكن الأثر يكون أقسى بكثيرٍ عندما يكون الرأيُ جزءاً من كشفٍ استقصائي.

ويجب على الإعلاميين أن يكونوا حذرين جداً من سوء استخدام هذه القوة. فإذا قاد استقصاءُ إلى تُهَم أساسية ضد شخص ما، فليس من الضروري، عادة، إضافة إهانة شخصية لتلك التُّهَم.

في معظم الحالات التي رأيناها، يُصبحُ الإعلاميون جارحين حين يكونون مرهقين أو خائفين. فالإرهاق يُوَلِّدُ عقدة «أضرب أو أهرب» المرتبطة بسيكولوجية التوتر: وكذا العدوان، سواء أكان حقيقياً أو مُتخيَّلاً، بالنسبة لمُستهدَفَكَ أو لك نفسك. لا تكن ساذجاً فَتَشُكَّ في أن هذا الأمر لن يحصل لك: بل يمكن أن يحصل، وسيحصل. كُنْ حذراً من هذا الخطر. تأكد من أن ما تضعه في القصة ينجم عن خيارات واعية.

- أعْطِ المُسْتَهْدَفَ حقَّ الرَّد

لا تهاجم اطلاقا أشخاصاً في قصَّة دون إعطائهم فرصة ليردوا على برهانك. قد يقدمون توضيحاً سخيفاً. دعهم يفعلون ذلك. وقد يرفضون تقديم أي تعليق. قل للمشاهد إنهم رفضوا الرد، دون أن تقول إن هذا ذنبهم. فليس مطلوبٌ من أحدٍ أن يتكلم إلى الصحفيين، ورفض ذلك ليس علامة ذنب. (على عكس ذلك، لا تفترض أن الذي يريدُ أن يتكلم معك شخصٌ مُخلِصٌ وخَيِّر).

إننا نحضُّكَ على الاتصال بمصادر معادية أو مُستهدفين معادين مُبكراً، وفي الأغلب أثناء الاستقصاء، إلا إذا كان لديك سببٌ (أبعد من خوفِك) يجعلك تعتقد أنك ستتعرض لخطر نتيجة ذلك. وأكثر الأسباب أهمية لهذه الإستراتيجية هو أنه وحالما يشرح المُستهدَف وجهة نظره تبدو الفرضية فجأة مغلوطة. حصل هذا لنا، وأحياناً ضاعت علينا أسابيع أو أشهر من العمل.

- إجراءٌات تعزز احترام مصادرك

في التلفزيون السويدي أس. في. تي. SVT ، يحث رئيس وحدة الاستقصاء نيلز هانسون Nils Hanson إعلاميّيه على اتباع الإجراء التالي ليضمنوا أن يكون نقدُهُم مُبَرَّراً.

- أولاً، راجع القصة وضع سطرا تحت كل نقدٍ لشخصٍ أو لمنظمةٍ أو لشركة.

- إسأل نفسك هل تم إخبار الطرف المُنتقد بكل نقد وُجِّه إليه؟ إن لم يتم إخباره، أخبره، إلا إذا كان لديك سببٌ قويٌّ جداً كي لا تفعل ذلك. (مثل أنك ستُسجن أو ستُقتل).

- هل قام الطرف المنتقد بالرد على كل نقد؟ إن لم يكن قد فعل، فذلك يعني وجود خطأ ما. وكان يجب أن يتم الحصول على هذه المادة مُبكِّراً.

- هل وثَّق الإعلامي جهوده للحصول على جواب/ رد؟ تذكر أن عليك أن تجمع ذلك أثناء استقصائك.

- هل أُعطِي الطرف المُنتقد وقتاً معقولاً ليرد؟ فكلّما كان سؤالك أكثر تعقيداً، كلّما كان من حق الطرف الآخر أخذ المزيد من الوقت.

- هل الشخص الذي رد على النقد هو الشخص المعني؟ ستُدهشُ حين تعرفُ مدى استعداد إعلاميّ للاكتفاء بالتحدث مع سكرتيرة أو بوّاب صدف وأن أجاب على الهاتف مع أنه ليس لديه أي فكرة عمّا يسأل الإعلامي عنه.

- هل أُعطي الطرف المنتقد فرصة ليعرض قضيته بأفضل ما يكون العرض؟ إن لم يحدث ذلك، فأنت تدوس على حقوقه، وبذات القدر من الأهمية، قد تكون فقدت جزءاً مهماً من القصة.

- هل استجبنا لأي مطالب معقولة تقدَّم بها الطرف الذي أجرينا المقابلة معه ومفادها أن يتم إخباره مُقدَّما بكيفية إعادة تقديم إفادته؟ فمن المعقول لمصدر أن يسأل وأن يطلع على أي اقتباسات ستُستخدم في القصة، وأن يُسمح له بأن يُصحِّحها للدقَّة (وليس لإزالة اعتراف أو معلومات). فليس معقولاً لمصدر أن يطلب رؤية كل قصتك. لا تُعْطِ مصدراً هذا الحق أبدا، إلا في حالة نادرة جداً عندما تكون القصة مُركَّزة على ذلك المصدر، أو عندما يكون الموضوع مُعقداً جداً تقنيا بحيث يقلق المصدر من احتمال فهمه بشكل خاطئ دون انخراطه المباشر. (ينطبق هذا الأمر، على سبيل المثال، على مواضيع علمية مُعينة).

- إجراءات في مواجهة المصادر الخطِرة

درو سوليفان Drew Sullivan ، الذي قام بتغطية رائعة للجريمة المُنظَّمة في أوروبا الشرقية، وضع لائحة إجراءات يجب اتباعها وأنت تتكلم مع رجال عصابات. وهذه الإجراءات تناسب أيضاً الاتصال مع مصادر معادية في أي استقصاء:

من بين كل ما هو أعلاه، فإن أهم شيء، من وجهة نظرنا، أن لا تُظْهِرَ خوفاً. فالخوفُ يُشير للآخرين أنك غير متأكد مما تفعله، أو أنك لا تثق بنفسك. والخوف يُشيرُ أيضاً إلى أنك خَطِيرٌ، لأن الحيوانات الخائفة أو الناس الخائفين لا يمكن توقّع أفعالهم: فهم يُهاجمون بسهولة مثلما يهربون بسهولة.

والخوف، طبعاً، طبيعيٌّ عندما تكونُ في حضور مخلوق خطير. وإحدى الطرق للتعامل معه أن تعتبرَ هذا الشعور ظاهرةٌ تدوِّنها لإجراء تحليل أبعد لها لاحقاً. وهذا يجعل مشاعرك موضوعية، ويُمكِّنك من النأي بنفسك مسافة معينة بعيداً عنها.

في العراق، توخّت الزميلة ميادة داوود الحذر الشديد لدى رصد ومتابعة مصادر ميدانية خطيرة حين وثّقت - في تحقيقين منفصلين - ممارسات تنظيم القاعدة وخلاياه في تجنيد نساء وأطفال لتنفيذ عمليات انتحارية. وعن تحقيق الأطفال تقول ميادة: "أصعب شيء كان علي الالتزام به أثناء إجراء التحقيق، ضمان الحيادية لإظهار الحقيقة كما هي، ومحاولة لدق ناقوس الخطر لاستيعاب هؤلاء الاطفال وتأهيلهم، ودفع من لم يلق القبض عليهم للتخلي عن السلاح، وتنبيه المؤسسات الحكومية والمدنية إلى أهمية وضع استراتيجيات، تضمن القضاء على ظاهرة تجنيد الاطفال في العراق».

واضطرت الزميلة داوود لإخفاء هويتها الصحافية في مناطق الخطر، كما استعانت بصحافيين في عدة مواقع في العراق لجمع الحقائق والوقائع.

- أسلوب الشَّفافيَّة

وثمَّة أسلوبٌ آخرُ شبيه بمقاربة سوليفان، ولكنه أكثر شفافيّة وفاعليّة، اقترحته الحائزة على جائزة بوليتزر Pulitzer Prizes ديبورا نلسون Deborah Nelson. ففي كل مرحلة من مراحل استقصاءاتها، تشرح لكلَّ لاعب جديدٍ في القصة ما تفعله وما وجدته حتى الآن، وتطلب تعليقاً على كل اكتشاف تكتشفه.

استخدمت هذا الأسلوب لتروي قصة شرطي خلّف وراءه أثراً لدمارٍ طوال فترة عمله. ولأنها اتصلت به للتعليق على كل نقطة، قال حينما قرأت له تقريرها النهائي، قبل نشره، "تلك قصة عظيمة. وهذا بالضبط ما أشعر به".

سيعترضُ بعضُ قرّاء هذا الدليل قائلين إنه من المستحيل التعامل بأسلوبٍ

مُستقيم صادقٍ مع السُلطات أو أي مستهدَفين يتمتعون بالقوة في بلدانهم، ناهيك عن المجرمين. وإذا سألت "كيف لنا أن نتصل للتثبُّتِ من الاقتباسات قبل نشرها؟ ستنكر المصادر أنها قالت أي شيء! أو أنها ستقمع القصة قبل أن تُنشر"! نقول لك أنت تعرف الوضع في منطقتك أفضل مما نعرفه نحن.

ورغم ذلك، فإننا نعرف، من خبرتنا، أن للصحفيين تأثيرا أكبر على تلك الأوضاع مما يمكن أن يكونوا واعين له. وبالتحديد، إن تصرَّفت كأنما لك الحق والسلطة لتعمل بطريقة شفّافة، سيصدّقك العديد من مصادرك. وبالمثل، إن تصرفت كأنما أنت شجاع، ستكون مخاوفك أقل ظهوراً للآخرين.

وأيا كان الأسلوب الذي اخترته، تأكد من أنك تثق بأنه الأسلوب الصحيح، بعد أن تكون فكّرت فيه مليّاً. وستكون مصادرك على علمٍ بهذه الثقة، أو بغيابها.

د . استخدام الملف الرئيسي في تدقيق الحقائق

في الفصل الخامس، رأينا كيف يمكن للملف الرئيسي، أو مجموعة من الملفات التي تُغطي جوانب مختلفة من الاستقصاء، مساعدتك على تنظيم معلوماتك وتجديدها.

إذا كُنتَ قد جمعتَ الملف الرئيسي بشكل ملائم، فيجب أن يكون فيه مصدرٌ لكل حقيقة في قصَّتك. أنت لا تحتاجُ لإدراج كل مصادرك في القصة. ورغم ذلك، يمكنك، وفي حالات حسّاسة، أن تضع توثيقاً لمصدرك بترتيبٍ يجعل التدقيقَ أسهل.

وسيقول لك الملف الرئيسي، إن كُنت جمعته بشكل ملائم، أين المادة التي تريدها، لأنك تكون قد أشرت إلى المصدر في كل حقيقة من حقائق الملف. إعمل نسخةً جديدةً من كل وثيقةٍ تستخدمها، وضع الوثائق في رزمة بترتيب استخدامها. هذا الأمر ضروريٌ لمدقق الوثائق، ولك أنت أيضاً. وستجد موادك بشكل أسرع مما إذا بحثت عنها في ملفِّك الرئيسي، لأنه ستكون هناك دائماً وثائق لا تَستشهدُ بها في القصة.

لا تضحك، ولكن الطريقة الأسهل التي نعرفها للسير في هذه العملية هي أن تُحضِّرَ نسخةً ذات حواشٍ من القصة، مع وضع اسم المصدر في هذه الحواشي. هذا الفِعْلُ يستغرق وقتاً، ولكن أي شخص يريد دائماً أن يُوفِّرَ وقتاً يعاني في

النهاية. وذلك يجعل وضعَ الحواشي أمراً يستحق العناء في قصصٍ تتوقَّعُ أن يردَّ عليها المُستهدَفون.

إذا استخدمتَ هذا التكنيك، لا تكتف بنسخ أوصاف المصدر من ملفِّك الرئيسي ولصقها في الحواشي. فمن المفيد أن تأخذ لحظة، في كل مرَّة تستشهد فيها بمصدر، لتدقق في ما تكتبهُ ضد ذلك المصدر. تأكد من أنك لم تقم بإعادة صوغ أو تلخيص أو اقتباس بشكل غير صحيح. هذا الأمر يحصل معظم الوقت، وإذا شكى شخصٌ من القصة، ستجعلُكَ هذه الأخطاء الصغيرة تبدو مُهمِلاً.

تُوجد بضعُ حِيَلٍ لجعل وضع الحواشي والتوثيق أقل عبئاً. فإذا كان المصدر مُدرجاً في صفحة إنترنت، يمكنك أن تُدخل عنوان الإنترنت URL في الحاشية. (ننصحك بإنزال صفحات الإنترنت التي قد تحتاج إليها كبرهان وثائقي، قبل أن تُنشر القصة، لأن من السهل جداً تغيير موقع إنترنت، وإذا حصل ذلك، فقد تخسر برهانك. صحيفة "إنترناشنال هيرالد تريبيون" International Herald Tribune أنزلت بحكمةٍ موقعا كاملا مُكرَّسا لمُستهدَف باستقصاء قبل أن يُنشر؛ في اليوم الذي نُشر الاستقصاء فيه، تمت إزالة الموقع من الإنترنت.) يمكنك أيضاً تحميل وثائق في صفحة إنترنت وتُرسل وصلة link إلى مُدقِّق الحقائق، أو أن تضعها في قرصٍ مضغوط CD.

تأكد من أن أي وسيلة إعلام إلكترونية تستخدمها آمنةً. كان أحد أصدقائنا يطور قصة مهمة عن شركةٍ متعدِّدَةِ الجنسياتِ، ويستخدم موقعاً كمركز لتخزين الوثائق. التحق أحد إعلاميّيه بمنظمة أخرى، ونهبوا الموقع. لا تَدَعْ ذاكَ يحصل لك.

هـ . تأثيرات سيكولوجية مُتوقّعة للتدقيق في الحقائق.

ستؤثِّرُ عملية تدقيق الحقائق بكل شخصٍ مُنخرطٍ فيها، والسؤال الوحيد الذي يُطرح هنا: كيف؟ يمكن أن تكون التأثيراتُ متناقضة، لكن مع ذلك لا تُلغي نفسَها بنفسِها.

أولاً، إن تدقيقكَ لمعلوماتِكَ لتتحققَ من ادعاءاتك سيُحيي العواطف التي شعرت بها حين جمعت المعلومات أول مرَّة. فإذا كُنت، آنذاك، غاضباً أو خائفاً أو مُحْبَطاً، سيعاودك الشعور. وما يُدهش أكثر، أنك قد تشعر بالشفقة على مُسْتَهْدَفي تحقيقك؛ وعادةً ما يكون الخوف هو الذي يقبعُ خلف ذلك الشعور المُحدَّد.

من الحكمة تدوين هذه المشاعر. كما في عملية التغطية اليومية، فإن كتابة العواطف ستجعلها تتحول إلى مادة يُمكنكَ أن تُؤثر فيها وتتحكّم بها. وأحياناً، يمكنُكَ استخدام ما تكتبه في لحظات كهذه في القصة.

قد تُخطئ خطأً جوهرياً؛ والحل الأمثل في هذه الحالة هو التحقق من عملك حول النقطة المعيَّنة مرة أخرى.

في الغالب ستشعرُ، أو ستُدْفَعُ لتشعرَ، في لحظة ما من العملية، أنك أسأت فهم شيء. قد يكون هذا القلق الغريزي عائداً لأسباب عديدة، لكنها ليست صحيحةً جميعاً بالضرورة.

ورغم ذلك، يُحتمل أيضاً أن تكون قد اكتشفت الحقيقة بالفعل، ولكنك تعتبرها كريهة، أو أن تبعاتِها مُخيفة، إلى حد تفضِّل معه أن لا تُصدِّقها. (حين اكتشفت آن - ماري كاستريه Casteret Anne-Marie أن موظفين كباراً في الدولة الفرنسية كانوا يبيعون منتجات دم ملوَّثة بفيروس الإيدز، تساءَلت لفترة قصيرة إن هي غَدَت مجنونة).

مرة أخرى، الحل الأمثل هو أن تلقي نظرة قريبة أخرى على معلوماتك. إذا كانت المعلومات تُظهر أن العالم أكثر حزناً وأبشع مكاناً مما ظننت أنه ممكنٌ أبداً، فيمكنك أن تكون مطمئنّاً أن قصَّتَكَ قد تُغيّره.

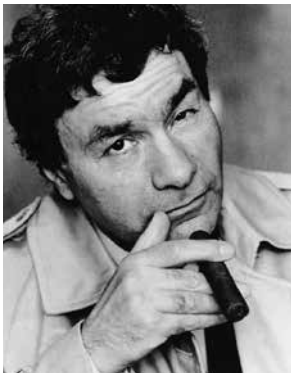

إذا وقعت في خطأ، اعترف به في أقرب وقت ممكن - حين تكون قد فهمت لماذا وقع الخطأ. ويمكن لتلك المعرفة أن تساعدك في العثور على أخطاء أخرى.

لاحظ من فضلك: يقعُ عديدُ الأخطاءِ لأن العقلَ سيسعى طبيعياً لملء فجواتٍ في القصة بالتوقعاتِ. (إذا كنت قد شاهدت أبداً التَّحَرّي كولومبو Columbo ، فإن أحد تقنياته المفتاحيّة هو أن يدعو المشتبه بهم ليفعلوا ذاك بالضبط). ومن المحتمل جدّاً أن يلعبَ عقلُكَ هذه الحيلة عندما تؤلِّف استقصاءك. وذلك يحصل عندما تقول لنفسك: "لا أعرفُ بالضبطِ ماذا حصل، ولكن لا بد وأن الأمرَ وقع هكذا". عادة، يكون ما حصل حقاً أكثر إثارة. فإما أن تقول للقارئ إنك تتوقّعُ، أو تعترف بأنك لا تعرف. إن لم تكن تعرف شيئاً، فلن تكون مُخطئاً بقولك ذلك، وستعزّزُ قيمة ما تفعله الآن.

أخيراً، سيغضبُ المؤلفُ ومُدقِّقُ الحقائقِ الواحد من الآخرَ. فهما يقومان بعملِهما في ظل ظروف ضاغطة جداً وبمخاطر عالية، وذلك لا يجعل الناس، عادةً، ألطف. ولهذا الأمر تبعاتُ جديّةٌ، ويجب أن تُأخذ أسبابه وعلاجاته بجديّة أيضاً.

قد يشعر المؤلف أن كلَّ نقدٍّ لحقائقه وتفسيراته خيانةٌ. وفي مستوى آخر، قد يشعر المؤلف بوعي بأن مُتَلَقّيهِ الأول، مُدقّقُ الحقائق، إما لا يستطيع، أو يرفض، تصديق القصة. أو، قد يكون المؤلف مندمجاً في القصة، ويشعر أن كل حقيقة من حقائقها محفورة في جسده. وطبعاً، يمكن كشف هذه العواطف والتعامل معها مباشرة.

قد يقلقُ مُدقّقُ الحقائقَ لأن الإعلامي قام بعمل غير جادٍّ، أو لأنه مشدودٌ جداً لعواطفه، وغير مستعد لتحسين العمل. ومثلُ هذا الصراع حتميٌّ، ولكنه سيكون أسوأ بكثير إن لم يلتزم الطرفان بجعل القصة أفضل ما يمكن . فإذا لم يستطع أي منهما، أو كلاهما، لأسباب تتعلق ب"الأنا" المضخمة أو الخوف أو العداء الشخصي، أن يثقا الواحد بالآخرً للوصول إلى ذاك الهدف، فعليهما أن لا يعملا معاً.

ولذا من الجوهري أن يعرف الإعلاميُّ، في بداية المشروع الاستقصائي، مَنْ سيدقق حقائق القصة، وكيف سيعملان معاً. لا تترك هذه العلاقة إلى الدقيقة الأخيرة. لأنها إن أخفقتْ فيمكنها أن تُضَيِّعَ المشروع.

الفصل التاسع:

انْشُرْهَا/ بثّها

انْشُرْهَا/ بثّها

مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

1. نكتشفُ موضوعاً.

2. تتبلور فكرة التحقيق.

3. نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

4. نسعى إلى الحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

5. نسعى إلى جمع مصادر بشرية.

6. ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، وتأليفها في قصة، وتدقيقها.

7. نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

8. مراقبة النوعيَّة/ الجودة للتأكد من أن القصة صحيحة.

9. ننشرُ القصة، وندعمُها وندافعُ عنها.

صرفتَ إلى الآن وقتاً وجهداً ثمينين في تعريفِ قصةٍ مهمةٍ وإثباتها.

صرفتَ إلى الآن وقتاً وجهداً ثمينين في تعريفِ قصةٍ مهمةٍ وإثباتها. والآن ستنشرُها بطريقةٍ تثيرُ أكثر ردود فعل ممكنة وحراكا.

لماذا؟ كي لا يستمِرَّ شيءٌ لا بُدَّ أن يتوقف، أو يتغيَّر. وأثناء هذه العملية، قد يكون عليك الدفاعُ عن عملك أمام الرأي العام (ناقشنا من قبلُ كيف تعد نفسك لتدافع عن عملك في المحاكم). وسواء دافعت عنه أم لا، يجب عليكَ أن تدعم موقفك وتعدّ نفسك لأسوأ الاحتمالات.

لماذا؟ لأن الإعلاميَ المنعزلَ سيخسر دائماً. في أفضل الأحوال سيتّعرضُ للتجاهل، فيظلُّ غير فاعل. وفي أسوأ الأحوال، سيُعاقب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تؤكد دراسات مثل "صحافة الغضب" The Journalism of Outrage، أن أفضل عمل نعرفه حول كيفية نجاح التغطية الاستقصائية، يكمن في إقامة تحالفات وجمع حلفاء لإنجاح المشاريع الاستقصائية.

أكثر من ذلك، يشملُ الاستقصاءُ استثماراً في الوقت والمال والطاقة أكثر من التغطية التقليديّة. ومن الغباءِ الصارخ أن لا تقدم على خطوات لضمان أفضل عائدٍ لذلك الاستثمار. في الحد الأدنى، يجب أن تجني وسيلةُ الإعلام أكبرَ قدرٍ من الامتياز والإعجاب من عملها الاستقصائي، وأكبر قدر من وضوح الرؤية لجمهورها؛ كما حدث في تحقيق الزميلين حنان كسواني من صحيفة الغد الأردنية ومحمد الفضيلات من موقع البوابة الإلكتروني حول أفران شعبية تستعمل وقود سيارات مستعملا، مما يضر بالبيئة والمستهلك. ويمكن إقامة الدليل على أن وسائل الإعلام التي تقدم معلوماتٍ غنيَّةً ومُحْتَوىً مستقلاً لقرائها ومستمعيها ومُشاهديها تُحقِّقُ فائدة أوفرَ من وسائل الإعلام التي لا تفعل ذلك. تأكَّد أن مُشاهديكَ يُقدِّرون قيمة ما يحصلون عليه.

تاليا، خطواتُ الحد الأدنى التي يؤخذ بها عند النشر والدفاع والدعم:

1- النشر/ البث

- إضمنْ أن القصةَ مُحرَّرَةٌ بشكل جيد. إذ قد يُدمِّرُ المحررون غير الخبراء بالاستقصاء أثر قصة بقَصِّ الحقائق. فكن مستعدَّاً للقتال لما هو مهمٌّ، وللتنازل عمّا ليس مهمَّاً.

- إضمنْ أن القصة مُوضَّحةٌ فوتوغرافيَّاً وبيانياً بشكل ملائم. فالصور أو الرسوم البيانيَّة الضعيفة أو الغائبة ستجعل القصةَ عصيَّةً على الفهم وأقلَّ جاذبيَّةً.

- إضمنْ أن تحملَ القصةُ عناوينَ جيدةً.

- لا تدعْ مُحرِّراً يكتب عنواناً يسيء تمثيل عملك أو يُعلنَ شيئاً ليس في القصة.

- قاتل لتحصَلَ على الحد الأقصى من لفت الانتباه والمكان الأفضل في وسيلة الإعلام لقصَّتك.

2. الدفاع في المنطقة العموميَّة

عندما تُنشر قصَّتك، أخبر المصادر الصديقة الأساسية، وتأكد من حصولهم على نسخ منها أو وصلات في الإنترنت ليُطلِعوا أصدقاءهم عليها. وافعل الشيء ذاته مع برلمانيين أو شخصيات سياسية مهتمّة بالمسألة.

قبيل النشر بقليل، تأكد من استلام زملائك في وسائل الإعلام أو المنظمات غير الحكوميَّة NGOsنسخة عن القصة ووثائق أساس استُشهد بها في القصة. فهم لن يكونوا قادرين على الحصول على هذه الوثائق بأنفسهم في فترة قصيرة، حين يحتاجون إليها، وسيكونون مُترددِّين في الاستشهاد باستنتاجاتك دون دليل.

رتِّب مواعيدَ لمناقشة القصة في منتديات جماهيرية (وسائل إعلام أخرى، جامعات، جمعيات مواطنين، إلخ.).

توقَّع هجماتِ خصومِكَ المضادةَ، بناء على ردود أفعالهم إلى الآن (التي قد يكرِّرونها) وجهِّز قصصاً جديدةً تهدم دفاعاتهم. استخدمت آن- ماري

كاستريه هذا التكنيك بنجاح كبير في فضيحة الدم الملوَّث، وكذلك حنان الكسواني عندما حاول نقيب أصحاب المخابز دحض نتائج تحقيقها في حلقة بث تلفزيوني مباشر. مقابل كل اتهام كانت تخرج الأوراق ونتائج الفحوصات التي أجريت على عينات من العجين، والسناج.

أما جمعية المستشفيات الخاصة في الأردن فاكتفت - بغضب- بإصدار تصريحات تؤكد على نزاهة قطاع الطب وفرادته في المنطقة، في رد غير مباشر على تحقيق مصعب الشوابكة الجريء "أسرّة سوداء"، الذي كشف فيه حالات متاجرة وسمسرة داخل هذه المنظومة - من سيارات أجرة إلى العيادات والمختبرات- لا سيما مع مرضى عرب.

3. الدعم

جهِّز بياناً صحفيًّاً عن القصة يُوضِّحُ استنتاجاتها الأساسية ببضع جُمل. وزِّعه على نطاقٍ واسعٍ حين تُنشر القصة.

فَكِّرْ بنشر القصة، بشكل متزامن، مع وسيلة إعلام غير مُنافسة، في الخارج أو في قطاع إعلامي آخر (مثل أن تكون مطبوعة إذا كنتَ تعملُ في راديو أو العكس بالعكس).

أخبر منتدياتِ الإنترنت أو مجموعاتِ المواطنين ذات الصِّلة بالقصة بعد نشرها.

وفي الختام

سواءً ظهرت قصَّتك في وسيلة إعلامية كبيرة أو صغيرة، تأكَّد أن تلحظَها الجهات التي تُعد القصة مهمَّةً بالنسبة لها. فإذا لم تُحقق نتائج أخرى، فسيشعرون على الأقل أن شخصاً ما اهتمَّ بقصتهم وحاول تسليط الضوء عليها بهدف تحسين الوضع القائم.

خُذْ وقتك وتمتَّع بردود الفعل على عملك. استمعْ للنقد، واستفدْ منه. سيعامُلُك بعضُ الناس كنجم، مثلما حصل مع أغلب الزملاء والزميلات العرب ممن أنجزوا تحقيقات استقصائية بعد تلقيهم تدريبات على منهجية عمل الشبكة: استخدام أسلوب الافتراض كأساس للقصة التي تود بحثها. وفي حالات أخرى قدّمت وسائل إعلام منافسة عرض عمل مثير للانتقال إليها بهدف نشر ثقافة الصحافة الاستقصائية بعد التخرج مما

أسموه "مدرسة أريج".

إذا احتجتَ أن تعملَ على أمرٍ مُختلفٍ، إفعل ذلك. ربما تريد تغيير مناطقَ أو قطاعاتِ عملك. وربما تريد أن تدرس شيئاً يقود إلى نتيجة، بدلاً من شيء لا يقود إليها. تذكَّر دائماً أنك مع كل استقصاءٍ جديدٍ ستغدو أقوى وأكثر خبرةٍ.

وأين ما حللت، خُذْ طرق عملك المنهجية معك، وستنجح. نحن نعرف ذلك، لأننا مررنا بذات التجربة الثرية.

حزمة نصائح للمشرفين ومسؤولي فرق الاستقصاء

نيلز هانسن:

تكيّف مع التحديات الصعبة

عليك أن تبني فريقا استقصائيا قويا

كن موضوعيا ودقيقا خلال جمع الحقائق ومعالجتها

يفضل أن ترسل صحفيين اثنين لإجراء مقابلة واحدة لأنهما سيشجعان بعضهما أثناء المقابلة لطرح الأسئلة المهمة، ويذكّر كل منهما الآخر بالحقائق الواجب تقصّيها مع الضيف.

تستطيع تقسيم الأفكار تدريجيا من الأصعب إلى الأسهل.. إن كنت مطالبا بعدد كبير من التحقيقات في السنة الواحدة، يمكنك تقسيم الخطة السنوية بين التحقيقات السهلة والصعبة، فالتحقيقات السهلة لا تستهلك وقتا ومالا كما هو الحال مع الصعبة.

إذا كنت رئيسا لفريق من الصحفيين الاستقصائيين، يفضل أن تجلس مع الصحفي وتحاوره بفكرته بمنتهى الصرامة لتتأكد من صحتها وتمكنه منها.

أثناء هذا النوع من الاجتماعات بين الصحفي ورئيس فريق التحقيقات،

يفضّل وجود ما يسمى ب»محامي الشيطان»: وهو المحرر المسؤول عن التشكيك بالفرضية وبإمكانية تنفيذها وتمكن الصحفي منها. وبهذا فهو يدفع الصحفي لشرح فرضيته بالشكل الأمثل وتجويدها قبل بدأ العمل.

أثناء مناقشة الفرضية الخاصة بالصحفي، يجب محاولة اكتشاف اذا ما كان هناك أي روابط ضعيفة بين عناصر التحقيق المختلفة. والعمل على تقويتها.

يفضل مواجهة المسؤولين مبكرا ببعض الحقائق التي وصل لها التحقيق. بذلك نتفادى مفاجآت غير سارة. وفي ذات الوقت نختبر تفسيراتنا وافتراضاتنا المبدئية. إضافة إلى كون المواجهة المبكرة تمثّل فرصة لكشف كذب المسؤول.

قبل بدء التحرير. يجب إجراء ما يعرف ب»اجتماع منتصف الطريق». وهو لقاء يجمع الصحفي بمسؤوله لمعرفة ما إذا كان فعلا على الطريق السليم. بحوزته الوثائق اللازمة وأجرى المقابلات كافة.

بعد تجهيز النص المبدئي. يجب أن يجري المحرر الذي يلعب دور»محامي الشيطان» ما يسمى»التسطير»: مراجعة النص المبدئي مع الصحفي وتحريره سطرا بسطر. للتأكد من أن النتائج التي خلص إليها التحقيق كافية. مسندة بوثائق. ثم نتأكد إذا كان ثمة معلومات ناقصة يجب ذكرها.

يجب أن يفكر الصحفي في طبيعة الانتقادات التي يمكن ان توجه لمادته قبل النشر. ومحاولة إغلاق الثغرات الممكن أن ينفذ منها المنتقدون للتشكيك بمادته وإضعاف محتواها.

مارك هنتر:
اسأل الصحفي ثلاث أسئلة قبل الموافقة على تحقيقه:

- كم تقدر ميزانية عملك؟
- متى تتوقع الانتهاء منه؟

- ما المردود الذي ستجنيه مؤسستك من هذا التحقيق؟ هل ستزداد نسبة الإعلان وهل سيضيف التحقيق شركاء جدد للمؤسسة؟

يجب العمل على تغيير فكرة الصحفي عن نفسه من مجرد جامع معلومات، وإقناعه أن الأمر يتعلق أيضا ببقاء المؤسسة.

على الصحفي أن يحرص على التشبيك مع مؤسسات المجتمع المدني، المنظمات غير الحكومية والمدونين قبل نشر التحقيق ليشكلوا شبكة من الداعمين والمؤازرين لما توصل له التحقيق.

تاريخ الاستقصاء يقول لنا: «الصحفي المعزول يخسر دائما».

ينصح الزملاء ببناء قواعد بيانات من خلال ما يجمعونه من معلومات لتحقيقهم، وعدم التفريط بما حصلوا عليه بمجرد النشر.

- توني ستارك عن شروط التصوير السري:

لدى عرض الفيلم المصور بطريقة سرية يجب الإشارة على الشاشة ان التحقيق قد صور بكاميرا مخفية

أن تكون قصة آنية متفاعلة

أن لا تكون مطروقة في وسائل الإعلام

تحتوي على جانب إنساني قوي ومهم جدا

تناقش قضايا لها علاقة بمؤسسات مجتمعية

مراجعة الأنظمة والقوانين في البلد التي تعمل فيها (فبعض قوانين الدول تعتبر ذلك مرفوضا، فيما لا تنص قوانين أخرى على منع ذلك)

لماذا التصوير بالتخفي في تحقيق الزميلة حنان خندقجي كشف تعرض أطفال داخل مراكز لذوي الإعاقة الجسمية للاعتداءات والضرب؟ (الأردن)

غالبيتهم لا يستطيعون شرح معاناتهم

هناك قصص سابقة مختلف عليها.

الفصل التاسع:

الذهاب إلى المراكز للتأكد من الموضوع عبر الزيارات الميدانية ينطوي على احتمال كبير بأن تقوم إدارة المراكز بإخفاء الحقائق. وهذا ما حدث بالفعل.

أن يكون هناك دليل واضح ومتواصل على وجود استغلال أو انتهاك أو اساءة، في أكثر من مركز واحد من مراكز الرعاية.

نرحب بك مرة أخرى في شبكة أريج التي تعمل في العالم العربي منذ عام 2006 من أجل تعزيز مهارات جيل جديد من صحافي القرن الواحد والعشرين باتباع منهجية عمل «هجينة» تزاوج فضلى الممارسات الاستقصائية في العالم الغربي الذي سبقنا كثيرا، مع واقعنا المهني، واحتياجاتنا الإعلامية، وثقافتنا العربية والموروث الديني، والثقافي، والاجتماعي.

نتمنى حظا سعيداً لجميع الإعلاميين العرب الذين قرروا العمل وفق منهجية أريج.

الفصل العاشر:

مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين

مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين

المحامي محمد قطيشات

محامي متخصص في قضايا المطبوعات والنشر

قبل الغوص في "مهنة المتاعب" على الصحافي بشكل عام والاستقصائي على نحو خاص أن يتمتع بثقافة قانونية. كقاعدة عامة: "لا يعتد الجهل بالقانون عذرا لمن ارتكب أي جرم" بحسب قانون العقوبات الأردني وأغلب النصوص القانونية العربية.

تبقى الثقافة القانونية مهمة لآي صحفي لأنها تعرفه بحقوقه فيستطيع ممارستها إلى الحد الأقصى دون خوف. كما تساعد على توجيه أسئلة دقيقة وتضمن عدم تجاوز حقه أو التعدي على حقوق الآخرين. بحسب ما تعلّم أغلب الإعلاميين العرب - الذين دربتهم في دورات شبكة أريج- فإن معرفة حقوقهم تساعدهم على إبداء رأيهم. وتعد أول وسيلة للدفاع عن النفس إذا تعرضوا لاتهام ما أو منعوا من دخول وزارة ما. وليس سهلا استشارة قانونيين حول كل صغيرة أو كبيرة خاصة عند تنامي ضغط العمل. أضف إلى ذلك أن أغلب المؤسسات الإعلامية العربية، بخلاف نظيراتها الغربية، لا تفرغ ضمن كادرها أي محام متخصص في شؤون الإعلام.

وقبل الدخول في هذا الدليل التدريبي لا بد من ذكر أهم المعايير التي يجب الالتزام بها في وسائل الإعلام ومنها الصحافة المكتوبة:

1. توثيق المعلومات، ومراعاة الدقة في نشرها، والالتزام بحق الرد.
2. عدم نشر أخبار مبهمة أو مبالغ فيها.
3. احترام الحياة الخاصة للمواطنين.
4. احترام الأديان والعقائد وعدم إثارة النعرات العنصرية والطائفية.
5. عدم نشر صور فاضحة أو استخدام ألفاظ مبتذلة.
6. مراعاة أدبيات نشر الجريمة بشكل عام، خاصة عندما يكون المجني عليه طفلا.
7. فصل الرأي عن الخبر.
8. الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يملك جزءا منها.
9. الدقة والموضوعية والنزاهة.
10. حق الرد.

الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.

وبما أن الصحافة الاستقصائية هي الصحافة القائمة على توثيق المعلومات والحقائق باتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة، بحسب شبكة أريج. ولأن الصحافة الاستقصائية تهدف إلى كشف الأخطاء والتجاوزات كون الموضوع المراد كشفه يهم الناس أو المجتمع ولأن هدف الصحفي من خلالها يكون الوصول إلى الحقيقة وبالتالي كشف الجهة المسؤولة عن استمرار الأخطاء وليس البحث عن النجومية الشخصية.

فلا بد في هذا الدليل من التركيز على مرحلتين:

الأولى: مرحلة الاستقصاء والتحقيقات والحصول على المعلومات.

الثانية: مرحلة نشر المادة الصحفية الاستقصائية بعد إعدادها وصوغها بأسلوب صحفي.

المرحلة الأولى:

البحث عن المعلومات:

1. على الصحفي الامتناع عن الحصول على المعلومات بطرق غير مشروعة. فسرقة المعلومات من مصادرها أمر يعاقب عليه القانون، بخاصة إذا كانت مصنفة سرية.

2. يجب التفريق بين نشر أصل الوثائق التي صنفت على أساس أنها سرية وبين نشر مضمون هذه الوثائق. نشر أصل الوثيقة السرية أو صورة عنها، يعاقب عليه القانون ولكن نشر مضمونها فإنه جائز، لا سيما وأن للصحافي الحق في كتمان مصدر معلوماته.

3. على الصحفي الابتعاد عن انتحال الشخصية: وهنا يجب الانتباه إلى طبيعة الشخصية المنتحلة، فانتحال صفة رسمية مثل شرطي أو موظف هو أمر معاقب عليه، ولكن القانون بذات الوقت لا يعاقب على انتحال صفة مريض مثلاً إلا إذا كان العمل الذي يقوم به بموجب الشخصية المنتحلة معاقبا عليه قانوناً مثل انتحال صفة متسول، فالتسول معاقب عليه قانوناً.

4. على الصحفي الامتناع عن تصوير أي شخص دون الحصول على إذنه بالتصوير وكذلك الحصول على إذنه بالنشر، مع العلم أنه يحق الصحفي تصوير الشخصيات العامة أو الأحداث العامة دون إظهار تلك الشخصيات بمظهر يحط من احترامها وسمعتها وكرامتها.

5. على الصحفي تحري الحقيقة والمعلومات الصحيحة، على أن القانون ينظر أيضاً إلى مقدار الجهد الذي يبذله الصحفي بحسن نية في السعي وراء المعلومات، إذ يجب على الصحفي بذل العناية والحرص وواجب التمحيص والتدقيق على المعلومات، وهذا الأمر أحد أهم معايير حسن النية التي يسعى القضاء لاستظهارها خلال نظره لأي قضية إعلامية معروضة عليه.

6. يحظر على الصحفي قبول رشاوى مهما كان مصدرها أو نوعها.

الرشوة جريمة يعاقب عليها القانون بغض النظر كان الصحفي راشٍيا أم مرتشٍيا. ويجب الانتباه إلى مسألة شراء المعلومات وهو القالب الذي توضع فيه الرشوة عادة في الصحافة الاستقصائية وهي مسألة يتحمل الصحفي

مسؤولية المخاطرة في اتباعها إذا تمكنت النيابة العامة من إثبات الصحفي بالقيام بها.

توثيق المعلومات: وهو ما يسمى قانوناً بإثبات "صحة المعلومات"

1. على الصحفي تحديد المصادر بكل وضوح. فكل معلومات غير معرفّة يجب أن تدعم على الأقل بمصدر أو مصدرين.

2. على الصحفي السعي لتوثيق المعلومات: القانون يلزم الصحفي بتقديم الأدلة القانونية على صحة المعلومات الواردة في المادة الصحفية الاستقصائية. وبدون هذا الإثبات يعرض الصحفي نفسه للمسؤولية القانونية.

3. القانون لا يأخذ بالصور الفوتوستاتية (نسخة طبق الاصل) كدليل كامل في الإثبات، وإنما يجب أن تدعم بدليل أو قرينة أخرى مثل شهادة شاهد معين. في حال تعذر الحصول على الأصل لأي سبب كان مثل كونه سريا، يجوز للصحفي الطلب من المحكمة جلب تلك الوثيقة من مصدرها. ويستخدم هذا الحق عادة في الحالات التي يكشف عن فساد مالي أو إداري معين بجهة حكومية معينة بموجب تقارير تحقيق رسمية مثل تقارير لجان أو دوائر مكافحة الفساد أو الرقابة والتفتيش.

4. يمكن استخدام التصوير (الفوتوغرافي أو الحي) والتسجيل الصوتي المباشر من قبل الصحفي كدليل استئناسي حيث لا يعتبر القانون مثل هذا التسجيل دليلا قانونيا كاملا، وإنما لابد من تدعيمه بدليل قانوني آخر مثل شهادة الشهود أو أي دليل مادي كامل.

5. للصحفي إثبات صحة المعلومات وتوثيقها بأي دليل قانوني، وهنا لابد من الانتباه إلى أن يكون هذا الدليل منتجا أي أن يكون فعلا من شأنه إثبات صحة المعلومات أو الوقائع التي تتضمنها المادة الصحفية الاستقصائية.

6. يحق للصحفي كتمان مصدر معلوماته، لكنه الوحيد المسؤول أمام القانون عن مصداقية المعلومات وصحتها.

المرحلة الثانية: نشر المادة الصحفية الاستقصائية بعد إعدادها وصوغها بأسلوب صحفي.

أولاً :النزاهة، الحياد، الموضوعية والتوازن في عرض المادة الصحفية الاستقصائية:

جرم القانون مخالفة النزاهة والموضوعية ،وعدم احترام الحقيقة والحياة الخاصة للناس. في الحقيقة لا يمكن وضع معيار منضبط لفكره التوازن أو الموضوعية.

كيف يتجنب الصحفيون مخالفة النزاهة والتوازن والموضوعية؟

1. عبر بذل الجهد والتحري عن صحة المعلومات، إذ إن القضاء يتوقع من الصحفي بذل جهد في التحري عن المعلومات التي يحصل عليها وأن يعرض آراء مختلف الأطراف بشكل محايد، وأن يتثبت من صحة المعلومات الواردة في المادة الصحفية.

2. عبر التذكر أن القضاء يقيم علاقة تبادلية بين صحة المعلومات ودقتها، وبين النزاهة والتوازن والموضوعية. كلما كانت الحقائق الواردة في المادة الصحفية صحيحة كلما كانت تلك المادة موضوعية ونزيهة ومتوازنة.

3. كذلك يفرض القضاء على الصحفي عدم المبالغة في عرض الخبر أو استخدام عبارات توحي للقارئ بمدلول مختلف ،أو أن يستعمل الكاتب عبارات تدل على التهكم والسخرية في غير مواطنهما المباحة.

4. لا بد من إثبات أن الأقوال أو الآراء المنشورة صادرة عمن أخذت منه:

يقرر القضاء في كثير من أحكامه أنه يجب على الصحفي أن يقدم لقاضي الموضوع الأدلة القانونية لإثبات أن الأقوال والآراء المنشورة في المادة الصحفية هي صادرة عمن نسبت إليه، وبخلاف ذلك ،إن نشر مثل تلك الأقوال والآراء مخالف للتوازن والموضوعية والنزاهة.

5. لا بد من نشر ذات الأقوال و الآراء وبذات المقاصد والمعاني وأن توضع بذات القوالب والمعاني وأن تستخدم على الوجه والغاية التي أخذت من أجلهما.

بعد أن يثبت لدى قاضي الموضوع أن الأقوال أو الآراء أو حتى التعليقات صادرة عمن نسبت إليه، فإنه يبحث في الطريقة التي وضعت بها تلك الأقوال أو الآراء

أو التعليقات وفيما إذا كانت بذات الألفاظ والعبارات ،وما هي المواضع التي أسقطت فيها، وهل تهدف إلى ذات المعاني التي يريدها من صدرت عنه أم أنه قد تم استغلالها في مواضع أخرى؟

ويعتبر القضاء أي تحريف لحقيقة الأقوال والآراء والتعليقات، أو وضعها في غير القالب أو المعنى الذي أراده صاحبها فعلاً مجرماً لأنه يخالف النزاهة والموضوعية والتوازن.

ويلحق بهذه الأفعال أيضا نشر جزء من التعليقات أو الآراء دون نشرها كاملة بحيث يفهم منها معنى آخر غير المعنى الذي يريده صاحبها أو لا يعبر عن رأيه بشكل كامل.

أو حتى نشرها في مواضيع أو تحقيقات أخرى غير الذي أخذت من أجله أساساً.

5. لا بد من طرح كافة الآراء والردود بشكل محايد:

يتطلب القضاء في العديد من قراراته أن يتم أخذ كافة الآراء المعنية أو الردود الواردة عليها بشكل متوازن بحيث ألا يُغيّب رأي ذو علاقة بالموضوع عن التحقيق الوارد في المادة الصحفية.

والحياد المطلوب في هذا المقام هو إتاحة ذات الفرصة والمساحة لكافة الآراء ودون أن يكون هناك أي تعليق على أي منها.

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن هناك بعض الآراء من غير الضروري أخذ الردود عليها من الأطراف المعنية الأخرى، وذلك في الحالات التي تكون المادة الصحفية هي مادة نقدية تتوافر فيها شروط استعمال حق النقد. في هذه الحالة لا يعيب المادة الصحفية قانوناً عدم أخذ رأي أو رد الموظف العام أو من في حكمه. مثلاً إذا كانت المادة الصحفية تنتقد أداءه الوظيفي، طالما كانت الواقعة صحيحة وثابتة وتهم المصلحة العامة واستخدمت فيها العبارات المتلائمة مع الموضوع وكانت عبارات النقد موجهة أساساً لعمله لا لشخصه قدر الإمكان وصيغت تلك المادة بحسن نية.

6. يجب عدم نشر الأقوال والآراء التي أخذت عن طريق الحيلة والخداع.

قد يلجأ صحافيون احيانا للتنكر عند إجراء التحقيقات الاستقصائية من أجل أخذ أقوال يصعب أخذها إذا علم الشخص أنها ستنشر في الصحافة. وفي

مثل هذه الأحوال التي تأخذ فيها الأقوال بالحيلة والخداع لا بد أن يقف الصحفي وقفة تفكير متأنية قبل نشرها لأن هناك العديد من القرارات القضائية التي تجرم مثل هذا النشر، وتعتبره نوعا من عدم التوازن وانتهاك حرمة الحياة الخاصة للمواطنين.

ويلحق بهذا الالتزام واجب آخر وهو عدم نشر الصور دون أخذ الموافقة على النشر وفي هذا المجال لا بد من مراعاة القواعد القانونية الواردة في قانون حق المؤلف النافذ، إذ يعتبر القضاء المادة الصحفية التي تخالف أحكام التشريعات السارية مادة صحفية غير موضوعية وغير متوازنة.

7. يحظر نشر المعلومات غير الصحيحة.

يجب عدم نشر المعلومات غير الموثقة بموجب بينات قانونية كافية. (سلامة الوثائق)

يقيم القضاء في العديد من قراراته علاقة تبادلية بين صحة المعلومات وبين النزاهة والموضوعية، فكلما كانت المعلومات أو الوقائع الواردة في المادة الصحفية صحيحة كلما كانت متوازنة وموضوعية.

ولذلك فإن القضاء يقر بحق الصحفي في إثبات الوقائع الواردة في المادة الصحفية ولكن بذات الوقت يجب أن تكون البينات التي سيقدمها الصحفي هي بينات قانونية بالدرجة الأولى وأن تكون كافية لإثبات الوقائع المنشورة.

-8 في المواد الصحفية الخبرية :

يجب تحري الدقة عند نشر الأخبار (دقة الخبر).

تحري دقة الخبر يرتبط ارتباطا وثيقاً بالتوازن والموضوعية من وجهة نظر القضاء تماماً كصحة المعلومات. يعتبر القضاء أن تحري دقة الخبر قبل نشره، واجب على الصحفي وعلى المطبوعة أيضاً بحيث يجب أن تقدم للقارئ ما يتفق والحقيقة.

عدم تجهيل الخبر (يجب نسبة الخبر إلى مصدره):
يعتبر القضاء تجهيل الخبر خروج عن الموضوعية والنزاهة، وتجهيل الخبر يعني عدم نسبة الخبر إلى مصدر يمكن التحقق من صحته عن طريق الرجوع إليه، أو حتى مصدر معروف بالوصف دون الاسم ويرى الصحفي أن من حقه الحفاظ على سريه المصدر، ويعتبر عدم إسناد الخبر إلى مصدر من أهم العيوب المهنية التي يمكن أن يقع فيها الإعلاميون وأهل القلم.

ثانياً: الذم والقدح والتحقير وحق النقد:

جرّم القانون جرائم الذم والقدح الموجهة لأحاد الناس وللموظف العام وللهيئات المعنوية وبذات الوقت أباح حق النقد بشروط معينة.

كيف يتجنب الصحفيون الوقوع في الذم والقدح وكيف يستخدمون حق النقد؟:

يجب التفرقة في مجال الذم والقدح بين حالتين: حالة فيما إذا كان الشخص موضوع المادة الصحفية من آحاد الناس. والحالة الثانية: فيما إذا كان الشخص موضوع المادة الصحفية موظفا عاما أو من في حكمه مثل الشخصيات العامة.

ففي الحالة الأولى لا يجوز ذم أو قدح أي شخص، ولا يجوز إثبات أيضاً أن موضوع الذم والقدح أيضاً صحيح إلا في حالة واحدة وهي تعلق الموضوع كله بالمصلحة العامة وكان بحسن نية.

أما الحالة الثانية فلا بد للصحفيين أن يتبعوا القواعد التالية:

1- أن تكون الوقائع صحيحة وثابتة:

لقد استقر القضاء على أن ثبوت الواقعة وصحتها هي أحد أهم الشروط لممارسة الصحفي لحق النقد وبتخلف هذا الشرط يتخلف حق النقد ككل.

-2 أن تكون عبارات المادة الصحفية متلائمة مع الموضوع وأن تكون مما يهم الجمهور. يعتبر تلاؤم عبارات المادة الصحفية مع أهمية الموضوع، وكذا الأهمية الاجتماعية للموضوع محددين أساسيين لإباحة حق النقد وهو ما يتجه إليه القضاء بشكل عام، ويعتبر عدم توافره دليلا علي سوء نية.

3- إذا أراد الصحفي عدم ذكر اسم شخص معين أو إيراد واقعة مبهمة فإنه يجب أن ينتبه إلى أنه إذا كانت هنالك قرائن لا يبقى معها تردد في نسبة تلك الإسنادات إلى المعتدى عليه وفي تعيين ماهيتها، وجب عندئذ أن ينظر مرتكب فعل الذم والقدح كأنه ذكر اسم المعتدى عليه وكأن الذم أو القدح كان صريحا من حيث الماهية.

اعتبر القضاء أن محاولات البعض إخفاء اسم المعتدى عليه ولكن الإشارة إليه بإشارات يعرف منها أو يمكن أن يعرف منها لا أثر لها في وقوع الجريمة، ويعتبر القضاء أن الذم أو القدح في تلك الحالة يعتبر وكأنه قد تم صراحة. فالمداورة في الأساليب الإنشائية في كل الأحوال مخبثة أخلاقية شرها أبلغ من شر المصارحة.

4- يجب أن لا تكون هناك مصلحة خاصة أو دوافع شخصية للصحفي من نشر المادة الصحفية.

من المستقر عليه في القضاء أنه فيما لو ثبت أن للناشر مصلحة خاصة فيما نشر، أو أن هناك شبهة انتقام من المشتكي فإنه لا يمكن لمثل هذا الصحفي ان يعتصم بحق النقد، أو يطلب إعفاءه من العقاب بحجة أن دافعه للكتابة كان المصلحة العامة.

وتذهب محكمة النقض المصرية إلى أن هذه الأساليب لا تخفى حقيقة المعنى ولا تعين المتوسل بها على الفرار من المسؤولية ولا تنجيه من العقاب وقد قالت محكمة النقض فى 27 شباط/ فبراير سنة 1933 إن « المداور فى الأساليب الإنشائية بفكرة الفرار من حكم القانون لا نفع فيها للمداور ما دامت الإهانة أترائي للمطلع خلف ستارها وتستشعرها الأنفس من خلالها . إنما تلك المداور مخبثة أخلاقية شرها أبلغ من شر المصارحة فهي أحرى بترتيب حكم القانون». وقضت بهذا المعنى أيضا فى 1933/4/24 وقالت « إن العبارات أو الأساليب الملتوية قد يظن الكاتب أنها تخفى مراده إلا أنها لا تزيده فى أنفس القراء إلا ظهورا وتوكيدا « وبهذا المعنى أيضا فى حكم أصدرته فى 1933/12/11 قالت فيه «ليس للقاذف أن يتعلل بكون المقال الذي عقد من أجله موضوعا فى قالب أسئلة وإنه لم يكن يعلم أن الأسئلة يعاقب عليها القانون. إذا لا عبرة بالأسلوب الذي تصاغ فيه عبارات القذف. فمتى كان المفهوم من عبارات الكاتب انه يريد إسناد أمر شائن إلى شخص المقذوف فإن ذلك الإسناد يكون مستحق العقاب أيا كان القالب أو الأسلوب الذي صيغ فيه وبهذا المعنى أيضا حكم 1939/12/25.

الفصل الحادي عشر

أخلاقيات المهنة

أخلاقيات المهنة

يحيى شقير
المدرب في قوانين الإعلام

تتحقق مصلحة المجتمع بقيام وسائل الإعلام بدورها عبر ثلاثة أسس رئيسية هي:

1. مهنية جيدة للإعلاميين.

2. بيئة تشريعية تضمن الحريات الإعلامية. (يعرف فيها الإعلامي حقوقه وواجباته، والمباح والمعاقب عليه).

3. الالتزام بأخلاقيات المهنة.

أي خلل في واحد أو أكثر من هذه الأسس يشكل انتهاكا لحق المواطن في المعرفة، ويؤثر على دور السلطة الرابعة في الرقابة كحارس على المصلحة العامة.

تلعب المواثيق دورا مهما في حماية المهن شأنها شأن أي مهن أخرى..

ويعتقد واضعو هذه الأخلاقيات أنه إذا تبنت وسائل الإعلام هذه المبادئ وطبقتها فستزداد مصداقية الصحافة وزيادة ثقة الجمهور بما يعني في النهاية

زيادة مبيعاتها واشتراكاتها وإعلاناتها.

ينص إعلان اليونسكو 1978 بشأن إسهام وسائل الإعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي، وتعزيز حقوق الإنسان، ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب على ضرورة: نشر وجهات نظر أولئك الذين قد يرون أن المعلومات التي نشرت أو أذيعت على الملأ بشأنهم قد ألحقت ضررا جسيما (المادة 5). كما ينبغي للمنظمات المهنية وللأشخاص الذين يشتركون في توفير التدريب المهني للصحفيين، إيلاء أهمية خاصة للمبادئ الواردة في هذا الإعلان لدي وضعهم قواعد السلوك المهني الخاصة بهم وضمان تطبيقها (المادة 8).

في العمل الإعلامي هناك عدة مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني:

1. دولية: كميثاق شرف الفدرالية الدولية للصحفيين[1].

2. إقليمية: مثل ميثاق شرف الصحفي العربي الصادر عن اتحاد الصحفيين العرب[2].

3. وطنية: مثل ميثاق شرف الصحفيين الأردنيين[3].

4. داخلية: وهي مواثيق أو أدلة تضعها المؤسسة الإعلامية للعاملين فيها.

ما يجمع هذه المواثيق هو:

1- نابعة من الإعلاميين أنفسهم بدون ضغوطات.

2. ليس لها قوة قانونية إنما أخلاقية.

هناك قواسم مشتركة بين مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني تقع ضمن المسؤولية الاجتماعية للصحفي والإعلامي:

-1 الحقيقة: الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يمتلك جزءا منها.

-2 الدقة والموضوعية والنزاهة.

-3 فصل الخبر عن الرأي.

1 أنظر نص الميثاق: http://www.ifj.org/en/pages/journalism-ethics

2 نص الميثاق: http://www.faj.org.eg/charter.asp#

3 أنظر نص الميثاق http://www.jpa.jo/arabic/CodeOfEthics.aspx

4. احترام الرأي الآخر: وهو رأي الحكومة و المعارضة والأقلية، وعلى الصحافة ضمان تعددية الآراء لإيجاد سوق حر للأفكار.

5. تضارب المصالح: ويقع تحتها الهدايا وتقبل أو البحث عن مصالح شخصية.

6. الإعلانات: يجب فصل التحرير عن تأثير الإعلانات. (المبالغة في ايجابيات الشركات المعلنة، وتقليل سلبياتها، أو عدم نشر الحقيقة مراعاة للمصالح الإعلانية).

7. الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.

8. حق الرد.

ولمزيد من الضمانات عمدت بعض المؤسسات الإعلامية إلى تعيين Ombudsman يقوم من تلقاء نفسه أو بناء على شكوى بفحص إن كانت المادة الإعلامية تتوافق مع معايير السلوك المهني.

إن عدم التزام الصحفي بأخلاقيات المهنة واحترامها قد يؤدي إلى إدانته في بعض القضايا إذا تم رفع قضية ضده.

المادة 7: آداب مهنة الصحافة وأخلاقياتها ملزمة للصحفي، وتشمل:

أ ـ احترام الحريات العامة للآخرين وحفظ حقوقهم وعدم المس بحرمة حياتهم الخاصة.

ب ـ اعتبار حرية الفكر والرأي والتعبير والاطلاع حقا للصحافة والمواطن على السواء.

ج ـ التوازن والموضوعية والنزاهة في عرض المادة الصحفية.

د ـ الامتناع عن نشر كل ما من شأنه أن يثير العنف أو يدعو إلى إثارة الفرقة بين المواطنين بأي شكل من الأشكال.

كما تحظر المادة (42) من نفس القانون على الصحفي ممارسة أي عمل آخر غير المهنة الصحفية بما في ذلك الأعمال التجارية وتمثيل الشركات في أعمالها التجارية والصناعية، وممارسة المهنة الصحفية بصورة تخالف التشريعات النافذة وميثاق الشرف الصحفي، والقيام بأي عمل أو تصرف يتنافى مع كرامة

المهنة أو يسيء إلى النقابة أو إلى أعضائها. وقبول أي هبات أو تبرعات مالية أو عينية أو مساعدات أخرى مهما كان نوعها أو صورتها.

كما يعاقب قانون نقابة الصحفيين على مخالفة آداب المهنة المواد -26 51 من قانون النقابة. وقد تصل عقوبة مخالفتها إلى المنع النهائي من ممارسة المهنة. (قرار المجلس التأديبي بالمنع المؤقت من ممارسة المهنة. ولو ليوم واحد. يعني حرمان الصحفي مدى الحياة من أن يكون نقيبا للصحفيين أو عضو مجلس أو رئيس تحرير).

وفي تقرير المجلس الأعلى للصحافة في مصر (2008) تبين أن الصحف القومية هي الأقل التزاما بالميثاق وأن أهم انتهاك كان خلط الإعلان بالتحرير. أما الصحف الحزبية فكانت الأكثر التزاما بالميثاق وكان أهم انتهاك قامت به هو نشر أسماء الأطفال الضحايا.

وفي الصحافة الاستقصائية بشكل خاص فإن الالتزام بأقصى درجات النزاهة هو أكثر من واجب مهني. بسبب ما قد تتضمنه هذه التحقيقات من اتهام أناس بالفساد أو سوء الإدارة أو الذم.

ويكمن إضافة مبادئ حول أخلاقيات المهنة للصحافة الاستقصائية تتمثل بما يلي:

1. لا تكذب.

2. لا تسرق (وثائق من مكتب موظف أو مسؤول).

3. لا تنتحل شخصية غير أنك صحفي. كأن تدعي بأنك موظف أو تاجر وغير ذلك. (هناك حالات تجيز فيها بعض المؤسسات ذلك كحل أخير إذا لم تكن هناك أي وسيلة أقل ضرراً للحصول على المعلومات.

-4 لا تدفع أية أموال لقاء الحصول على المعلومات خاصة من الموظفين العموميين. فقد يعتبر ذلك رشوة بالقانون. (إن دفع أتعاب لمختبر مثلا لتحليل عينة مياه جائز. وكذلك الطلب من مدقق حسابات دراسة ميزانيات معينة أو إفهامك ماذا تعني التحويلات.

-5 لا تصور أو تسجل بدون إذن أو تتجسس على مراسلات الآخرين. (في حالات خاصة ربما يضطر الصحفي الاستقصائي إلى التصوير أو التسجيل بدون إذن. بشرط استنفاد الطرق الأقل ضرراً للحصول على المعلومات.

ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين

يتم اعتماد هذا الإعلان العالمي بمثابة معيار للأداء المهني للصحافيين الذين يقومون بجمع ونقل وتوزيع المعلومات بالإضافة إلى أولئك الذين يقومون بالتعليق على الأنباء أثناء تناولهم للأحداث.

1. احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها هو أول واجبات الصحفي.

2. خلال أدائهم لعملهم سيقوم الصحافيون وفي جميع الأوقات بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء ونشرها وكذلك الحق في إبداء تعليقات وآراء نقدية بشكل عادل.

3. سيقوم الصحفي بنشر تلك الأنباء وفقا للحقائق التي يعلم مصدره فقط ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.

4. سيستخدم الصحفي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء أو الصور أو الوثائق.

-5 سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء.

6. سيلتزم الصحفي باتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.

7. على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي.

8. سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

9. على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها. ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة، وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غيره.

مواقع الكترونية مفيدة حول أخلاقيات المهنة الصحفية:

American Society of Newspaper Editors statement of principle
http://www.asne.org/kiosk/archive/principl.htm

Radio-Television News Directors Association & Foundation ethics guidelines
http://www.rtnda.org/ethics/ethicsguidelines.shtml

Associated Press Managing Editors code of ethics
http://www.asne.org/ideas/codes/apme.htm

Gannet Newspaper Division principles of ethical conduct for newsrooms
http://www.asne.org/ideas/codes/gannettcompany.htm

Society of Professional Journalists
http://spj.org/spj_ethics.asp

Codes of Ethics of American newspapers
http://www.asne.org/ideas/codes/codes.htm

European media codes of ethics
http://www.uta.fi/ethicnet

International media codes of ethics
http://www.ijnet.org/code.html

International journalism organizations codes of ethics and links to other ethics topics
http://www.preswise.org.uk/ethics.htm

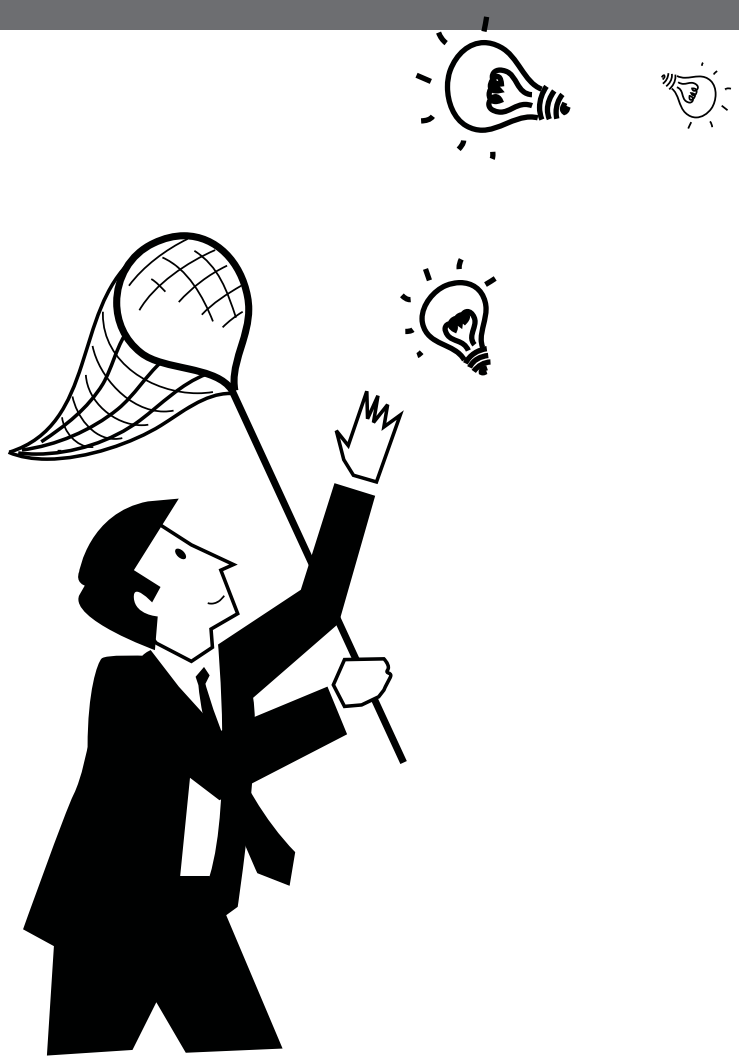

الفصل الثاني عشر:

من أين تستقي فكرة تصلح كأساس لتحقيق استقصائي؟

من أين تستقي فكرة تصلح كأساس لتحقيق استقصائي؟

سعد حتر

رئيس قسم التحقيقات الاستقصائية
في شبكة اريج واعلامي ومدرب صحافي

- وسائل الإعلام: الإنترنت، المطبوعات المتخصصة والدورية، الصحف المحلية وملاحق الإعلانات والملصقات (البوسترات)، والرزنامات الثقافية.

- اتصالات شخصية مع المسؤولين وأصحاب التخصص في القطاعين الخاص والعام لبلورة أفكار قد تخرج أثناء نقاشات، أو بناءً على الاستماع لشهود عيان في المحكمة أو مكان حصول الحادث.

- بطلب مباشر من رئيس التحرير (كما حصل مع د. مارك هنتر في متابعة قصة «الطفل دو»).

الملاحظات الشخصية:

يستطيع أي إعلامي البحث في القطاعات التالية للحصول على أفكار استقصائية:

- حوادث شاحنات أو حافلات أو قوارب قد تكون محملة بأكثر من طاقتها.. (تقرير يزن الرياوي/ قناة رؤيا- الأردن: عن دور إطارات الشاحنات الخاضعة لرسوم جمركية وضرائب عالية في حوادث الموت)

- طرق سريعة في حالة رديئة..(تحقيق أحمد عبد الصمد/ العراق: "طريق الموت الموت بين أم قصير والبصرة يسجل عشرات الحوادث المميتة يوميا"؛ وأيضا تقرير تامر قرقوط الذي يوثق كيف أن سوء الصيانة وأخطاء في التصميم هما ثالث أسباب حوادث الطرق في سورية).

- مقالع حجارة تعمل داخل أحياء مكتظة بالسكان تلوث البيئة وتهدد صحة الإنسان.

- مكبات نفايات المستشفيات.. (تحقيق وديع العبسي/ اليمن: «لا محارق صحية وأساليب تخالف المعايير للتخلص من هذه النفايات»؛ وأيضا تقرير ماثل لحمود المحمود كشف تزايد المحارق الطبيّة)

- انتشار الجراثيم في المستشفيات كما حصل مع الزميل حمود المحمود في سورية (الجراثيم المعندة تقتل أو تصيب مرضى بعاهات مزمنة)؛ وأيضا الزميلة حنان زبيس/ تونس: التعفنات "الاستشفائية" في مستشفيات تونس.. قاتل مسكوت عنه)

- تسرب مياه الصرف الصحي أو مصادر تلويث أخرى إلى منابع مياه الشرب. (كما حصل مع الزميل إياد خليل من سورية في تحقيقٍ حول تلوث مياه نبع السن بالمياه المالحة؛ وأيضا تحقيق غمدان الدقيمي: "أحواضٌ ومغاسل لإنتاج المرض في بيوت الرحمن... اتجاه إجباري إلى الرفيق الأعلى؛ خالد كريزم يوثق: في خانيونس.. (200) ألف نسمة يشربون مياهاً سامة؛ أحمد بركات: «مياه غزة تغرق بالتلوث والجفاف يهدد الخزّان الجوفي»).

- تحرش جنسي، جسدي أو لفظي في أماكن العمل في غياب تشريعات رادعة كما حصل مع الزميلة رندا حيدر (سوريا).

- بيع أدوية وأطعمة منتهية الصلاحية بسبب ضعف الرقابة والتشريعات الرادعة كما حصل الزميل منصور الزيود (الأردن) والزميلة دنيا العزام (الأردن).

- استخدام مواد مضرّة في تصنيع أكياس طعام.. (ليس اسماعيل وثّقت تراجع نسبة اليود في الملح السوري بسبب تخزينه في أكياس بلاستيكية شفافة)

- الهجرة غير المشروعة.. (نزيف رحلات الموت إلى السواحل الإيطالية يعصف بزهرات الشباب التونسي.. تحقيق بهيجة بلمبروك وغازي المبروك؛ وتحقيق عمر

وهبه: «قوارب الموت تحصد أرواح شباب فلسطينيين في لبنان»)

- اختلاسات، تزوير أوراق رسمية وسوء ائتمان في مؤسسات عامة وخاصة.. (تقرير رياض القبيسي/ قناة الجديد اللبنانية حول عمليات تحايل ورشى تخسّر خزينة لبنان ملايين الدولارات بسبب التهرب من الجمارك).

- سلامة العمال في المصانع.

- سلامة وسائط النقل الجوي أو البحري أو البري (مونا فرح غاصت في وثائق رسمية بأثر رجعي لتكشف المتسببن وراء غرق عشرات البحارة في سفينتين وضياع حقوقهم)

- تنامي عمالة الأطفال/ استغلال الأطفال والمرأة (ميادة داود/ العراق: تقريران الأول عن تجنيد الأطفال في صفوف القاعدة والثاني عن تجنيد نساء برسم الانتحار)

- غش في مواصفات البناء وتحايل على القوانين (هدى بارود: شروط السلامة في الأبنية السكنية غائبة.. والقانون لا يخدم «أمن» المواطنين في غزة)

- تعسف أو أذى يمارسه رجال دين يختبئون وراء تعاليم الله والتابوهات الاجتماعية.

- ضعف ملاحقة أطباء أو ممرضين مقصرين تجاه مرضاهم.

- إهمال في توفير أدوية أساسية.. (حسن دوحان: "غزة مقبرة الأطفال الخدج، غياب إبرة الحياة «سيرفاكتنت» تودي بحياة مئات الأطفال الخدج")

- جوائز اليانصيب الخيري.

- مبيعات العقارات للأجانب والعرب.

- تعاطي المخدرات والمنشطات الممنوعة في عالم الرياضة.

- نظافة مطابخ المقاهي والمطاعم الشعبية والمصنفة.

- أغذية مكشوفة تباع على جوانب الطرقات.

- نظافة الحمامات في المدارس.. كما حصل مع الزميل صلاح العبادي (الأردن).

- عنف في المدارس، بما فيه التحرش الجنسي، واللفظي، والعقاب (تحقيق خالد كريزم المتلفز حول الضرب المبرح في مدارس قطاع غزة)

- تهريب المخدرات إلى السجون.

- إهمال داخل دور الأيتام وبيوت المسنين.. (تقارير عماد الرواشدة ومجدولين علاّن من الأردن)

- سوء استعمال الموارد المالية في مؤسسات المجتمع المدني غير الحكومية (تقرير مدولين علان في الأردن)

- سوء تطبيق الأنظمة القضائية (تحقيق مجدولين علاّن حول إهمال وسوء إدارة بين المكلّفين بتبليغ أحكام المحاكم الشرعية في الأردن)

- هدر أموال الشعب لشراء ذمم النواب عبر منح وبعثات سفر مكررة.

- خرق لقوانين البرلمان وأنظمته.. (محمد عثمان من غزة: «نواب يخرقون القانون .. حين تصبح العضوية في المجلس التشريعي مصدراً للدخل الإضافي»)

- بعثات الحج والكوتات الممنوحة للحجاج في كل بلد.

- ترخيص المهنيين من أطباء، ومهندسين، وصيادلة، ومرضات، بين الواقع والتطبيق.

- هدر في صرف أدوية مدعومة من أطباء القطاع العام بسبب ضعف الرقابة.

- نوعية الخدمات البنيكة والاتصالات.

- تطويع ثغرات في نظام التقاعد المبكر تفتح الباب أمام هدر الموارد.

- استغلال ثغرات في قوانين وضعية.. (دارين سليطين كشفت كيف فتحت ثغرات في قانون جديد للتبرع بزرع أعضاء الباب أمام الاتجار بالأعضاء، ما ترك آلاف السوريين في مهب الموت على قائمة الانتظار).

- سوء إدارة مدن أثرية وإهمال في صيانة مواقع تراثية.. (تحقيق إياد الموسمي/ اليمن: مدينة زبيد التاريخية.. هل تغادر خريطة التراث الانساني؟)

- تحايل داخل معاهد وجامعات.. (تقرير رامي الأمين لقناة الجديد.. "معاهد

لتدريب الاخراج السينمائي تزود منتسبيها بشهادات دولية مزورة»؛ وتقرير رائدة حمرا لقناة رؤيا الأردنية حول ضياع أحلام طلبة وخسارة ملايين الدولارات نتيجة الترويج لفرع «وهمي» في الإمارات تابع لجامعة البلقاء التطبيقية).

- عنف وتوتر بين مناطق ذات أغلبية عرقية أو مذهبية (تقرير كارول كرباج.. «مقاتلو التبانة وجبل محسن بين معركتين: تبادل مزاح وسلع... وسلاح»! وتحقيق عمر وهبة في الحياة اللندنية: «اللجان الأمنية في مخيمات لبنان تفرض قانونها»)

- إساءات يتعرض لها ذوو الاحتياجات الخاصة أو مسنّون داخل دور الرعاية.. (حنان خندقجي/ الأردن حول: اعتداءات لفظية وجسمية ضد أطفال معاقين حركيا في مدارس متخصصة؛ مونا فرح من سورية حوا إساءات في دور إيواء المسنين؛ وتحقيق ابتسام الضاهر: مئات المسنين يتزاحمون على دور تحولت إلى مجرد مصحات بلا عناية).

- ممارسات غير قانونية داخل مشافي الأمراض العقلية (غسّان الصالح وثق معاناة مرضى نفسيين في سورية خضعوا لعلاجات كيميائية لا تتناسب مع أعراض أمراضهم)

- طرق التخلص من نفايات العيادات الطبية الخاصة.

- طرق التخلص من النفايات الكيميائية.

- فساد في مشاريع التخلص من نفايات المدن (أيمن مكيّة حول تدوير النبش وتفشيل الاستثمار في مكبات النفايات ما يفقد خزينة سورية ملايين الدولارات سنويا؛ وإبراهيم أبو زينة يكشف مواطن الهدر وسوء الإدارة في بلدية الزرقاء، باعتباره السبب الرئيس وراء تراكم أكوام النفايات في الشوارع؛ كذلك كشف تحقيق مشترك لخالد موسى وبراء البوشي حجم الأضرار الناجمة عن تراكم جبال من النفايات في مكب الغزلانية وحرقها قربا من تجمعات سكنية في سورية).

- تمييز جندري في المجتمع وظلم المرأة.. (تحقيق وديع العبسي/ اليمن: "السجينه ... يتخلى عنها الأهل ويظلمها المجتمع فتغدو عرضة للانحراف»؛

- تمييز عرقي ..(تقرير رونا الحلبي لقناة الجديد: «مسابح في لبنان تخالف القانون وتفرض شروطا «عنصرية» تحول دون دخول عاملات المنازل؛ تحقيق فاطمة رضا للحياة اللندنية: «مكتومو القيد في لبنان: آلاف لم يولدوا في وثائق الدولة ... ولم يموتوا»)

- توارث أمراض ناجمة عن زواج الأقارب في قرية ما... (علي حسون يكتب: نار تحت الرماد في قرية الكستن السورية)

- انتشار ظواهر مجتمعية سلبية نتيجة قصور التشريعات وإهمال الجهات الرقابية.. (هدى بارود كتبت «العزوف عن الشكوى و قصور القوانين يحول دون لجم ظاهرة الشعوذة في غزة»)

- تعسف ضد عمال وافدين وهضم حقوقهم.. (هناء بوحجي/ البحرين العمالة السائبة في البحرين... سراب الثروة/ وأيضا عمالة المنازل في البحرين.. ثقوب في مظلة القانون)

- التهريب بكل أنواعه وزراهة الممنوعات.. (محمد بسيكي حول تهريب الصقور من سورية..

- في ظل غياب تشريعات قانونية تسهل حق الحصول على المعلومات من القطاعين العام والخاص في غالبية الدول العربية -- باستثناء الأردن، تونس واليمن-- بإمكان الإعلامي استعمال عدة طرق قانونية للوصول إلى معلومات متاحة بشكل منتظم للعامة وأهل الصحافة. كُن خلاقاً وفكر دائما كيف تفتح شباكا إذا أغلق الباب في وجهك. علمتنا التجربة في عالمنا العربي أن غالبية الإعلاميين عوّضوا نقص التشريعات التي تسهل الحصول على المعلومات بشبكة من العلاقات الاجتماعية والشخصية وصلة القربياضافة كما يفترض ان تكون هناك موارد اخرى متاحة للجميع مثل:

- التشريع المصدق (القوانين السارية بعد أن استكملت كافة المراحل الدستورية وصوت عليها البرلمان).

- الأصوات البرلمانية: كيف يصوت البرلمانيون على القوانين.

- المناظرات البرلمانية، داخل وخارج القبة.

- قوانين العمل.

- القوانين الانتخابية.

- المساهمات الانتخابية في حملات التمويل.

- الإحصائيات الرسمية (على جميع المستويات).
- الأرشيف الوطني.
- السجلات التاريخية غير المنظمة.
- رخص المؤسسات التجارية الخاصة لدى سجل الشركات في وزارة التجارة.
- رخص القيادة وتسجيل السيارات.
- صكوك الملكية (الأراضي والمباني).
- الصفقات العقارية.
- التقارير المصرفية السنوية.
- التقارير الخاصة بالمؤسسات العامة.
- إعلانات الإفلاس.
- الشركات الأجنبية المسجلة.
- المنظمات غير الحكومية.
- الجمعيات التي لا تتوخى الربح.
- جمعيات حماية المستهلك.
- الأحزاب السياسية (معلومات عن تسجيلها، قوانينها الداخلية، إلخ).
- بيانات بأسماء المسافرين (معلومات عن الركاب من وكلاء سياحة وسفر).
- المدارس الخاصة.
- السجلات الطبية للمرضى.
- مؤسسات العناية الصحية الأخرى.
- دليل الهاتف.

الفصل الثاني عشر :

- دليل المؤسسات التجارية.

- دليل الشركات على الشبكة العنكبوتية.

- دليل الهيئات الأهلية.

- الكتيبات السياحية.

- دليل النقابات.

- الخرائط الوطنية.

- أرشيف الصحف وقواعدها البيانية.

- أرشيف المطبوعات ومؤسسات البحوث.

- أرشيف المكتبات الجامعية.

- أرشيف المتاحف.

- سجلات الأشخاص الخاصة.

- مواقع الانترنت والأرشيف الخاص بها.

- المدونون.

- قواعد البيانات المدفوعة الأجر مثل فاكتيف ولكسس- نكسس.

- تقارير المؤسسات الرقابية: مثل ديوان المحاسبة، المركز الوطني لحقوق الإنسان، هيئة الاتصالات المرئية والمسموعة.

- جمعية حماية المستهلك.

- مطبوعات إعلانية مجانية متخصصة في: العقار، التوظيف، التجارة.

الفصل الثالث عشر:

نماذج عمل

لقراءة كافة التحقيقات
المتلفز والمقروءة والمسموعة
التي انجزت في شبكة اريج
في دول الانتشار منذ انطلاق
الشبكة في عام 2005

www.arij.net